833.72 D647

Columbia University
in the City of New York
Library



BOUGHT FROM
THE
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

MAR 24 1917

Diyāb, Muḥammad Bey

" Tārīkh ādāb al-lugha al-ʿarabiyya

893.72
D647

تاريخ آداب اللغة العربية

تاليف

محمد بك دياب

(المفتش الثاني للغة العربية بنظارة المعارف)

العلم شيء حسن * فكن له ذا طلب

(المرجو ممن اطلع على نسخة من هذا الكتاب غير مختومة بختم المؤلف)

« ان يردها اليه و يأخذ بدلها خمس نسخ »



الجزء الاول

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

طبع بمطبعة جريدة الاسلام بمصر بحارة السقايين

17-15601



بسم الله الرحمن الرحيم

احمده علم الانسان مالم يعلم . واصلي على نبيه صاحب الفرقان المحكم . وعلى الآل والصحابه . والتابعين سننه وآدابه .

﴿ وبعد ﴾ فقد اخبرني فيما سلف صديق يعرف الالمانية ان مستشرقي الالمان عنوا بتاريخ آداب لغتنا العربية فوضعوا فيه كتابا ذا اسفار مطبوعاً بلغتهم وودّ الصديق لو يؤلف بالعربية مثل هذا الكتاب فلاح بخاطري ان اشق عباب هذا الموضوع الجليل فسرت في سبيله متجشما الصعاب بضعة اعوام الى ان اهتديت الى وضع مؤلف جامع لاشتاته المتفرقة في بطون مئين من امهات الكتب ذات الاعتبار وابدعت فيه ما ابدعت مما لم تلده القرائح فيما غبر أو حضر وقد شرحت فيه نشأة العلوم الادبية وسيرها في مختلف العصور والكتب التي الفت فيها وازمانها وحياة مؤلفيها وذكرت فصولا من كل فن اقتضاها سير التأليف وغير ذلك مما يطول بيانه في هذا المقام ولا أطري على هذا المؤلف بانه جليل او مفيد او لم يسبق النسج على منواله أو اول كتاب في بابه أو ديوان ادب عزيز يضن به المالك الى غير ذلك من الدعاوى الواسعة بل الحكم في هذا موكول الى المطالعين والله الهادي الى الصواب

﴿ محمد دياب ﴾

(المفتش بالمعارف)

﴿ فهرس الجزء الاول من تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

صحيفة

مقدمة في الادب

٢ ادب النفس ـ ادب الدرس ـ علوم الادب

الباب الاول في تاريخ اللغة وفيه ستة فصول

٤ (الفصل الاول): تعريف اللغة ـ ما قيل في نشأة اللغة ـ المناسبة بين الالفاظ ومعانيها ـ السبب في وضع الالفاظ ـ لا يجب ان يكون لكل معنى لفظ ـ لم تجىء اللغة دفعة واحدة

٨ (الفصل الثاني): اولية اللغة العربية ـ مقارنة الفاظ عربية باخرى عبرية ـ اختلاف لهجات القبائل ـ توجه العرب الى توحيد لغات القبائل ـ خطبة اكثم بن صيفي امام كسرى ـ خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ ـ فصاحة لغة قريش

١٤ ـ الدخيل في لغة العرب ـ تقسيم الاسماء الاعجمية الى ثلاثة اقسام ـ الاشتقاق من اللفظ الاعجمي

١٦ ـ الفاظ اسلامية والفاظ اصطلاحية

١٩ ـ اللغات العامية ـ اللغة الجامعة ـ كتابة العلوم والفنون والآداب بالعربية الصحيحة ليست حائلة دون التربية والتقدم في المعارف

٢١ ـ الفاظ اجنبية دخيلة في لغة العامة

٢٢ (الفصل الثالث): اول كتابة بلغة العرب ـ كتابة القرآن في الرقاع والالواح ـ حفظة القرآن ـ جمع القرآن من الرقاع في عهد ابي بكر

صحيفة

ونسخه في الصحف ـ نسخ القرآن في المصاحف في عهد عثمان ـ افادة القرآن للناشئين والمنشئين ـ علوم القراآت والتفسير ـ بعض كتب القراآت المشهورة ـ بعض كتب التفسير المشهورة ـ حكم وآداب من القرآن

٣١ (الفصل الرابع) : اولية الاحاديث النبوية ـ ابتداء تدوين الاحاديث ـ موطأ مالك بن انس ـ صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ كتب الاحاديث الستة المعتبرة في الاسلام ـ حكم وآداب من السنة

٣٦ (الفصل الخامس) : في جواز الاستشهاد بالقرآن والحديث في علوم الادب

٤٠ (الفصل السادس) في كتب اللغة المشهورة وتاريخها واستعمالها واصطلاحاتها

٤١ كتاب العين للخليل ومختصره للزبيدي

٤٣ كتاب الجمهرة لابن دريد والتهذيب للازهري

٤٤ كتاب الصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس

٤٧ كتاب المحكم والمخصص لابن سيده

٤٩ فقه اللغة للثعالبي ـ كتاب اساس البلاغة للزمخشري

٥٠ نهاية ابن الاثير ـ العباب والتكملة ومجمع البحرين

٥١ كتاب لسان العرب لابن منظور ـ المصباح للفيومي

٥٤ القاموس للفيروزابادي

٥٤ مختار الصحاح ـ المزهر في علوم اللغة

٥٥ محيط المحيط وقطر المحيط ـ الجاسوس وسر الليال ـ اقرب الموارد

٥٦ قلائد الذهب

صحيفة

وشواهده واستعماله والبحور المهملة · نظم اسماء البحور · نظم اوزان البحور · قيل لا حاجة الى العروض · الغز ابن الصائغ في جبل · المخمس والمسمط التشطير · الشعر القادومي

١٨١ تعريف القافية · اول من قفى القصائد · وضع علم القافية · اقواء النابغة في الشعر ورد اهل يثرب اياه عن ذلك · حروف القافية وحركاتها وعيوبها وشواهد ذلك · انواع القافية وشواهدها

﴿ تم ﴾

صحيفة

بعد الاسلام · تقسيم الشعر الى اربع طبقات · الاستشهاد بالشعر في العلوم

٩٠ (اشعار متواردة على المدح) : قصيدة لزهير بن ابي سلمى الجاهلي · قصيدة للحطيئة المخضرم · قصيدة للاخطل الاسلامي · قصيدة للمتنبي المولد · قصيدة لحفني بك ناصف العصري · قصيدة لاحمد بك شوقي

١٠١ (اشعار متواردة على النسيب) : قصيدة لامرئ القيس · قصيدة للنابغة · قصيدة للاعشى · قصيدة لعمر بن ابي ربيعة · قصيدة لابن زيدون قصيدة لمحمود باشا سامي المصري

١١٥ (اشعار متواردة على الرثاء) : قصيدة للمهلهل · قصيدة للخنساء · قصيدة لكعب ابن سعد الغنوي · قصيدة لابن الانباري · قصيدة لاسماعيل باشا صبري قصيدة لعائشة هانم التيمورية · كلام في افتتاح قصائد المدح بالنسيب · ما يجيء في قصائد النسيب · ما يجيء في قصائد الرثاء

١٢٩ (الفصل الثالث) فيما يتبع الشعر · الموشح واختراعه وانواعه وامثلته ـ موشح للاديب امين افندي الخوري ـ موشح للمجيد احمد بك شوقي · الدوبيت ـ الزجل ـ حمل زجل للاديب الشيخ محمد علي احد طلبة دار العلوم ـ حمل للاديب الشيخ احمد القوصي ـ حمل للاديب الشيخ محمد النجار · كان وكان · القومة · المواليا

١٥١ (الفصل الرابع) في دواوين الشعر

الباب الرابع في تاريخ العروض والقافية

١٥٦ تعريف العروض · اختراعه · بحوره · دوائر البحور · اجزاء كل بحر

صحيفة

الباب الثاني في تاريخ الكتابة او الخط وفيه اربعة فصول

٥٧ (الفصل الاول) في تعريف الكتابة

٥٨ (الفصل الثاني) في تاريخ الخط العربي ـ الخط المسند وخط الجزم واول من كتب به وانتقاله الى مكة والمدينة ـ الخلاف في كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ـ الخط الكوفي ـ النقط والاعجام والشكل ـ انتقال الخط الكوفي الى الامصار وتنوعه وترقيه وانواعه ـ اشهر كتاب الدولة العثمانية ومصر ـ مصاحف قرآنية قديمة وحديثة في المكتبة الخديوية ـ مجموعات خطوط فيها

٦٥ (الفصل الثالث) : الحروف ونقطها ـ ترتيب الحروف عندنا وعند المغاربة ـ حروف الكتابة عند الفرس والترك ـ كتابة الالفاظ غير العربية بالخط العربي

٧٠ (الفصل الرابع) في علوم الخط

الباب الثالث في تاريخ الشعر وفيه اربعة فصول

٧٢ (الفصل الاول) : تعريف الشعر ـ الشعر عند المناطقة وتأثيره في النفس ـ انواع الشعر من جهة التأثير ـ شروط في الشعر ـ فنون في الشعر ـ وجه تعلم الشعر

٨١ (الفصل الثاني) : اولية الشعر . اسواق العرب . النابغة في سوق عكاظ . اعتراض الخنساء على بيت حسان . المعلقات السبع . تأثير البداوة والحضارة على الشعر . تأثير الشعر في النفوس تأثير الاسلام على الشعر . اعتبار الشعر

كتاب

تاريخ آداب اللغة العربية

تاليف

محمد بك دياب

« المفتش الثاني للغة العربية بنظارة المعارف »

قد عرض هذا الكتاب على نظارة المعارف فارسلته الى الاستاذ الفاضل الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول لهذه اللغة فكتب الى الامير الهمام صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا وكيل المعارف ما نصه

« قد فحصنا تاريخ آداب اللغة العربية الصادر لنا بشانه امر سعادتكم الشفاهي فوجدناه مودعا من الفوائد العلمية والمحاسن الادبية ما يشهد لمؤلفه الفاضل بطول الباع وسعة الاطلاع فلا اقل من ان تتكرم النظارة بشراء جملة نسخ منه بعد طبعه على نفقة مؤلفه مساعدة للعلم واهله والفضل وذويه وها هي نسخته عائدة مع هذا افندم ١٨ ذي الحجة سنة ١٣١٤ (٢٠ مايو سنة ١٨٩٧)

الفقير اليه عز شانه
حمزة فتح الله »

وقد سجل هذا في دفاتر الديوان بقلم اللوازم نمرة ٤٠٦ في ٢٤ مايو سنة ١٨٩٧

حقوق الطبع محفوظه للمؤلف

طبع بمطبعة جريدة الاسلام بمصر بحارة السقايين سنة ١٣١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في الادب

أدب النفس — الادب تحلي النفس بالفضيلة ومظهر ذلك جميل الفعل وحسن القول قال الشاعر الغزاري

أكنيه حين اناديه لا كرمه ولا ألقبه والسوأة اللقبا

كذاك ادبت حتى صار من خلقي انى وجدت ملاك الشيمة الادبا

ولذا اطلقوه على اثاره فقالوا انه استعمال ما يحمد قولا وفعلا او هو الوقوف مع المستحسنات او هو ان تعظم من فوقك وترفق بمن هو دونك

واصل الادب الدعاء ومنه قيل للوليمة يدعى اليها مأدبة

ادب الدرس — ولما كانت علوم اللسان في صدر الاسلام لها العناية القصوى في اخذ الناس بها وكانت اعظم وسيلة ادبة الى تزكية نفوسهم اطلقوا عليها اسم الادب واضافوها اليه فقالوا علوم الادب اوعلم الادب — قال ابن عباس كفاك من علم الدين ان تعرف ما لا يسع جهله ومن علم الادب ان تروي الشاهد والمثل — وقال والد لابنه حبب الى نفسك العلم حتى تراه ويكون لهوك وسكوتك والعلم علمان علم يدعوك الى آخرتك فاثره على ما سواه وعلم لتزكية القلوب وهو جلاؤها وهو علم الادب فخذ بحظك منه — وقال الامام المطرزي الادب الذي كانت تعرفه العرب هو ما يحسن من الاخلاق وفعل المكارم قال الغنوي

لايمنع الناس مني ما اردت ولا اعطيهم ما ارادوا حسن ذا ادبا

واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر اديباً وعلوم العربية ادباً اه باختصار

وقد يطلق الادب على الملكة التي يكتسبها ممارس هذه العلوم فيقتدر بها على رواية اشعار العرب وامثالهم واخبارهم ونوادرهم وعلى اجادة قرض الشعر وكتابة الانشاء فيكون بذلك اديباً وكانوا يصنفون لهذا الغرض مصنفات جامعة لما عساه تحصل به هذه الملكة من اشعار واخبار وامثال ومسائل لغوية ونحوية مبثوثة في اثناء شرح ذلك وقد قالوا ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٠ للهجرة والكامل للمبرد المتوفي سنة ٢٨٥ والبيان والتبيين للجاحظ المتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥ والنوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة

وقد انهى العلماء علوم الادب الى ثلاثة عشر وهي متن اللغة . وكتابة الحروف او الخط . وقرض الشعر . والعروض . والقافية . والنحو . والصرف او علم الابنية . والاشتقاق . والمعاني . والبيان . والبديع . والتاريخ او المحاضرات . وانشاء النثر . وبعض يسقط البديع ويجعله ذيلا لعلمي المعاني والبيان . وقد نظمت اسماءها غير مراع هذا الترتيب فقلت

لغة وشعر ثم قافية ... نحو عروض ثم انشاء
وكذا اشتقاق ثم ابنية ... خط بديع فيه اراء
وبيان معنى مع محاضرة ... ادب له شرح وانباء

وسابسط القول على تاريخ هذه الفنون باذلا جهد المستطيع في بيان نشأة كل فن وادوار سيره وترقيه مع العصور والاجيال وهذا في ثمانية ابواب

الباب الاول

(في تاريخ اللغة)

﴿ وفيه فصول ﴾

الفصل الاول

(في تعريف اللغة ونشأتها)

اللغة من حيث هي اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم فاللغة العربية الفاظ يعبر بها العرب عن المعاني المرادة لهم وما يبين الالفاظ ومعانيها يسمى متن اللغة ومن ذلك القاموس . وقال ابن الحاجب حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى . وفي كشف الظنون علم اللغة علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب ومنفعته الاحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتها والتمكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والاقوال البليغة فان قيل علم اللغة عبارة عن تعريفات لفظية والتعريف اللفظي من المطالب التصورية وحقيقة كل علم مسائله وهي قضايا كلية والتصديقات بها وايا ما كان فهي من المطالب التصديقية فلا تكون اللغة علما اجيب بان التعريف اللفظي لا يقصد

به تحصيل صورة غير حاصلة كما في سائر التعاريف من الحدود والرسوم الحقيقية او الاسمية بل المقصود من التعريف اللفظي تعيين صورة من بين الصور الحاصلة ليلتفت اليه و يعلم انه موضوع له اللفظ فمآله الى التصديق بان هذا اللفظ موضوع بازاء ذلك المعنى فهو من المطالب التصديقية لكن يبقى انه حينئذ يكون علم اللغة عبارة عن قضايا شخصية حكم فيها على الالفاظ المعينة المشخصة بانها وضعت بازاء المعنى الفلاني والمسئلة لابد وان تكون قضية

واختلف في نشأة اللغة — اهي من الاوضاع الالهية ام من الموضوعات البشرية (١) فذهب ذاهب الى انها توقيف وايحاء من الله (٢) وذهب آخر الى انها مواضعة وتواطؤ من الناس (٣) وقال ثالث انها مأخوذة من الاصوات المسموعات كزفيف الريح وحفيف الطائر وخرير الماء وجعجعة الرحى وازّ القدر وصهيل الفرس ونعيق الغراب وبغام الظبية ومواء الهرّ وخشخشة السلاح وصلصلة الحديد وغير ذلك مما يطول تعداده ولما اختلف اعتبار الصوت عند السامعين تولدت الفاظ متقاربة النطق لمدلول واحد كغطيط النائم وخطيطه وقهقهة الضاحك وقرقرته وكركرته وكالشخشخة والخشخشة وكالطنطنة والدندنة . ويمكن الجمع والتوفيق بين هذه الاقوال المتضاربة الظاهر وذلك بان يلقي الله في صدور بعض خلقه علوما بديهية باخذ اسامي الاشياء من اصواتها الساذجة ثم يحرك نفوسهم الى الاصطلاح والتواطؤ على التسمية ليسهل التفاهم فيما بينهم والفاظهم الموضوعة يتناقلها قوم و يزيد فيها آخرون وهكذا حسب ما تقتضيه ضرورات التخاطب وصاحب القول الثالث يقول ان بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على ان يضع

المناسبة بين الالفاظ ومعانيها — في المزهر — وقد كاد اهل اللغة يطبقون على

ثبوت المناسبة بين الالفاظ والمعاني قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة فقالوا صرّ وفي صوت البازي تقطيعاً فقالوا صرْصرْ · وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان انها تأتي للاضطراب والحركة نحو الغليان والغثيان فقابلوا بتوالي حركات الامثال حركات الافعال · وقال ابن جني وقد وجدت اشياء كثيرة من هذا النمط من ذلك المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير والزعزعة نحو القلقلة والصلصلة والقعقعة والقرقرة والفعلى تأتي للسرعة نحو الجمزى والزلقى ومن ذلك الخضم لأكل الرطب والقضم لأكل اليابس فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس وغير هذا · وفي الجمهرة الخنن في الكلام اشد من الغنن والخنة اشد من الغنة والانين اشد من الانين والرنين اشد من الحنين والعطعطة تتابع الاصوات في الحرب وغيرها والغطغطة صوت غليان القدر وما اشبهها والجمجمة ان يخفي الرجل في صدره شيأ ولا يبديه والحمحمة ان يردّد الفرس صوته ولا يصهل والقبض الاخذ باطراف الاصابع والقبض الاخذ بالكف كلها · وقال الاصمعي من اصوات الخيل الشخير والنخير والكرير فالاول من الفم والثاني من المنخرين والثالث من الصدر والهَمَل من المطر اصغر من الهطل ومن ذلك المدّ والمط فان فعل المطّ اقوى لانه مدّ وزيادة جذبٌ فناسب الطاء التي هي اعلى من الدال · وفي فقه اللغة للثعالبي النقش في الحائط والرقش في القرطاس والوشم في اليد والوسم في الجلد والوشي في الثوب وقد قالوا زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى من ذلك ما حكاه الزمخشري عن نفسه قال اجتزت يوما بساحل البحر فرأيت رجلا اعرابياً فسألته عن مركبين صغير وكبير فسألته عن اسم الكبير فاشار الى الصغير وقال أليس هذا الشقدف فقلت له بلى فقال فهذا الشقداف · فانظر الى بديع مناسبة الالفاظ

لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الالفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الاضعف فيها والالين والاخفى والاسهل والاهمس لما هو ادنى واقل واخف عملا او صوتا وجعلت الحرف الاقوى والاشد والاظهر والاجهر لما هو اقوى عملاً واعظم حساً اه بتصرف

السبب في وضع الالفاظ — وفي المزهر ايضاً وقال الامام فخر الدين واتباعه السبب في وضع الالفاظ ان الانسان الواحد وحده لايستقل بجميع حاجاته بل لابد له من التعاون ولا تعاون الا بالتعارف ولا تعارف الا باسباب كحركات او اشارات او نقوش او الفاظ توضع بازاء المقاصد وايسرها وافيدها واعمها الالفاظ اما انها ايسر فلأن الحروف كيفيات تعرض لاصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري الممدود من قبل الطبيعة دون تكلف اختياري واما انها افيد فلانها موجودة عند الحاجة معدومة عند عدمها واما انها اعمها فليس يمكن ان يكون لكل شيء نقش كذات الله تعالى والعلوم او اليه اشارة كالغائبات ويمكن ان يكون لكل شيء لفظ فلما كانت الالفاظ ايسر وافيد واعمّ صارت موضوعة بازاء المعاني

لايجب ان يكون لكل معنى لفظ — قال الامام فخر الدين الرازي واتباعه لايجب ان يكون لكل معنى لفظ لان المعاني التي يمكن ان تعقل لاتتناهى والالفاظ متناهية لانها مركبة من الحروف والحروف متناهية والمركب من المتناهي متناهٍ والمتناهي لايضبط مالا يتناهى والا لزم تناهي المدلولات قالوا فالمعاني منها ما تكثر الحاجة اليه فلا يخلو عن الالفاظ لان الداعي لوضع الالفاظ لها حاصل والمانع زائل فيجب الوضع والتي تندر الحاجة اليها يجوز ان يكون لها الفاظ وان لايكون اه

ولم تجيء اللغة مرة واحدة — بل جاءت تباعا سائرة مع الاجتماع الانساني وكانت مركبة في الاصل من مقاطع ساذجة اي كلمات غير متصرفة ولا متغيرة الاواخر ينطق بها دفعة واحدة مشابهة لاصوات الاشياء المنقولة عنها وكانت تستعمل اسماء وافعالا في آن واحد و يعين المراد منها سياقها في الكلام وقرينة الحال ثم دخل في ابنية هذه الكلمات حروف زوائد للدلالة على اختلاف المراد وترقت شيأ فشيأ في التصرف وتغير الاواخر الى ان بلغت ما بلغت من الكمال وكانت اللغة كما قيل واحدة قبل تفرّق بني آدم في ارجاء البسيطة واقاصيها فلما تفرقوا اختلفت لهجاتهم لاختلاف طبائع الاقاليم التي سكنوها فان كل اقليم له مشاهدات ومسموعات ومؤثرات خاصة به ومن هذا نشأ اختلاف اللغات

الفصل الثاني

(في تاريخ اللغة العربية)

بعد هذا الانتشار تناسل ممن استوطن جنوب آسية الغربي قبائل العرب العاربة عاد وثمود وطسم وجديس وعمليق واميم وجاسم فكان لسانهم العربية القديمة الى ان جاء يعرب بن قحطان من ولد ارفخشذ بن سام وغلب عادا على اليمن فاعتدل لسانه من السريانية الى العربية ولذا يقال انه اول من تكلم بالعربية اي من ولد ارفخشذ ذوي اللسان السرياني وسمي بنو قحطان بالعرب المتعربة ونشأ عن ذلك عربية حمير ولما انتقل منهم الى الحجاز جرهم الثانية تعلم منهم اسماعيل عليه السلام العربية وكان لسان ابيه ابراهيم عبرانيا او عبريا ولهذا سمي

بنو اسماعيل بالعرب المستعربة وروى اول من فتق لسانه بالعربية المتينة اسماعيل

مقارنة الفاظ عربية باخرى عبرية ـ والعبرية قريبة من العربية بقدر قرب اللفظين فيقولون في رأس (روش) وفي عين (عاينْ) وفي اذن (اوذِنْ) وفي يد (يادْ) وفي رجل (رِغلْ) وفي اسبوع (شابوع) وفي ساعة (شاعا) وفي ارض (ارِصْ) وسماء (شمايم) وفي كوكب (كوخاب) وفي كرْم (كيريم) وفي زيتون (زايت) وفي اكل (اخال) وفي ذبح (ذاباح) وغير ذلك كثير يكاد ان لايحصي وربما اتحد اللفظ في اللغتين كالحانوت واليوم

ورأيت في الوسيلة الادبية ما نصه بالحرف « وحكي صاحب المثل السائر انه ورد في بعض سياحته مصر فلقي رجلا من بني اسرائيل عالماً فجرى بينهما ذكر اللغة بالفصاحة والملاحة فقال اليهودي كيف لاتكون فصيحة مليحة وهي منتخبة من اللغات ومثل لذلك بلفظ الجمل فقال انه كان بالعبرانية (كوميلا) فغير الى ما سمعت فصار عذباً فصيحاً » واقول انى سمعت من بعض اليهود العارفين بالعبرية ان الجمل يسمى (جمال) فيكون الفرق بينهما الالف بعد الميم وانكر تسميته (كوميلا) الا ان هذا يقرب من اسمه بالرومية

وفي قرب اللغتين وسبق العبرية على العربية دليل على ان الثانية تهذيب للاولى

وتناسل من اسماعيل جيل عظيم كانوا شعوباً وقبائل اختلفت لهجاتهم مع رجوع الكل الى العربية ونشأ عن ذلك ان يقال لغة تميم . لغة هذيل لغة قيس . لغة طيّ . لغة قريش . وغير ذلك

اختلاف لهجات القبائل ـ وهذه العربية المختلفة اللهجات مخالفة ايضاً للهجة حمير وقبائل اليمن ـ وهذا الاختلاف (قد يكون) بابدال حركة باخرى (١) ككسر احرف المضارعة في لغة بهراء فيقولون في نسمع ما نقول (نِسمع

مانقول) ويسمى هذا ـ تلتلة ـ وهي شائعة في لسان اهل مصر ما عدا الهمزة فانهم ينطقون بها مفتوحة (٢) وككسر الكاف في نحو عليكم وبكم في لغة ربيعة وهم قوم من كلب ويسمى هذا ـ وكا ـ (٣) وككسر الهاء في نحو منهم وعنهم وبينهم في لغة كلب مع انه لم يكن قبلها كسرة ولا ياء ويسمى هذا ـ وها ـ

(وقد يكون) بابدال حرف بآخر (١) كابدال الهمزة التي في اول الكلمة عيناً في لغة تميم وقيس فيقولون في اراق الدم (عراق الدم) ويسمى هذا ـ عنعنة ـ ويظهر ان هذا ليس خاصاً بالهمزة الاولى فانه جاء كثأ وكشع اللبن والكثأة والكشعة وموت ذؤاف وذعاف وغير ذلك والفرنج يبدلون العين بالهمزة فيقولون في على (ألى) (٢) وكابدال الحاء عيناً في لغة هذيل فيقولون في حتى حين (عتى عين) ويسمى هذا خفحة ـ والفرنج يبدلون الخاء بالهاء فيقولون في احمد (اهمد) (٣) وكابدال العين الساكنة المتلوة بالطاء نوناً في لغة سعد وهذيل والازد وقيس والانصار فيقولون في اعطاه (انطاه) ويسمى هذا استنطاء ـ وهو شائع الآن في لغة اعراب مصر (٤) وكتبادل الباء والميم في لغة مازن فيقولون في ابني في مكة (امنى في بكة) وفي يرمى من كثب (يرمى من كثم) اي من قرب وفي كتاب مميزات لغات العرب لصديقنا الفاضل حفنى بك ناصف ما نصه

« واهل مديرية الدقهلية وبعض الغربية يبدلون هذا الابدال ولكن لا في كل المواضع بل يبدلون الباء الساكنة اذا تلاها نون فيقولون (يا امنى الجمنة وقعت على التمن) اي يا ابنى الجبنة وقعت على التبن وقسم ديروط من اسيوط يبدلون الميم باء في بعض الكلمات فيقولون (اقعد بكانك) اي مكانك »

(٥) وكابدال كاف المخاطب سيناً مهملة وكاف المخاطبة شيناً معجمة في لغة

ربيعة ومضر فيقولون في منكَ (منسَ) ومنكِ (منش) وتظهر فائدة هذا عند الوقف ويسمى الاول ـ كسكسة ـ والثاني ـ كشكشة ـ (٦) وكابدال الكاف شيناً مطلقاً في لغة اليمن فيقولون في كلمني كلاما فاورثني كلاما (شلمني شلاما فاورثني شلاما) ويسمى هذا ـ شنشنة ـ (٧) وكابدال لام التعريف ميما في لغة حمير فيقولون في القمر والشمس (امقمر وامشمس) ويسمى هذا ـ طُمْطُمانية ـ (٨) وكابدال السين تاء في لغة اليمن ايضاً فيقولون في الناس (النات) ويسمى هذا وتما ـ (٩) وكابدال الجيم من الياء المشددة او المخففة او المفتوحة في لغة قضاعة

فالاول نحو خالى عويف (وابو علج) المطعمان اللحم في (العشج) اي ابوعلى والعشى

والثانى نحو لاهُمَّ ان كنت قبلت (حجنجْ) فلا يزال ساجع باتيك (بج) اي حجتى وبى والساجج السريع من الدواب

والثالث نحو حتى اذا ما امسجت وامسجا اي امسيت وامسيا

ويسمى هذا ـ عجعجة ـ وفي العجعجة كلام غير هذا والترك يجعلون (جى) بدلا من ياء النسب في نحو (مخزنجي)

(وقد يكون) بالحذف نحو حبّ واستحى في احب واستحيا

(وقد يكون) بامالة الالف نحو الياء في لغة عامة نجد فيقولون في هوَى وغوَى (هوِى وغوِى)

(وقد يكون) بتغيير نحو رِضِيَ وَبَقِيَ الى (رَضَيِ وبقَى) في لغة طيّ

(وقد يكون) بتخفيف الهمزة نحو كأس وبئر وشؤم في لغة تميم فيقولون

(كاس و بير وشوم)

التضاد ـ وقد يكون باطلاق اللفظ على ما يباين معناه كاطلاق الجوْن وهو الاسود على الابيض وكاطلاق الوثب على القعود في لغة حمير روى في أصل المثل « من دَخل ظفارِ حمَرَ » ان اعرابياً دخل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك (ثبْ) يريد اقعد بلغته فوثب الاعرابي فسأل الملك عن ذلك فقيل له ان الوثب بلغة العرب هكذا فقال اما انه ليست عندنا عربيت (من دَخلَ ظفار حمرَ) اي تكلم بلغة حمير يضرب لمن يدخل فى القوم فيأخذ بزيهم ومن هذا نشأ التضادّ في اللغة

الترادف ـ وقد يكون باطلاق لفظ آخر على معنى واحد كاطلاق الحوْجم على الورد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وقعت من يده سكين فقال لابى هريرة ناولنى السكين فالتفت ابو هريرة يمنة و يسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ فكرر له القول فقال آلمديه تريد واشار اليها فقيل له نعم فقال او تسمى عندكم سكيناً ثم قال والله لم اكن سمعتها الاّ يومئذ وكان ابو هريرة من قبيلة دوْس ومن هذا نشأ ترادف الالفاظ في اللغة

اشتراك المعاني في لفظ واحد ـ واما اشتراك المعاني في لفظ واحد فيظهر ان ليس منشؤه اختلاف القبائل فاننا لو قلنا بلغة واحدة عامة لزم فيها وجود الاشتراك لان الاشياء التى تستحق التسمية غير متناهية والاسماء متناهية لتركبها من الحروف المتناهية ومن الاشتراك النوى فى الدار والنية والبعد ـ والغروب في قوله

يا ويح قلبى من دواعى الهوى اذ رحل الجيران عند الغُروب (١)
اتبعتهم طرفى وقد ازمعوا ودمع عيني كفيض الغُروب (٢)

بانوا وفيهم طفلة حرّة تفترّ عن مثل اقاحي الغرُوب (٣)

يريد (١) غروب الشمس (٢) والدلاء العظيمة (٣) والوهاد المنخفضة

توجه العرب الى توحيد لغات القبائل — ولاختلاف لهجات القبائل ارادت العرب ان توحد اللغة وتهذبها ليسهل التفاهم فيما بينهم بلسان عام فكانوا يقيمون لذلك حول مكة اسواقهم الشهيرة كسوق عكاظ وذي المجاز ومجنّة و يتناشدون الاشعار و يلقون الخطب و يتبارون في ميادين الفصاحة و يستقضون قضاة يرضون عنهم ليفصلوا بينهم فيما يختلفون فيه فكان القضاة يفضلون من رقت عبارته اوج الفصاحة والبلاغة على غيره و يتخيرون من الالفاظ المترادفة على معنى واحد ما قبله السمع و يهجرون منها ما مجه الطبع فلهذا كان الشاعر او الخطيب يبذل مجهوده في ان تكون الفاظ قصيدته او خطبته فصيحة مألوفة لكل القبائل فبهذا فصحت اللغة وخلصت من شوائب الغرابة والوحشة ولنذكر مثالين لما وصلت اليه اللغة من درجة الفصاحة والبلاغة

خطابة اكثم بن صيفي امام كسرى — الاول — قام اكثم بن صيفي بين يدى كسرى فقال « ان افضل الاشياء اعاليها واعلى الرجال ملوكها وافضل الملوك اعمها نفعاً وخير الازمنة اخصبها وافضل الخطباء اصدقها والصدق منجاة والكذب مهواة والشر لجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء وآفة الرأي الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الامور منقبة الصبر وحسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة واصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي ومن فسدت بطانته كان كالغاص بالماء وشرّ البلاد بلاد لا اميرلها وشرّ الملوك من خافه البرىء وخير الاعوان من لم يراع الصحبة واحق الجنود من حسنت سيرته و يكفيك من الزاد ما بلغك المحل وحسبك من شر سماعه والصمت حلم وقليل فاعله البلاغة

في الايجاز من شدد نفر ومن تراخى الف » ـ فتعجب كسرى من حكم اكثم وامثاله

خطابة قس بن ساعة في سوق عكاظ ـ والثاني ـ خطب قس بن ساعدة في سوق عكاظ فقال « ايها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر يمور اما بعد فان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مالى ارى الناس يموتون ولا يرجعون ارضوا بالاقامة فاقاموا ام تركوا كما هم فناموا

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر »

فصاحة لغة قريش ـ وكانت لغة قريش وهم سكان مكة وضواحيها منتهى هذا الترقي ففاقت غيرها فصاحة وصراحة يشهد لذلك مارواه الاصمعي وهو قال معاوية اي الناس افصح فقال رجل من السماط يا امير المؤمنين قوم ارتفعوا عن فراتية العراق وتياسروا عن كسكسة بكر وتيامنوا عن كشكشة تغلب ليست فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال من هم قال قومك يا امير المؤمنين قال صدقت قال فممن انت قال من جرم قال الاصمعي وجرم فصحاء العرب

﴿ الدخيل في لغة العرب من الالفاظ ﴾

اعلم ان من العرب قبل الاسلام من كان تابعاً للفرس كآل المنذر ملوك الحيرة ومن كان تابعاً للروم كآل غسان ملوك الشام وكان الفرس والروم في ذلك العصر السالف ذوى السلطان وعلو الشان فقضى حكم التبع والاختلاط

على العرب ان يستعملوا في كلامهم الفاظاً فارسية ورومية مع تغيير فيها اذا اقتضاه منهاج لغتهم كما دخل في لغتهم من قبل الفاظ سريانية وحبشية وهندية

(فمن الفارسية) الابريق والاستبرق والاسفيداج (١) والبنفسج والبلور والتنور والجرة والجلنار والخوان والخز والديباج والديوان والرسن والزنديق والسُّكُرُّجة (٢) والسندس والسوسَن والشطرنج والشهر والصندل والطبق والطشت والعنبر والفالوذج والفيروزج والقرفة والقرنفل والكافور والكرويا والمسك والنرجس والنسرين (٣) والياسمين والياقوت

(ومن الرومية) الاسطرلاب والاسفنط (٤) والبستان والبطاقة والبطريق والترياق والخندريس والخوخ والسجنجل والصراط والفردوس والقسطاس والقسطل والقنطار والقنطرة

(ومن السريانية) البَرْنَسا والتامور والترعة والرباني والطور واليم

(ومن الهندية) أُوْج معرب اود ومعناه العلو

(ومن الحبشية) المشكاه وحاريحور بمعنى رجع يرجع

تقسيم الاسماء الاعجمية الى ثلاثة اقسام ــ قال ابوحيان الاسماء الاعجميه على ثلاثة اقسام قسم غيرته العرب والحقته بكلامها فحكم ابنيته في اعتبار

---

(١) الاسفيداج رماد الرصاص كما فى القاموس

(٢) السكرجة آنية صغيرة كانت تستعملها العرب فى الكوامخ واشباهها من الجوارش على الموائد حول الاطعمة للتشهي والمضم وفى الحديث ما اكل نبي على خوان ولا فى سكرجه

(٣) النسرين بالكسر ورد كذا فى القاموس وفى شفاء الغليل ان المعروف فيه الفتح (٤) بالكسر وتفتح الفاء المطيب من عصير العنب او ضرب من الاشربة او اعلى الخمر كذا فى القاموس

الاصلي والزائد والوزن حكم ابنية الاسماء العربية الوضع نحو درهم وبهرج وقسم غيرته ولم تلحقه بابنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذى قبله نحو آجرّ وقسم تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بابنية كلامهم لم يعد منها وما الحقوه بها عد منها مثال الاول خراسان لا يثبت به فعالان ومثال الثانى خرّم الحق بسلم وكرّم الحق بقمقم

الاشتقاق من اللفظ الاعجمي — العرب تأخذ اللفظ العجمي وتتصرف فيه كما تتصرف في اللفظ العربي كقول علي رضى الله عنه مهرجوا لنا كل يوم من (المهرجان) وقولهم تطلس من (الطيلسان) وتقرطق من (القرطق) ودبج من (الديباج) ودوّن من (الديوان) وعلى هذا اذا وجد من اللفظ فعل فلا يكون الفعل شاهدا على ان اللفظ عربى كما زعم ذلك بعض

﴿ الفاظ اسلامية والفاظ اصطلاحية ﴾

ما نطقت به العرب من الالفاظ زمن الجاهلية هو المعتبر عربية صحيحة سواء كان اصيلا او دخيلاً

واما ما حرفوه وادخلوه في لغتهم بعد الاسلام لضرورة اختلاطهم بمغلوبيهم من الامم فليس من العربية الصحيحة لكن لما جاءت الشريعة الاسلامية ونسخت ديانات العرب وكثيراً من آدابهم وعاداتهم وجاءت بآداب واحكام آلهية جديدة تركت الفاظ وخصصت الفاظ بعد ان كانت عامة ونقلت الفاظ من معانيها الاصلية الى معان آخر مناسبة لها

(فمن المتروك) قولهم للملك (الرب) وفى تحيته (ابيت اللعن) وقولهم (انعم صباحاً وانعم ظلاماً) وقولهم (حجراً محجوراً) عند الاستعاذة ممن يخشى

منه او عند ارادة حرمان السائل وقولهم (المرباع (١) والنشيطة والفضول)

الفاظ اسلامية — ومما جاء به الاسلام (الوضوء والتيمم والصلاة والصيام والحج والزكاة والايمان والكفر والنفاق) فان العرب تعرف (٢) الوضوء من الوضاءة وهي الحسن والنظافة فخصص بالعمل المعهود ذي المضمضة والاستنشاق وغسل الوجه واليدين والمسح من الرأس (٢) والتيمم بمعنى القصد والتوخي قال الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مَهْمَهٍ ذى شَزَن

فصار علما على مسح الوجه واليدين بالتراب بدل الوضوء غير المتيسر (٣) والصلاة بمعنى الدعاء قال الاعشى

وصهباء طاف يهوديها وابرزها وعليها ختم
وقابلها الريح فى دَنّها وصلى على دنها وارتسم

أى دعا لها ان لا تحمض ولا تفسد فخصت بما فرضه الله من الاقوال والافعال المعهودة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم (٤) والصوم بمعنى الامساك قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللُّجُما

فخصته الشريعة بامساك الرجل عن المطعم والمشرب والمباشرة من الفجر الى الغروب بشرط النيه (٥) والحج بمعنى القصد قال المخيل السعدى

---

(١) المرباع ربع الغنيمة كان رئيس القوم باخذه لنفسه في الجاهلية ثم صار خمسا في الاسلام والنشيطة في الغنيمة ما اصاب الرئيس قبل ان يصير الى ساحة القوم وحلف الفضول هو ان بعض قبائل العرب تحالفوا بينهم على دفع الظلم واخذ الحق من الظالم سمى بذلك لانهم تحالفوا ان لا يتركوا عند احد فضلا يظلمه احدا الا اخذوه له منه اه من القاموس

واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

نخص بقصد مكة للنسك (٦) والزكاة من زكا اذا نما او طهر وفي حديث على المال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق نخصت بما يخرج من المال للمساكين (٧) والايمان من آمن اذا صدق قال تعالى « وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » نخص بالتصديق بالله ورسوله وما جاء به قال تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » (٨) والكفر من كفره اذا ستره ولهذا كانوا يسمون الزارع بالكافر لستره البذر بالتراب قال تعالى « كمثل غيث اعجب الكفار نباته » ويسمون الليل كافراً لانه يستر بظلمته كل شيء قال لبيد

حتي اذا القت يدا فى كافر واجن عورات الثغور ظلامها

فاطلق على مقابل الايمان بالله ورسوله (٩) والنفاق من نافق اليربوع اذا دخل نافقاءه فاطلق على اخفاء الكفر واظهار الايمان او الرياء

الفاظ اصطلاحية — وبعد ان توطدت دعائم الاسلام اخذ اهلوه في الحضارة والتقدم واتسعت دائرة المعارف بالتصنيف في علوم شتي جاءت الفاظ اصطلاحية فى كل علم

(فمن الفاظ النحو) الاعراب والبناء والرفع والنصب والخفض والضم والفتح والكسر

(ومن الفاظ العروض) الوتد والسبب والخبن والطي والطويل والمديد

(ومن الفاظ القافية) الروى والردف والمجرى والرس والمتكاوس والايطاء

(ومن الفاظ البيان) المجاز والاستعارة والكناية والعلاقة والقرينة والترشيح والتجريد

(ومن الفاظ المعاني) الفصاحة والبلاغة والخبر والانشاء والقصر والفصل والوصل

(ومن الفاظ البديع) الجناس والاستخدام والافتنان والطباق والتورية والمشاكلة

(ومن الفاظ المنطق) التصور والتصديق والجنس والنوع والقضية والشكل والدليل والبرهان

(ومن الفاظ الهندسة) الوتر والقوس والدائره والمحيط والكرة والقطر والمركز وغير ذلك كثير من العلوم والالفاظ

﴿ اللغات العامية ﴾

مع كون لغة قريش صارت السائدة على لغات القبائل الاخرى بفصاحتها وكادت ان تكون لسان التخاطب العام في صدر الاسلام وبقيت في لسان العلماء والادباء وبقايا العرب الخلص ومن خالطهم ولم تزل اللسان العام فى الكتابة والتدوين والتصنيف اخذت لهجات سكان الاقاليم المتباعدة مع تقادم العهد ودخول الدخيل فيهم صوراً من الكلام فاسدة مبدلة عن اصولها بتغيير حركات او زيادة حروف او نقص وغير هذا وصارت هذه الصور المحرفة ملكات راسخة في السنتهم يتكلمون بها فى سرهم وجهرهم ويتقاضون بها اغراضهم وهذه اللهجات هي اللغات العامية كلغة اهل مصر ولغة الشام ولغة الغرب

اللغة الجامعة — ومع اختلاف هذه اللغات اختلافاً ظاهراً حتى يكاد ان لا يفهم اهل لغةٍ لغةَ الآخرين لم يزالوا جميعاً يفهمون العربية الصحيحة الصريحة اذا سمعوها او قرؤها فهي اللغة الجامعة بينهم والسبب في ذلك انهم وان لم يتحاوروا بها تماماً فقد تربت آذانهم على سماعها من الصغر الى الكبر فان اولاد المسلمين فى الشرق

وهم سواد عظيم ان لم نقل السواد الاعظم اول ما يتعلمونه القرآن و يحفظونه او بعضه ثم يتعلمون علوم لسانهم ودينهم واحاديث نبيهم و يحفظون متون ذلك وكل هذا بصحيح اللغة مكتوب ومقروء وغير المتعلمين منهم يسمعون القرآن في مآتمهم وافراحهم وفي منازلهم وحوانيتهم قصد التبرك و يحفظون من سوره وآياته ما تتم به صلواتهم وكثيرا من الادعية والاوراد و يصغون الى مواعظ الوعظاء وخطب الخطباء و يتأثرون بما يسمعون و يحضرون دروس العلماء ليتلقوا عنهم ما ينفعهم في دينهم وهذا كله بالعربية الصحيحة ايضاً فضلا عن كونها لسان الكتابة العام فيما بينهم بها يكتبون رسائلهم الاهلية و يقرؤنها و يسمعونها

وعربية الرسائل وان لم تكن صحيحة من كل وجه فليست بالعامية المحضة ومن شواهد ما تقدم اننا نرى عامة مصر في سمرهم يصغون وكلهم آذان كانما فوق رؤسهم الطير الى راوى قصة عنترة وعربيتها في الجملة صحيحة ولا تخلو من اشعار رقيقة و يتأثرون عند كل توقيع بما يناسبه فيحزنون عند اسر القائد و يفرحون بانتصاره كانهم في ساحة الحرب و يطربون من سماع اخبار ابنة مالك وما قيل فيها من النسيب وغير هذا

فكون كتب العلوم والفنون والآداب بالعربية الصحيحة دون لغة العامة ليس حائلا دون تربيتهم وتقدمهم في المعارف كما ذهب الى ذلك بعض المستشرقين من اهل اوروبا ومال الى ان الكتابة اذا كانت باللغة العامية في الشرق كانت اقرب الى الوصول الى الغاية من التعلم والتربية — وهذه الفكرة كثيرا ما تخطر باذهان الفرنج المختلطين بالشرقيين فيتكلمون بعربيتهم العامة ثم يتعلمون الهجاء العربي و يأخذون في المطالعة فيحسون ان الكلام المقروء ذو تجويد واعراب وهيئة لفظية تغاير ما اعتادته ألسنتهم من لهجة العامة فيستصعبون

الامر جدا و يودون لو يكون المكتوب نفس ما اعتادوا نطقه اولا

وفاتهم ان لغة التخاطب في كل امة لاتطابق تماما لسان الكتابة فيها خصوصاً في القرى البعيدة عن دوائر التعليم كما هو مشاهد ومسموع فليس هذا خاصاً بالشرق نعم درجة التفاوت بين الكلام والمكتوب في ممالك اوروبا اقل عن درجته في ممالك الشرق بسبب ان دائرة التعلم والتعليم في الاولى اوسع منها في الثانية فانه كلما سادت المعارف فى امة تقوّمت ألسنة افرادها وقربت من الصواب وكلما تقلص ظلها اعوجت الالسنة وفسدت ولهذا نرى لهجات المتعلمين اقرب الى الصحة من لهجات الاميين

فاذا كانت حكومات الشرق تسعى في نشر التعليم بين ارجائه القاصية والدانية كما في الممالك الغربية اعتدل المقول وبعد عن الفضول

﴿ الفاظ اجنبية دخيلة في لغة العامة ﴾

دخل في لغة العامة الفاظ اجنبية كثيرة صقلتها الالسنة وقبلتها الآذان واستعملوها كانها عربية

منها « وابور VAPEUR » وعربوه بالقطار كانهم اخذوه من جاءت الابل قطارا اي بعضها وراء بعض على نسق وسماه بعض بالرَتل وهو حسن تناسق الشيء وعربية اللفظ الافرنجي بخار

ومنها « بوستة POSTE » والجرائد تعربها بالبريد وهو حسن والبريد في الاصل البغل والرسول الحامل للرسائل والمسافة ذات الاربعة الفراسخ

ومنها « تلغراف TELEGRAPHE » وعربوه بالسلك والبرق والسلوك البرقية والاشارة

ومنها « بروّة او بروفه EPREUVE » لاول ما يطبع ليقرأ و يصحح او

لصورة الكسوة قبل الخياطة لتختبر وعريتها التجربة والاختبار

ومنها « تياترو THEATRE» وعريتها ملعب أو ملهى

ومثل هذه الالفاظ كثير متداول على الالسنة والذى قضى بذلك ضرورة الاختلاط بالاجانب ويمكن جمع ما جاء من هذا القبيل في معجم خاص به

الفصل الثالث

﴿ فى اول كتاب بلغة العرب ﴾

ان اول كتاب عربي ملأ الارض نوراً والخافقين علما وهدى العالمين الى الصراط السوى بعد الاعتساف فى شعاب الغي فاخرجهم من ظلام الجهالة الى نور المعرفة ومن اودية الاختلاف الى اندية الائتلاف ومن بحر الغواية الى بر الهداية ومن مهوى الشقاوة الى مرقي السعادة وكان اماماً لحضارة العرب ومدنيتهم وآماً لرأس بداوتهم وخشونتهم ونبراس لغتهم ومشكاة ادبهم هو القرآن المبين الذى انزله الله على نبيه الامين فكان الآية الكبرى على نبوته والحجة البالغة على رسالته اذ تحدى ذوى اللسن ان ياتوا بمثال او صورة لآية منهُ او سورة فوقفت قرائحهم وعجزت السنتهم واعترفوا بان الامر لا تبلغه مكنتهم وقد نزل القرآن منجماً فى عشرين سنة على حسب الوقائع مشرعاً للاحكام بين الناس

وقد كتب كله فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتب الآيات والسور لكن غير مجموع فى مصحف واحد بل مفرقاً في الرقاع والالواح والعسب واللخاف

والاكتاف (١)

وكان يحفظه كله او بعضه كثير من الصحابة وقد نظم بعضهم اسماء عشرة من القرّاء في عهده عليه الصلاة والسلام فقال

لقد حفظ القرآن في عهد احمدٍ عليٌّ وعثمان وزيد بن ثابت
ابيٌّ ابو زيد معاذٌ وخالدٌ تميم ابو الدرداء وابن لصامت

وكانوا يقرؤنه (كما تلقوه عنه عليه الصلاة والسلام) على سبعة احرف اي لغات او قراآت «٢»

ولما استحرّ القتل بقراء القرآن يوم اليمامة وقتل منهم سبعون رجلا امر ابو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن من الرقاع المفرقة وصدور الرجال ونسخه في صحف مجموعة من الورق حتى لا يضيع منه شيء ففعل زيد ما امر به وبقيت الصحف عند ابي بكر حتى توفي وعند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر

ولما خيفت الفتنة عند اختلاف اهل العراق والشام في القراآت الواردة حتى كان بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الى الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ان ينسخوها على لغة قريش ففعلوا وارسل المصاحف المنسوخة الى الآفاق ليزول الاختلاف فارسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى

(١) العسب بضمتين جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون خوصه ويكتبون في طرفه العريض واللخاف بكسر اللام جمع لخفه بفتحها وهي الحجارة الرقاق والاكتاف جمع كتف وهو عظم للبعير او الشاة كانوا اذا جف كتبوا عليه (٢) هذا احد الاقوال في تفسير الاحرف فان اردت زيادة بيان فعليك بالاتقان

الكوفة وحبس بالمدينة واحداً

والمصاحف التي بايدينا الآن هي على حسب ما في مصاحف عثمان بن عفان بالضبط والصحة لم يشبها ادنى تبديل ولا تحريف

افادة القرآن للناشئين والمنشئين ـ وفضلاً عن كون القرآن الكريم قوام الشريعة هو مقوّم الالسنة والافئدة فان الناشئين من المسلمين في العصر الاول وبعده عماد ما يتعلمونه في المبدأ القرآن يحفظونه ويجودون قراءته بضبط الحروف والحركات فكانت تتقوم السنتهم وتعتدل لهجاتهم فاذا شبوا درسوه وتعرّفوا معانيه واتخذوه مادتهم اللغوية ونموذج كتاباتهم الانشائية فينبغون في الادب

علوم القراآت والتفسير ـ ولهذا كان مرجع كثير من علوم السلف الى القرآن فمنهم ائمة تصدوا لبيان كيفيات قراءته وكتابته ودونوا من اجل ذلك علوم القراآت والتجويد ورسم المصحف ومنهم آخرون نصبوا انفسهم لتفسير مفرداته وشرح مركباته واسباب نزول آيه وكشف النقاب عن وجوه بلاغته واعجازه ونحو ذلك ولهذا دوّنوا علم التفسير ودوّن غيرهم علوماً اخرى مما يطول شرحه

بعض كتب القراآت المشهورة ـ ومن اشهر كتب القراآت التيسير في القراآت السبع لابي عمرو الداني ولد سنة ٣٧١ هـ وتوفي سنة ٤٤٤ بدانية الاندلس . ومنظومة حرز الاماني المعروفة بالشاطبية من نظم ابي القاسم بن فيرّه الاندلسي ولد بشاطبة سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٥٩٠ بالقاهرة وقد عني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين

بعض كتب التجويد ـ ومن كتب التجويد الجزرية من نظم ابي الخير محمد المعروف بابن الجزري توفي سنة ٨٣٣ هـ

وتحفة الاطفال والغلمان في تجويد القران من نظم الشيخ سليمان الجزوري

من علماء القرن الثاني عشر

بعض كتب الرسم ـ ومن كتب رسم المصحف منظومة رائيه من نظم ابي القاسم السالف الذكر تسمى عقيلة اتراب القصائد في اسنى المقاصد . ورسالة تأليف ابى طاهر اسماعيل بن خلف المقرى ولد سنة ٥٥٤ وتوفي سنة ٦٢٣

وعمدة العرفان في مرسوم القرآن تأليف السيد محمد النابلى المتوفي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري

بعض كتب التفسير المشهورة ـ ومن اشهر كتب التفسير تفسير بن عباس المتوفي سنة ٦٨ في الطائف ويظهر انه اول تفسير دوّن وقد طبع في المطبعة الاميرية في سفر واحد سنة ١٢٩٠ ـ وجامع البيان في تأويل القرآن تأليف الامام ابى جعفر محمد الطبرى ولد سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ ببغداد ويوجد منه ثلاثة وعشرون جزءا بالمكتبة الخديوية ـ وتفسير الامام الحافظ ابي الليث نصر السمرقندى المتوفي سنة ٣٧٥ ـ وغريب القرآن لابى بكر محمد السجستاني توفي سنة ٣٣٠ ـ وغريب القرآن مرتب على حروف المعجم تأليف الامام ابى عبيد احمد الهروي المتوفي سنة ٤٠١ ـ ومفردات الفاظ القرآن تأليف الشيخ ابى القاسم حسين المعروف بالراغب الاصبهاني كان في اوائل المائة الخامسة ـ والكشاف للامام ابى القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي ولد سنة ٤٦٧ وتوفي سنة ٥٣٨ بجرجانية خوارزم وقد طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٢٨١ وفي غيرها ـ ومفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير تأليف الامام ابي عبد الله محمد الطبرستاني فخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب ولد سنة ٥٤٤ وتوفي بمدينة هراة سنة ٦٠٦ وقد طبع في بولاق سنة ١٢٧٨ وهو ذو ستة اجزاء ـ وتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوى المتوفي بتبريز سنة ٦٨٥ وقد طبع في الاستانة

ـ ولباب التأويل في معاني التنزيل تأليف علاء الدين البغدادي المعروف بالخازن ولد سنة ٦٧٠ وتوفي سنة ٧٤١ بحلب وقد طبع سنة ١٢٨٧ بمطبعة الموبلجي ـ والفية في غريب الفاظ القرآن تأليف الشيخ زين الدين الكردي نزيل القاهرة ولد سنة ٧٢٥ وتوفي سنة ٨٠٦ ـ وتفسير الفناري شمس الدين محمد الرومي ولد سنة ٧٥١ وتوفي سنة ٨٣٤ ـ وتفسير الجلالين جلال الدين المحلي المولود سنة ٧٩١ بمصر والمتوفي سنة ٨٦٤ ـ وجلال الدين السيوطي المولود سنة ٨٤٩ والمتوفي سنة ٩١١ وقد طبع في المطبعة الاميرية وغيرها ـ ومفحمات الاقران في مبهمات القرآن تأليف جلال الدين السيوطي وقد طبعت في بولاق سنة ١٢٨٤ ـ والسراج المنير تأليف الخطيب الشربيني المتوفي سنة ٩٧٧ وقد طبع في بولاق في اربعة اجزاء ـ وارشاد العقل السليم المعروف بتفسير ابي السعود وقد طبع في بولاق سنة ١٢٨٩ ـ وروح البيان في تفسير القرآن تاليف الشيخ اسماعيل حقي من علماء القرن الثاني عشر تم تأليفه سنة ١١١٧ وقد طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٢٥٥ ـ وروح المعاني تأليف ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي مفتي بغداد من علماء القرن الثالث عشر الهجري وقد طبع في بولاق سنة ١٣٠١ في تسعة اجزاء وهذه الكتب توجد هي وغيرها بالمكتبة الخديوية وما ذكرناه غرفة من بحر

﴿ حكم وآداب من القرآن ﴾

فضلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته وتشخيصه صورة لغة العرب وافادته مريدي هذه اللغة والمنشئين فان فيه من الحكم والآداب ما فيه كمال النفوس وتحليها بالفضائل ولنغترف غرفة من بحر هذه الحكم والآداب فنقول

قال تعالى (في سورة البقرة) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ـ اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون ـ

كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ـ و بالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ـ ولكم في القصاص حياة ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ـ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ـ يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ـ وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ـ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ـ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى ـ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ـ يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ـ يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ـ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ـ ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ـ ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه

(وفي سورة آل عمران) لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ـ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر

(وفي سورة النساء) وآتوا اليتامى اموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا ـ ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ـ ولا تتمنوا ما فضل الله

به بعضكم على بعض ـ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ـ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ـ لايحب الله الجهر بالسوء من القول

(وفي سورة المائدة) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ـ يا أيها الذين امنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لاتعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ـ من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكانما احيا الناس جميعاً ـ يا أيها الذين امنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم ـ يا أيها الذين امنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضلّ اذا اهتديتم

(وفي سورة الاعراف) وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ـ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ـ خذِ العفو وأمرْ بالمعروف واعرض عن الجاهلين

(وفي سورة الانفال) فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ـ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ـ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ـ ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين

(وفي سورة هود) ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

(وفي سورة الحجر) فاصفح الصفح الجميل ـ فاصدع بما تؤمر

(وفي سورة النحل) ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ـ واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ـ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

(وفي سورة الاسراء) ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ـ ولا تزر وازرة وزر اخرى ـ و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ـ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ـ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ـ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايا كم ان قتلهم كان خطا كبيرا ـ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ـ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ـ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده ـ واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا ـ واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ـ ولا تقف ما ليس لك به علم ـ ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

(وفي سورة النور) لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم

(وفي سورة لقمان) يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كلّ مختالٍ فخورٍ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير

(سورة الحجرات) يا ايها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله توّاب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم

من اعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنّون عليك ان اسلموا قل لا تمنّوا على اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون

الفصل الرابع

﴿ في السنة او الاحاديث النبوية ﴾

ويلي القرآن الكريم في المنزلة السنة او الاحاديث النبوية من حيث اللغة والانشاء والحكم والآداب وكانت الصحابة تحفظها وانما كانوا لا يكتبونها خشية اختلاطها بالقرآن وكان احفظ الصحابة واكثرهم حديثاً ابو هريرة ثم ابن عباس وانس بن مالك وعائشة وابو سعيد الخدري وابو الدرداء وابن مسعود وغيرهم

وروي الاحاديث عن الصحابة التابعون واحفظهم سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير وابن شهاب الزهري وخارجة بن زيد وابو سلمة وسعيد بن جبير وقتادة الاعمش وغيرهم وروى عن التابعين تابعوهم

ابتداء تدوين الاحاديث ـ وكان ابتداء تدوين الحديث على راس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز فانه كتب الى الآفاق « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » ودوّنه بامره ابن شهاب الزهري وغيره

موطأ مالك بن انس ـ وفي عصر ابي جعفر المنصور المتولي الخلافة العباسية

سنة ١٣٧ صنف الامام مالك ابن انس الموطأ باشارته وقد قال له الخليفة انه لم يبق على وجه الارض اعلم منى ومنك وانى قد شغلتنى الخلافة فضع للناس كتاباً ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر و ووطئه للناس توطئه قال مالك والله لقد علمنى التصنيف وكان تصنيف الموطأ بالمدينة. وفي هذا العصر و بعده صنف في السنة كثير من الائمة كل على حسب ما سنح له وانتهى اليه علمه

وكانت الاحاديث تدوّن ممزوجة باقوال الصحابة وفتاوي التابعين وغيرهم ممزوجاً فيها الصحيح بغيره الى ان جاء (١) الامام محمد بن اسماعيل البخارى المولود في بخارى سنة ١٩٤ وصنف كتابه في الاحاديث الصحيحة خاصة والسبب في ذلك على ما روى عنه انه قال كنا عند اسحاق بن راهويه فقال لو جمعتم كتاباً مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك في قلبي فاخذت في جمع الجامع الصحيح وقد الفته في بضع عشرة سنة وفيه من الاحاديث (كما في تقريب النواوي) سبعة الاف ومائتان وخمسة وسبعون بالمكررة و بحذف المكرر اربعة الاف (وفي غيره مايخالف ذلك)

وقد طبع صحيح البخارى عدة مرات في مصر وغيرها وفي عصرنا الحاضر سنة ١٣١٣ امر امير المؤمنين السلطان عبد الحميد بطبع خمسة الاف نسخة منه بمطبعة بولاق الاميرية وامران تراجعه وتصححه طائفة من علماء الازهر وان توزع النسخ المطبوعة على العلماء ومواضع العلم وقد منحت نظارة معارفنا منه خمسمائة نسخة فوزعتها على اهليها

وقد اعتنى الائمة بصحيح البخارى فمنهم من شرحه ومنهم من اختصره فمن الشارحين له الحافظ بن حجر المولود سنة ٧٧٣ وسمى شرحه فتح البارى

وهو احد عشر جزءا ـ والقسطلانى المولود بمصر سنة ٨٥١ وسمى شرحه ارشاد الساري وهو عشرة اجزاء وكلا الشرحين مطبوع بمطبعة بولاق الاميرية

ومن المختصرين له الامام ابن ابى جمرة المتوفي سنة ٦٧٥ ومختصره مشهور ومطبوع

ومنهم الامام الحسين الزبيدي فرغ من مختصره المسمى بالتجريد سنة ٨٨٩

ثم تلا البخارى (٢) تلميذه مسلم فصنف جامعاً آخر في الاحاديث الصحيحة وفيه اربعة آلاف حديث باسقاط المكرر (كما في تقريب النواوي) (وفي التقريب وشرحه) واختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد باسانيده المختلفة والفاظه المختلفة فسهل تناوله بخلاف البخاري فانه قطعها في الابواب بسبب استنباطه الاحكام منها

وقد شرح صحيح مسلم النووى وطبع الصحيح وحده ومع الشرح وطبع ايضاً شرح النووى على هامش شرح القسطلاني بالمطبعة المذكورة

وصحيح البخارى وصحيح مسلم هما اصح الكتب بعد القرآن العزيز

وصنف بعدهما في الصحيح ابو داود السجستاني المتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥ وابو عيسى الترمذي المتوفي بترمذ سنة ٢٧٩ وابو عبد الرحمن النسائي المتوفى بفلسطين سنة ٣٠٣ وابن ماجه القزويني المتوفي سنة ٢٧٣

كتب الاحاديث الستة ـ قال في مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى ان الكتب الستة المشهورة المقررة في الاسلام التي يقال لها الصحاح الست هي صحيح البخاري وصحيح مسلم والجامع للترمذي والسنن لابي داود والنسائي وسنن ابن ماجه وعند البعض الموطأ بدل ابن ماجه وصاحب جامع الاصول اختار الموطأ وفي هذه الكتب الاربعة اقسام من الاحاديث من الصحاح والحسان والضعاف وسمي صاحب المصابيح احاديث غير الشيخين بالحسان اه

حكم وآداب من السنة

جاء في الحديث الشريف — ان من اخيركم احسنكم خُلقاً · وفيه ان خياركم احاسنكم اخلاقا · وفيه ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره · وفيه المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً · وفيه تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه · وفيه الكلمة الطيبة صدقة · وفيه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه · وفيه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او يصمت · وفيه ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه · وفيه من لا يَرْحم لا يُرْحم · وفيه من اكبر الكبائر ان يلعن الرجلُ والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجلُ والديه قال يَسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه وامه · وفيه ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ومَنْعَ وهاتِ ووأدَ البنات وكرِه لكم قيل وقال وكثرةَ السؤال واضاعةَ المال · وفيه من سرّهُ ان يبسط له فى رزقه وان ينشأ له في اثره فليصل رحمه · وفيه اياكم والظنّ فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا · وفيه لايحلّ للرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام · وفيه آية المنافق ثلاث اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان · وفيه ليس الشديد بالصُّرَعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب · وفيه اذا لم تستحى فاصنع ما شئت · وفيه يسّروا ولا تعسّروا وسكنوا ولا تنفروا · وفيه خالط الناس ودينك لا تكلِمنَّهُ · وفيه قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار · وفيه ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد

اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى · وفيه لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال · وفيه لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين · وفيه اياكم والجلوس بالطرقات فقالوا يا رسول الله مالنا من مجالسنا بدّ نتحدث فيها فقال اذا ابيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذي ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر · وفيه اذا استأذن احدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع · وفيه من رأى من اميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه · وفيه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده · وفيه اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مؤمناً واحبّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما · وفيه من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذاك اضعف الايمان · وفيه اطلبوا العلم ولو بالصين · وفيه من تعلم وهو شاب كان كرسم في حجر ومن تعلم وهو في الكبر كان كالكاتب على ظهر الماء · وفيه من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة · وفيه من ظلم معاهدا او انتقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا خصمه يوم القيامة · وفيه دع ما يريبك الى ما لا يريبك · وفيه اياكم والبطنة في الطعام والشراب فانها مفسدة للجسد تورث السقم ومكسلة عن الصلاة وعليكم بالقصد فيهما فانه اصلح للجسد وابعد من السرف · وفيه اياك وكل امر يعتذر منه · وفيه الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله · وفيه من دل على خير فله اجر فاعله · وفيه رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين · وفيه طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة

الفصل الخامس

(في جواز الاستشهاد بالقرآن والحديث في علوم الادب)

يجوز الاستشهاد في علوم الادب بالقرآن الكريم وهذا بالاجماع من العلماء لانه ابلغ كلام عربي بقي لفظه محفوظا الى الآن كما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم فان الدين يقضي بعدم جواز تحريف في نصه الشريف واختلف في جواز الاستشهاد باحاديث السنة فجوزه ابن مالك ومنعه ابن الضائع وابوحيان محتجين بامرين الاول ان الاحاديث لم تنقل كما سمعت عنه عليه الصلاة والسلام وانما رويت بالمعنى والثاني ان ائمة النحو المتقدمين من البصرة والكوفة لم يحتجوا بشيء منها . ورُدّ الاول على تقدير تسليمه بان النقل بالمعنى انما كان في الصدر الاول قبل تدوين الاحاديث في الكتب وقبل فساد اللغة وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق ورُدّ الثاني بانه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به قال ابو الحسن بن الضائع في شرح الجمل تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الاولى في اثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لانه افصح العرب وقال ابوحيان في شرح التسهيل قد اكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب وما رأيت احدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين الاحكام من

لسان العرب كابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الاحمر وهشام الضرير من ائمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الاذكياء فقال انما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجري القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية وانما كان كذلك لامرين احدهما ان الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت في زمنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بتلك الالفاظ جميعها نحو ما روى من قوله زوجتكها بما معك من القرآن ملكتكها بما معك من القرآن خذها بما معك من القرآن وغير ذلك من الالفاظ الواردة فنعلم يقينا انه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ بل لايجزم بانه قال بعضها اذ يحتمل بانه قال لفظاً مرادفاً لهذه الالفاظ فاتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه اذ المعنى هو المطلوب ولا سيما لتقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة والاتكال على الحفظ والضابط منهم من ضبط المعنى واما من ضبط اللفظ فبعيد جدا لاسيما في الاحاديث الطوال وقد قال سفيان الثوري ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى ومن نظر في الحديث ادنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون بالمعنى ـ الامر الثاني انه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن في كلامهم وهم لايعلمون ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب ونعلم قطعاً من غير شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب فلم يكن يتكلم الا بافصح اللغات واحسن التراكيب

واشهرها واجزلها واذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع اهل تلك اللغة على طريق الاعجاز وتعليم ذلك له من غير معلم والمصنف قد اكثر من الاستدلال بما ورد في الاثر متعقباً بزعمه على النحويين وما امعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز وقد قال لنا بدر الدين بن جماعة وكان ممن اخذ عن ابن مالك قلت له يا سيدي هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم انه ليس من لفظ الرسول فلم يجب بشيء قال ابو حيان وانما امعنت الكلام في هذه المسئلة لئلا يقول مبتدئ ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ولا يستدلون بما روى في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم واضرابهما فمن طالع ما ذكرناه ادرك السبب الذي لاجله لم يستدل النحاة بالحديث اه من خزانة الادب للبغدادي قال الشاطبي الحديث على قسمين قسم اعتنى ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد اهل اللسان وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالاحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ككتابته لهمذان وكتابته لوائل بن حجر والامثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به في العربية وتبعه السيوطي في الاقتراح فقال واما الحديث فيستدل منه بما ثبت انه قاله عليه الصلاة والسلام على اللفظ المروى وذلك نادر جدا انما يوجد في الاحاديث القصار على قلة ايضاً فان غالب الاحاديث مروى بالمعنى وقد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها كما ادت اليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا واخروا وابدلوا الفاظاً بالفاظ ولهذا نرى الحديث الواحد مرويا على اوجه شتى بعبارات مختلفة قال الدماميني في شرح التسهيل قد اكثر المصنف من الاستدلال بالاحاديث النبوية وشنع ابو حيان عليه وقال ان ما استند اليه من ذلك لا يتم له لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بان ذلك

المحتج به لفظه عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة وقد اجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب راى ابن مالك فيما فعله بناء على ان اليقين ليس بمطلوب في هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناط الاحكام الشرعية وكذا ما توقف عليه من نقل مفردات الالفاظ وقوانين الاعراب فالظن في ذلك كله كاف ولا يخفى انه يغلب على الظن ان ذلك الموكول المحتج به لم يبدل لان الاصل عدم التبديل لا سيما والتشديد في الضبط والتحرى في نقل الاحاديث شائع بين النقله والمحدثين ومن يقل منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذي لا ينافي وقوع نقيضه فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى فيغلب على الظن من هذا كله انها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها ثم ان الخلاف في جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب واما ما دون وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل الفاظه من غير خلاف بينهم قال ابن الصلاح بعد ان ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى ان هذا الخلاف لا نراه جاريا ولا اجراه الناس فيما نعلم فيما تضمنته بطون الكتب فليس لاحد ان يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر اه وتدوين الاحاديث والاخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام اولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ثم دون ذلك المبدل على تقدير التبديل ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قال ابن الصلاح فبقى حجة في بابه ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتاخر والله اعلم بالصواب اه كلام الدماميني من خزانة الادب

الفصل السادس

﴿ في بعض ما اشتهر من كتب اللغة ﴾

مرجع التأليف في اللغة — قبل الخوض في بيان بعض الكتب المصنفة في اللغة نذكر ما جاء في كشف الظنون وهو بنصه « ان مقصد علم اللغة مبنى على اسلوبين لان منهم من يذهب من جانب اللفظ الى المعنى بان يسمع لفظاً ويطلب معناه ومنهم من يذهب من جانب المعنى الى اللفظ فلكل من الطريقين قد وضعوا كتباً ليصل كل الى مبتغاه اذ لا ينفعه ما وضع فى الباب الآخر فمن وضع بالاعتبار الاول فطريقته ترتيب حروف التهجي اما باعتبار اواخرها ابواباً واوائلها فصولا تسهيلاً للظفر بالمقصود كما اختاره الجوهري فى الصحاح ومجد الدين في القاموس واما بالعكس اي باعتبار اوائلها ابواباً واواخرها فصولا كما اختاره ابن فارس في المجمل والمطرزى في المغرب ومن وضع بالاعتبار الثاني فالطريق اليه ان يجمع الاجناس بحسب المعاني ويجعل لكل جنس بابا كما اختاره الزمخشري في قسم الاسماء من مقدمة الادب ثم ان اختلاف الهمم قد اوجب احداث طرق شتي فمن واحد ادّى رأيه الى ان يفرد لغات القرآن ومن آخر الى ان يفرد غريب الحديث وآخر الى ان يفرد لغات الفقه كالمطرزي في المغرب وان يفرد اللغات الواقعة في اشعار العرب وقصائدهم وما يجري مجراها كنظام الغريب والمقصود هو الارشاد عند مساس انواع الحاجات » اه

﴿ كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي ﴾

(ومختصره للزبيدي الاشبيلي)

ممن نبغ في الادب في المائة الثانية الخليل بن احمد البصري الفراهيدي او الفرهودي وهو اول من ضبط لغة العرب والف فيها كتاب العين وسماه بالعين لانه بدأه بالكلام التي اولها العين وابتدأ بها لانها من الحروف القاصية واكثر في الكلام دورانا ولا يلحقها تغيير ولا حذف مثل الهمزة والالف ولا همس مثل الهاء وهي انصع من الحاء . وترتيب مواد الكتاب اللغوية مبني على مخارج الحروف من الحلق الى الشفتين هكذا ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ى قال ابن خلدون « ان الخليل حصر في كتاب العين مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يزيد عليها حرف فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي

ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمى كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته باول مايقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب واوعاه اه

وقد وقع في كتاب العين خلط وغلط ولهذا انكروا نسبته الى الخليل وقالوا انه من جمع الليث بن نصر عن الخليل وقيل انه كان قد شرع فيه ورتب اوائله وسماه العين ثم توفي سنة ١٧٠ بعد الهجرة فاكمله تلامذته النضر بن شميل ومؤرج السدوسي ونصر بن على الجضمى ومن في طبقتهم فما جاء عملهم مناسبا لما وضعه الخليل في الاول فاخرجوا الذى وضعه اولا وصنفوا بدله فلهذا وقع فيه خلل كثير بعد وقوع الخليل في مثله

قال السيوطي وقد طالعته فرايت وجه التخطئة غالبة من جهة التصريف والاشتقاق كذكر حرف مزيد في مادة اصلية اومادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك

واما كون الخطأ في لفظة من حيث اللغة بان يقال هذه اللفظة كذب اولا تعرف فمعاذ الله لم يقع ذلك وحينئذٍ لاقدح فيه فالانكار راجع الى الترتيب والوضع الاولى وهذا امر هين لا يمنع الوثوق بالخليل والاعتماد عليه في نقل اللغة اه

وفي المائة الرابعة ـ اختصر كتاب العين ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي من علماء الاندلس مستدركا ماوقع فيه من الغلط حاذفا المهمل و كثيراً من شواهد المستعمل فجاء كتاباً مختصراً لطيفاً فاق اصله وفضل عليه واعجب الناس به كثيراً ولهجوا به وتوفي مؤلفه باشبيليه سنة ٣٧٩ بعد الهجرة

﴿ كتاب الجمهرة لابن دريد والتهذيب للازهرى ﴾

وفي المائة الثالثة ـ الف ابو بكر محمد بن دريد المولود بالبصرة سنة ٢٢٣ كتاب الجمهرة وهو مبدوء باب ثم ات ثم اج الى آخر الحروف ثم بت وبث وبج وهكذا وبعد المضاعف يذكر الالفاظ الثلاثية ثم الرباعية وهكذا فهو مرتب على حروف المعجم . قال الازهري ممن الف الكتب في زماننا ورمى بافتعال العربية وتوليد الالفاظ ابو بكر بن دريد وقال سألت عنه ابراهيم بن عرفه يعنى نفطويه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته وهجاه بقوله

ابن دريد بقرة وفيه عىّ وشره
ويدعى من حمقه وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين الا انه قد غيره

قال السيوطى في المزهر معاذ الله هو برىء ومن طالع كتاب الجمهرة رأى تحريه في روايته ولا يقبل فيه طعن نفطويه لانه كان بينهما منافرة عظيمة بحيث ان ابن دريد هجاه بقوله

لو انزل الوحى على نفطويه لكان ذاك الوحى سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه مستاهل الصفع على اخدعيه
احرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

قال بعضهم وكان لابي على القالي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها وكان قد اعطى فيها ٣٠٠ مثقال فابي فاشتدت الحاجة به فباعها باربعين مثقالا وكتب عليه هذه الابيات

انست بها عشرين عاماً وبعتها وقد طال وجدي بها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم املك سوابق عبرتى مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهن ضنين

قال فارسلها الذي اشتراها وارسل معها اربعين دينارا اخرى · ومات ابن دريد ببغداد سنة ٣٢١

والف ابو منصور محمد بن احمد الازهري المولود سنة ٢٨٢ كتاب تهذيب اللغة وهو كتاب كبير معتبر في اللغة مرتب على الحروف باعتبار مخارجها كترتيب كتاب العين (وسيأتي مزيد وصف لهذا الكتاب في الكلام على كتاب المحكم لابن سيده وتوفي الازهري بمدينة هراة سنة ٣٧٠

﴿ كتاب الصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس ﴾

وفي المائة الرابعة — صنف الشيخ ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري كتاب تاج اللغة وصحاح العربية على ترتيب لم يسبق اليه فجعله ثمانية وعشرين باباً مرتبة على حروف المعجم الباب الاول باب الالف المهموزة وفيه الكلمات المنتهية

بالهمزة والباب الثاني باب الباء وفيه الكلمات المنتهية بالباء والباب الثالث باب التاء والرابع الثاء وهكذا الى آخر الحروف الا انه جعل الواو والياء في باب واحد ذكره بعد باب الهاء وذكر باب الالف اللينة اخيرا وفي كل باب من هذه الابواب يذكر عدة فصول فصل الالف وفيه الكلمات المبدوءة بالهمزة ثم فصل الباء وفيه الكلمات التي اوائلها باء ثم فصل التاء ثم فصل الثاء وهكذا الى الآخر الا انه قدم فصل الواو من كل باب على فصل الهاء وكان يجب ان يكون عدد الفصول في كل باب ٢٨ الا ان هذا العدد لم يكمل الا في خمسة ابواب الالف المهموزة واللام والميم والنون و باب المعتل والابواب الباقية منها ما نقص فصلا ومنها ما نقص فصلين وهكذا والباب الاخير لم يفصل فيه واسقاط الفصول ناشيء عن كون كلماتها مهملة او معرّبة او غير لازمة في الاستعمال والمعتبر في الابواب والفصول اصل المادة وحروف اوساط الكلم مراعى فيها ترتيب حروف المعجم ايضاً

فاذا اردت ان تكشف في هذا الكتاب عن الكلم (بهظ) و (جوانح) و (توقان) و (استئثار) فابحث عن الاولى في باب الظاء فصل الباء وعن الثانية في جنح من باب الحاء فصل الجيم وعن الثالثة فى توق من باب القاف فصل التاء وعن الرابعة في اثر من باب الراء فصل الهمزة

ومن اصطلاح الصحاح وتبعه غيره فيه انه اذا ذكر لفظا وقال عقبه بالكسر او الفتح او الضم فالضبط لاول حرف ان كان اسما ولعينه ان كان فعلا واذا قال بالتسكين كان للثاني واذا قال محركا او بالتحريك يكون اللفظ بفتحتين ومحل كون الضبط للاول في غير المفعلة فالضبط فيها للعين

وسمي الجوهري كتابه بالصحاح بالكسر جمع صحيح او الفتح مفردا كصحيح

لانه التزم فيه ذكر الصحيح من اللغة بخلاف غيره من الكتب قبله فانها لم تلتزمه بل جمعت ماصح وغيره ونبهت على مالم يثبت غالبا ولذا قالوا ان صحاح الجوهري في اللغة نظير صحيح البخاري في الحديث قال الجوهري في خطبة كتابه « قد اودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم اسبق اليه وتهذيب لم اغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها الا ان يهمل من الابواب جنس من الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية واتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ولم آل في ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا » وجمع الجوهري في صحاحه اربعين الف مادة

وقد كثر تداول هذا الكتاب واشتهر شهرة عظيمة لحسنه وسهولته وما فيه من الفوائد والقواعد والشواهد لكن قل تداول الناس له في هذه الايام لانه طبع خلوا من ضبط الكلمات اللغوية ومالوا الى القاموس لطبعه مضبوطاً ولزيادة مواده وكثير من الفضلاء يفضلون الصحاح على القاموس لسهولة عباراته وكثرة شواهده الرصينة ولعدم تكلفه الاجمال في الكلام والاختصار البالغ حده وتوفي الجوهري في حدود الاربعمائة وقيل سنة ٣٩٣

قال السيوطي وكان في عصر صاحب الصحاح ابن فارس فالتزم ان يذكر في مجمله الصحيح قال في اوله قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح منه دون الوحشي المستنكر ولم نأل في اجتناء المشهور الدال على تفسير حديث او شعر والمقصود في كتابنا هذا من اوله الى آخره التقريب والابانه عما ائتلف من حروف العربية فكان كلاماً وذكر ما صح من ذلك سماعا او من كتاب لايشك في صحة نسبه لان من علم ان الله تعالى عند مقال كل قائل فهو حرى بالتحرج

من تطويل المؤلفات وتكثيرها بمستنكر الاقاويل وشنيع الحكايات فقد كان يقال من تتبع غرائب الاحاديث كذب ونحن نعوذ بالله من ذلك وقال في آخره قد توخيت فيه الاختصار وآثرت فيه الايجاز واختصرت على ما صح عندي سماعاً او من كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم اشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا اه

قال احمد فارس انه رأى خطبة المجمل على غير النسق الذي نسقه الامام السيوطي ثم ذكر نصها وجاء في آخر النص « وسميته مجمل اللغة لاني اجملت فيه الكلام ولم اكثره بالشواهد والتصاريف ارادة الايجاز وذلك اني خرّجته على حروف المعجم فجعلت كل كلمة اولها الف في كتاب الالف وكل كلمة اولها باء في كتاب الباء حتى اتيت على آخر الحروف كلها » وتوفي ابن فارس القزويني سنة ٣٩٨

﴿ كتابا المحكم والمخصص لابن سيده ﴾

الف ابو الحسن علي المعروف بابن سيده الاندلسي المولود في دولة علي ابن مجاهد سنة ٣٩٧ كتاب المحكم على نحو ترتيب كتاب العين قال ابن خلدون « وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصاريفها فجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلم وبناء التراجم عليها فكانا توأمي رحم وسليلي ابوّه »

قال ابو الفضل بن منظور في خطبة كتابه لسان العرب « ولا اقول شافهت او سمعت او شددت او رحلت او نقلت عن العرب العرباء او حملت فهذه دعاوي لم يترك فيها الازهري وابن سيده مقالا لقائل فانهما عينا في

كتابيهما عمن رويا وبرهنا عما حويا ولعمري لقد جمعا فاوعيا واتيا بالمقاصد فوفيا وهما من امهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما ثنيات للطريق غير ان كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وحلأهم عنه وارتاد لهم مرعى مريعاً ومنعهم منه قد اخر وقدم وقصد ان يعرب فاعجم فرق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب وبعد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب فاهمل الناس امرهما وانصرفوا عنهما وكادت البلاد لعدم الاقبال عليهما تخلو منهما وليس لذلك سبب الاسوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب »

والف ابن سيده كتاباً آخر في اللغة سماه المخصص جمع فيه الاجناس بحسب معانيها وجعل لكل باب جنسا وما تعلق به وهو نافع لمن يذهب من جانب المعني الى جانب اللفظ عكس المشهور قال في خطبته « فلما رأيت اللغة على ما اريتك من الحاجة اليها لمكان التعبير عما تتصوره وتشتمل عليه نفوسنا وخواطرنا احببت ان اجرد فيها كتابا يجمع ما تنشر من اجزائها شعاعا وتنثر من اشلائها حتى قارب العدم ضياعاً ..... ثم اني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسا لادل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة اردت ان اعدل به كتاباً اضعه مبوّباً حين رأيت ذلك اجدى على الفصيح المِذره والبليغ المُفوّه والخطيب المِصقع والشاعر المجيد المِدْقع فانه اذا كان للمسمى اسماء كثيرة وللموصوف اوصاف عديدة تنقي الخطيب والشاعر منها ما شاء واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع او قافية على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسه كالبساتين تجمع انواع الرياحين فاذا داخلها الانسان اهوت يده الى ما استحسنته حاستا نظره وشمه »

وفي المكتبة الخديوية نسخة من المخصص ذات ١٧ سفرا مكتوبة بقلم

مغربي فيها خروم وتقديم وتأخير والآن يطبع بمطبعة بولاق الاميرية وتوفي ابن سيده بدانية سنة ٤٥٨

﴿ فقه اللغة للثعالبي ﴾

الف ابو منصور الثعالبي النيسابوري المولود سنة ٣٥٠ كتاب فقه اللغة وسر العربية في ثلاثين بابا تتضمن من الفصول ما يناهز ستمائة فصل جمع في كل منها من الالفاظ ماهو من واد واحد فهو مفيد لمن يذهب من جانب المعنى الى جانب اللفظ كالمخصص لابن سيده وتوفي الثعالبي سنة ٤٢٥

﴿ كتاب اساس البلاغة للزمخشري ﴾

الف ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المولود سنة ٤٦٧ كتاب اساس البلاغة على الترتيب المعهود في حروف المعجم بجعل الكلم المبدوءة بالهمزة في باب والمبدوءة بالباء في آخر والمبدوءة بالتاء في ثالث وهكذا وراعى في ترتيب اوساط الكلم من كل باب ما راعاه في ترتيب اوائلها والكتاب ليس قاصرا على افادة اللغة بل يرشد ايضاً الى مناهج الانشاء لكثرة ما فيه من السجع والشواهد والامثال وبيان المجاز قال ابن خلدون « ومن الكتب الموضوعة ايضاً في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز بين فيه كلّ ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة » ولحسن ترتيبه يسهل على الطالب الكشف منه على معاني الكلم لكن ربما ابطأ به عن نوال المطلوب اقتصار المؤلف في الغالب على وضع الكلمات في التراكيب دون ذكر معانيها صراحا اعتمادا على فهم المطالع واستنباطه معنى الكلمة من الجملة فلهذا ربما يصح ان يقال انه كتاب مطالعة لا مراجعة وفضلا عن هذا قد طبع غير مضبوط بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩ وتوفي الزمخشري سنة ٥٣٨

نهاية ابن الاثير

الف الامام مجد الدين ابو السعادات الجزري المعروف بابن الاثير المولود في جزيرة ابن عمرو سنة ٥٤٤ كتابه الموسوم بالنهاية في غريب الحديث والاثر جمع فيه من غريب الحديث ما في كتابي الهروي وابي موسى الاصفهاني في غريبي القرآن والحديث وزاد عليهما قال « وقد سلكت طريق الكتابين في الترتيب والوضع على حروف المعجم بالتزام الحرف الاول والثاني من كل كلمة واتباعهما بالحرف الثالث منها على سياق الحروف الا اني وجدت في الحديث كلمات كثيرة في اوائلها حروف زائدة قد بنيت الكلمة عليها حتى صارت كأنها من نفسها وكان يلتبس موضعها الاصلي على طالبها فرأيت ان اثبتها في باب الحرف الذي هو اولها وان لم يكن اصلياً ونبهت عند ذكره على زيادته .... وجعلت على ما فيه من كتاب الهروي (هاء) بالحمرة وعلى ما فيه من كتاب ابي موسى (سينا) وما اضفته من غيرهما مهملا من غير علامة » وتوفي ابن الاثير بالموصل سنة ٦٠٦

العباب والتكملة ومجمع البحرين للصغاني

من أئمة اللغة العظام حسن الصغاني المولود سنة ٥٧٧ في لاهور احدى مدن الهند وانما قيل له الصغاني لان احد اسلافه جاء من صغان احدى قرى ما وراء النهر وتوفي سنة ٦٥٠ في بغداد ونقل الى مكة ودفن فيها — الف كتابه العباب الزاخر واللباب الفاخر في عشرين مجلدا مع انه لم يكمله بل انتهى فيه الى مادة (بكم) ولهذا قيل

ان الصغاني الذي حاز العلوم والحكم
كان قصارى امره ان انتهى الى بكم

والف تكملة الصحاح وهي اكبر منه حجما ثم جمع بينهما في كتاب واحد سماه مجمع البحرين وترتيبه في ذلك كترتيب الصحاح

﴿ كتاب لسان العرب لابن منظور ﴾

اعظم كتاب الف في اللغة هو كتاب لسان العرب للامام جمال الدين ابن منظور الانصاري الخزرجي الافريقي نزيل مصر المولود في سنة ٦٩٠ وهو كتاب شهرته تغني عن البيان جمع فيه مؤلفه كثيرا من كتب اللغة كالصحاح والتهذيب والمحكم والجمهرة والنهاية فهو يغني عن جلها ان لم نقل عن كلها فيه ثمانون الف مادة مرتبة ترتيب مواد الصحاح لا يقتصر فيه على افادة اللغة بل يبين من فنون الادب وتفسير الآي وشرح الاحاديث والامثال والاشعار ما يأتي في عرض الكلام ويمس اليه البيان وهذا كثير يفوق الحصر . وقد طبع هذا الكتاب في عشرين جزءا في مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣٠٠ بعد الهجرة ولولا طبعه ما كثر تداوله بل كان كنزا مدفونا ودرا مكنونا وتوفي ابن منظور سنة ٧٢١ وقيل انه ولد سنة ٦٣٠ وتوفي سنة ٧١١ وعلى القول الاول يكون ابن منظور معاصرا للفيروز ابادي صاحب القاموس المولود سنة ٧٢٩ وعلى الثاني تكون وفاة ذاك قبل ولادة هذا

﴿ المصباح للفيومي ﴾

على نسق كتاب النهاية في ترتيب الكلم اللغوية جرى الامام احمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠ في ترتيب كتابه المسمى بالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير وهو مختصر كتاب له مطول كان جمعه في غريب شرح الوجيز للامام الرافعي وقال في آخر المصباح انه جمع اصله من نحو سبعين مصنفاً وعدّ منها كثيرا وانه فرغ من تأليفه سنة ٧٣٤ وقد طبع المصباح في مطبعة

بولاق الاميرية سنة ١٢٨١ وطبع في غيرها

القاموس للفيروز ابادي

ومن كتب اللغة المشهور كتاب القاموس المحيط للامام مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز ابادي (١) المولود بكارزين سنة ٧٢٩ وقد اشتهر هذا الكتاب وتداولته الايدي اكثر من غيره حتى الآن وترتيبه على نسق ترتيب الصحاح من اعتبار اواخر الكلمات مجردة للابواب واوائلها للفصول كما قيل

اذا رمت في القاموس كشفاً للفظة ... فاخرها للباب والبدء للفصل

ولا تعتبر في بدئها واخيرها ... مزيدا ولكن اعتبارك بالاصل

الا ان عبارة الصحاح اوسع واصرح لا يظهر عليها اثر التكلف مشفوعة بالشواهد وعبارة القاموس ضيقة موجزة محذوفة الشواهد مطروحة الزوائد وكثيرا ما يعمى المراد منها على غير الممارس لمطالعته ولا العارف باصطلاحاته قال في خطبته ومن بديع اختصاره وحسن ترصيع تقصاره (ا) اني اذا ذكرت صيغة المذكر اتبعتها المؤنث بقولي وهي بهاء ولا اعيد الصيغة (ب) واذا ذكرت المصدر مطلقاً او الماضي بدون الآتي ولا مانع (٢) فالفعل على مثال كتب (ج) واذا ذكرت آتيه بلا تقييد فهو على مثال ضرب على اني اذهب الى ماقال ابو زيد (٣) اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي ياتي ماضيها على فَعَل فانت

---

(١) نسبة الى فيروز اباد وهي قرية بفارس منها والده وجده (٢) بان كانت فاء الفعل واوا كوعد اوعينه ياء كباع او لامه ياء كرمي اوكان لازما مضاعفا كحن يحن فيكون المضارع مكسورا غالبا (٣) هو احمد بن سهل البلخي ولد بقرية من قرى بلخ ونشا بها معلم صبيان كابيه ثم دعته نفسه الى دخول العراق فاقتبس العلوم والحكمة من علمائها وحكمائها وتعمق في الفلسفة حتى رمي بالالحاد واختطفته يد المنون سنه ٣٢٢

في المستقبل بالخيار ان شئت قلت يفعل بضم العين وان شئت قلت يفعل بكسرها (د) وكل كلمة عريتها عن الضبط فانها بالفتح الا ما اشتهر بخلافه اشتهارا رافعا للنزاع من البين وما سوى ذلك فاقيده بصريح الكلام غير مقتنع بتوشيح القلام (ه) مكتفيا بكتابة ع د ة ج م عن قولي موضع وبلد وقرية والجمع ومعروف فتلخص وكل غث ان شاء الله عنه مصروف اه

وفي القاموس ٦٠ الف مادة فهو يزيد عن الصحاح بعشرين الف وينقص عن اللسان بمثلها والمواد المزيدة عن الصحاح كانت تكتب حمراء في نسخ القاموس المكتوبة بالايدي فلما طبع ميزوها بوضع خطوط فوقها

ومن الناس من يفضل القاموس على الصحاح لزيادة المواد وكثرة اللغات وتكثير المعاني للالفاظ مع الايجاز ولما في الصحاح من الاوهام وقد مدح القاموس غير واحد قال ابن العليف المتوفى بمكة سنة ٨١٥

مذ مدّ مجد الدين في ايامه ... من بعض ابحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كانها ... سحر المدائن حين القى موسى

وقال آخر

لمجد الدين في القاموس مجد ... وفخر لا يوازيه موازي
اصح من الصحاح بغير شك ... وان خلط الحقيقة بالمجاز

ومنهم من يفضل الصحاح على القاموس كالشيخ عبد القادر اليمني قال في زماننا قد نقصت رتبة الصحاح وشهرته واكتفى الناس بالقاموس لثلاثة امور الاول جهلهم ان الصحاح اصح الكتب في اللغة حتى توهموا انه كثير الغلط لما سمعوا ان فيه تصحيفا يسيرا ولم يعلموا ان ذلك لا يخلو منه الا كتاب الله تعالى وانه يمكن ان يعرفه كل مشتغل باللغة الثاني لجهلهم بعيوب القاموس حتى صار

عندهم جميع مافيه قطعيا الثالث جهلهم بمحاسن الصحاح وما ادعى المجدان الجوهري وهم فيه فهو دعوى مجردة واوهام الصحاح يسيرة كما نص عليه الائمة ولذلك اعتمد عليه ائمة اللغة بخلاف القاموس وان اكب عليه اهل عصرنا على اننا نتبعنا كثيرا مما ادعى المجد وغيره ان الجوهري وهم فيه فوجدناه صحيحا وقد ابان ذلك شيخنا ابن الطيب في شرح القاموس اه وقد رد على اصحاب القول الاول الشيخ عبد الغنى النابلسي بقوله

من قال قد بطلت صحاح الجوهري ... لما اتى القاموس فهو المفتري

قلت اسمه القاموس وهو البحران ... يفخر فمعظم فخره بالجوهري

وتوفي الفيروزابادي في اليمن بزبيد سنة ٨١٧ وقد كتب كثير من الحواشي والشروح على القاموس فمن ذلك حاشية ابن الطيب المولود بفاس سنة ١١١٠ وشرح السيد محمد مرتضى نزيل مصر المتوفي بها سنة ١٢٠٥ عن ستين سنة وكان تلميذ ابن الطيب وقد طبع هذا الشرح حديثاً في المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦ في عشرة اجزاء ضخام وقد طبع القاموس ثلاث مرات في مطبعة بولاق الاميرية وآخر طبعه كانت سنة ١٣٠١ بعد الهجرة

﴿ مختار الصحاح ﴾

اختصر الصحاح الامام محمد بن ابي بكر الرازي وسمى مختصره مختار الصحاح وهو مشهور متداول فرغ من تأليفه سنة ٧٦٠

﴿ المزهر فى علوم اللغة ﴾

كتاب جليل الفائدة الفه جلال الدين السيوطي المولود سنة ٨٤٩ والمتوفى سنة ٩١١ قال فى خطبته « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وانواعها وشروط ادائها وسماعها حاكيت به علوم

الحديث فى التقاسيم والانواع واتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الابداع وقد كان كثير ممن تقدم يلم باشياء من ذلك و يعتني في تمهيدها ببيان المسالك غير ان هذا المجموع لم يسبق اليه سابق ولا طرق سبيله قبلي طارق وقد سميته بالمزهر فى علوم اللغة » وقد جاء فيه بخمسين نوعا ثمانية منها راجعة الى اللغة من حيث الاسناد وثلاثة عشر منها من حيث الالفاظ وثلاثة عشر ايضاً من حيث المعنى وخمسة منها من حيث لطائفها والباقية منها راجعة الى رجال اللغة ورواتها وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٢

﴿ محيط المحيط وقطر المحيط ﴾

كتابان الفهما المعلم بطرس البستاني اللبناني المولود سنة ١٨١٩ بعد الميلاد والمتوفي سنة ١٨٨٣ قال في اول محيط المحيط انه يحتوي على محيط الفيروز ابادى وعلى زيادات كثيرة عثر عليها وقال في اول قطر المحيط انه سماه بذلك لان نسبته الى محيط المحيط تقرب من ان تكون كنسبته قطر دائرة الى محيطها وفرغ من تاليف الاول سنة ١٢٦١ بعد الهجرة ومن الثاني سنة ١٢٨٦ وهما في ترتيب المواد اللغوية كالمصباح وقد طبعا في بيروت ومنهما نسختان في المكتبة الخديوية

﴿ الجاسوس وسر الليال ﴾

كتابان الفهما احمد افندي فارس صاحب الجوائب الاول في تخطئة القاموس وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٢٩٩ والثاني في القلب والابدال وقد تم طبعه سنة ١٢٨٤ بالاستانة العلية وتوفي احمد فارس سنة ١٣٠٥

﴿ اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ﴾

كتاب نفيس الفه الفاضل سعيد افندي الشرتوني اللبناني من نبهاء هذا العصر وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٩ بعد الميلاد في سفرين ضخمين وطريقته

في الترتيب كالمصباح

قلائد الذهب في فصيح لغة العرب

كتاب جمعتُ فيه من الالفاظ ماهو كثير الدوران على السنة الفصحاء ومشخص للمعاني المتواردة على افئدة البلغاء يتبع اللفظ معناه و يشفع هذا بشاهد او مثال يهدي الى مرماه فتستبين بذلك مرامي الكلام وينال الطالب ما يعز من فوق الثمام

يقرب الاقصى مع الايجاز و يردف الاصلي بالمجاز

شواهده وامثلته توقف على مناهج الانشاء والتأليف وتوفق الى مدارج الابداع في التصنيف يرتب كلمات المادة اللغوية حسب معانيها الاصلية والفرعية والموادمرتبة ترتيب الحروف على وجه جميل مالوف يستسهل معه الكشف و يستعذب منه الرشف وقدطبع منه السفر الاول في مطبعة بولاق سنة ١٣١١ وهذا السفر يشمل نحو خمسة آلاف كلمة لغوية ولها من الشواهد نحو ٥٠٠ بيت شعر و ٥٠٠ آية و ١٥٠ حديثاً و ١٠٠ مثل سائر وغير ذلك من نوابغ الكلم وجوامع الحكم وفي مادة (جلل) مقامة ادبية بديعة

الباب الثاني

(في تاريخ الكتابة او الخط)

وفيه فصول

الفصل الاول

(في تعريف الكتابة)

الكتابة او الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه ومثلها الكتاب بدون هاء قال تعالى لعيسى عليه السلام واذ علمتك الكتاب والحكمة وقد يطلق كل منهما على المكتوب من اطلاق المصدر على اسم المفعول كالحياكة في المحيك والبساط في المبسوط وعلى هذا تعرّف الكتابة بانها نقوش القلم المخصوصة الدالة على المعاني المقصود دلالة الالفاظ عليها فهي واللغة سيان ولا اختلاف بينهما الاّ في طريقة التبليغ الى الذهن ففي اللغة ينقل الهواء الصوت الى السمع فيصل الى الذهن وفي الكتابة ينظر البصر المكتوب و ينقله اليه ـ وقد تطلق الكتابة على صناعة الانشاء و بهذا ترادف النثر وتقابل القريض قال الشاعر

وما كل من لاق اليراع بكاتب ولا كل من راش السهام بصائب

الفصل الثاني

(في تاريخ الخط العربي)

كثرت الاقوال في اولية الخط العربي والذي يؤخذ من مجموعها ان اهل اليمن الحميريين كانوا يكتبون وخطهم المسمى بالمسند كان ذا حروف منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمه ومن خطهم استنبط عرب طيء خطا ذا اتصال وانفصال بدون نقط ولا اعجام سموه بالجزم فاخذه عنهم اهل العراق ومن هؤلاء تعلمه عرب قريش وفي المزهر (قال ابن دريد في اماليه) اخبرني السكن بن سعيد عن محمد ابن عباد عن ابن الكلبي عن عوانه قال اول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر ابن مرة واسلم بن سدرة الطائيان ثم علموه اهل الانبار فتعلمه بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان فعلم جماعة من اهل مكة فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش فقال رجل من اهل دومة الجندل من كندة يمن على قريش بذلك

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو ... فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
اتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو ... من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتمو ما كان بالمال مهملا ... وطامنتمو ما كان منه منفرا
فاجريتم الاقلام عودا وبدأة ... وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
واغنيتمو عن مسند الحي حميرا ... ومازبرت في الصحف اقيال حميرا

وممن اشتهر في الاسلام بالكتابة من علية الصحابة عمر وعثمان وعلي وطلحة

وابو عبيدة وابي بن كعب وزيد بن ثابت و يزيد بن ابي سفيان

وفي المطالع ومعرفة شرذمة من قريش للكتابة لا تنفى عن العرب الامية التي وصفهم الله بها في قوله تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم) وانتشرت الكتابة في المدينة بعد الهجرة بنحو سنة وذلك انه لما اسرت الانصار سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر جعلوا على كل واحد منهم من الاسرى فداء من المال وعلى كل من عجز عن الافتداء بالمال ان يعلم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة فلا يطلقونه الا بعد تعليمهم فبذلك كثرت فيها الكتابة وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الاسلام في حياته عليه السلام وبعده وقد بلغ عدد كتّابه عليه السلام ثلاثة واربعين كاتباً منهم زيد بن ثابت ومعاوية بن ابي سفيان واختلف فى كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة و بحديث البخاري انه عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اخذ الكتاب ليكتب فكتب ومن قال بانه امى استدل بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك و بحديث البخارى نحن امة اميّة لا نكتب ولا نحسب وقد اخذ ابو الوليد الاندلسي بظاهر الحديث فقام عليه علماء عصره وطلبوه عند اميرهم فجمعهم واياه واحتجوا عليه بانه قد خالف نص الآية الكريمة وهي وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فاستظهر عليهم بان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن واما بعد ان تحققت اميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع ان يعرف الكتابة من غير معلم و يكون ذلك معجزة اخرى له ووافقه على ذلك شيخه ابو ذر الهروى والنيسابوري وجماعة من علماء افريقية محتجين بما ورد انه ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ وقد روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه قال كان

يقرأ من الكتب وان كان لا يكتب اه بتصرف

وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم وسمي بالخط الكوفي بعد انشاء الكوفة واستعمل فى عهد بنى اميّة مع ترقيه في درجات الحسن تبعاً لحضارة الامة الاسلامية ـ وتمييز الحروف المتشابهة بالنقط حدث في صدر الاسلام ذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج ان ابا احمد العسكري قال « ان الناس عبروا يقرؤن في مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه نيفاً واربعين سنة الى ايام عبد الملك ابن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الى كتابه فسألهم ان يضعوا علامات لهذه الحروف المشتبهة فيقال ان نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها فعبر الناس بذلك لا يكتبون الا منقوطاً فكان مع استعمال النقط يقع التصحيف فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام ـ و يظهر من هذا ان الاعجام هو الشكل وانه غير النقط وانه وضع في زمن الحجاج وهذا لا ينافي ما روى من ان اول من نقط المصحف ابو الاسود الدؤلى فان النقط الذي وضعه كان عبارة عن علامات الاعراب ليس الا كما يؤخذ من الروايات المعزوّه اليه قال ابو على المقرى في كتاب المقنع اختلف الرواة فيمن نقط المصاحف من التابعين فروينا ان المبتدى بذلك كان ابا الاسود وانه أراد ان يعمل كتاباً في النحو يقوّم الناس به ما فسد من كلامهم فقال اري ان ابتدىء باعراب القرآن اولاً فاحضر من يمسك المصحف واحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف اذا فتحت شفتيّ فاجعل نقطة فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فاذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى اتي على آخر المصحف وذكر في المحكم سبب ذلك ان معاوية

كتب الى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتاباً يلومه فيه على ذلك فبعث زياد الى ابي الاسود وطلب منه ان يضع شيئاً يصلح الناس به كلامهم ويعرفون به كلام الله تعالى فابي ذلك ابو الاسود فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابى الاسود فاذا مرّ بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فلما مر ابو الاسود رفع الرجل صوته وقال ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك ابو الاسود وقال عز وجه الله ان يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد وقال له قد اجبتك الى ما سألت ورأيت ان ابدأ باعراب القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا فاحضرهم زياد فاختار منهم عشرة ثم لم يزل يختار حتى اختار رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد وساق الحديث المتقدم

واما ما وضع في زمن الحجاج فكان نقطاً لتمييز الحروف المتشابهة وشكلا للاوائل والاواسط وخولفت طريقة نقط ابي الاسود الى طريقة الشكل الحديث ويقال ان الخليل بن احمد هو الذي تمم بقية علامات الاعجام كالشدة والمدة والقطعة والصلة وهذب في جميع العلامات فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء تحته والفتحة الفا مسطوحة فوقه والشدة رأس شين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل اخذا من شكال الدابة الذي تقيد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها ويزيل عنها الابهام قال ابن خلكان ان الخليل هو اول من صنف كتاباً في الشكل ومع ما تقدم فالنقط والشكل يسميان بالاعجام من اعجمته اذا ازلت عجمته وبينته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية بحروف المعجم وقد يخصص الاعجام بالحرف المنقوط اذا شاركه في صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال خاء معجمة وحاء مهملة ومثلهما

الذال والدال والزاى والراء والشين والسين والغين والعين لكن الباء وامثالها لا توصف بالاعجام بل بالموحدة والمثناة الفوقية والتحتية والمثلثة وكذا الظاء يقال فيها المشاله والضاد الساقطة

وانتقل الخط الكوفي الى الامصار التي افتتحها الاسلام وتنوعت اشكاله ورسومه واختلفت اسماؤه فانتقل من الامويين الى بلاد افريقية الشمالية وتولد منه الخط المغربى المستعمل للآن في الجزائر وتونس وطراباس ومراكش واول من وصف بحسن الخط في صدر الاسلام خالد بن الهياج وكان يكتب المصاحف والاشعار والاخبار للوليد بن عبد الملك سادس خلفاء بني اميه المتولى الخلافة سنة ٨٦ من الهجرة وفي اول خلافة بنى العباس ظهر الضحاك الكاتب وجاء بعده اسحاق بن حماد في خلافة المنصور والمهدي وقد كتب عليه عدة تلامذة انواعاً مختلفة من الخطوط الموزونة منها ما يعرف بقلم الطومار الكبير وقلم الجليل وقلم السجلات وقلم الديباج وقلم العهود وقلم القصص ويقال ان جودة الخط انتهت الى رجلين من اهل الشام الضحاك واسحاق بن حماد وكان يخطان الجليل قيل وكأنه الطومار او قريب منه واقول لعله ما يعرف بالجلى الآن

ومن كتّاب المصاحف في عهد الرشيد خشنام البصرى والمهدي الكوفى وفى عهد المأمون اخذ الكتاب بتجويد خطوطهم وظهر ابراهيم السجزي واخوه يوسف والاحول الذي تكلم على رسوم الخط وقوانينه وجعله انواعاً وظهر قلم الثلثين وقلم الثلث وقلم النصف وقلم النسخ والقلم الرياسي نسبة الى ذي الرياستين الفضل بن سهل وكانت تحرر به الكتب السلطانية وقلم غبار الحلية ويقال ان قلم غبار الحلية حروفه كلها مستديرة بخلاف قلم الطومار فان حروفه كلها مستقيمة فهما حاشيتان وبينهما خطوط الثلثين والنصف والثلث على حسب استقامة ثانى

الحروف او نصفها او ثلثها ثم كان ابو الحسين ابراهيم التميمي معلم المقتدر واولاده وكان اكتب اهل زمانه وله رسالة فى الخط سماها تحفة الوامق قيل واستمر الخط الكوفي نحو ثلاثة قرون هجرية الى ان ظهر في بغداد الوزير ابن مقلة واخوه عبد الله فحولا الكتابة الكوفية في أواخر القرن الثالث الى طريقة النسخ المستعملة الى الآن في كتابة الكتب والمصاحف لكن الظاهر ان التحويل ابتدأ قبل ابن مقلة كما يؤخذ مما سبق وانما نسب اليه ذلك لكونه هو الذي اتم ازالة غبار الكوفية عن وجه الخط فظهر بديعاً وتوفي ابن مقلة سنة ٣٢٨ ومن الثلث والنسخ تولد خط التوقيع وفي بلاد العجم تولد خط التعليق و يعرف بالفارسي وهو مستعمل بها للآن وجاء بعد ابن مقلة ابن البواب المتوفي سنة ٤١٣ قيل ولا يوجد في المتقدمين من كتب مثله ولا قاربه وان كان ابن مقلة اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه أيضاً في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها حلاوة و بهجة ثم ظهر ابو الدر ياقوت الموصلي الملقب بالملكي نسبة الى السلطان ملكشاه ابي الفتح بن سلجوق قيل كان مولعاً بنسخ الصحاح للجوهري وكان يبيع النسخة منه بمائة دينار توفي سنة ٦١٨ ثم ابو المجد ياقوت الرومي المستعصمي المتوفي سنة ٦٩٨ وهو الذي سار ذكره في الآفاق واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته

و بعد سقوط بغداد انتقل تقدم العلوم والكتابة الى مصر الى ان ظهرت الدولة العثمانية بالقسطنطينية فارتقت فيها الخطوط الى اقصى درجات الحسن والكمال واشتهر عندهم من الخطوط الثلث والنسخ والتعليق والريحان والمحقق والرقاع والديواني ومن اشهر كتابهم المتأخرين حمد الله المعروف بابن الشيخ والحافظ عثمان ومحمود المعروف بجلال الدين والسيد الحاج محمد المعروف بشكرزاده ومن اشهر

كتاب مصر المعاصرين محمد افندي مؤنس ومحمد افندي جعفر واشتهر قبلهما عبد الله بك زهدي والآن نرى حسن الخط وتقدمه في حواضر الدولة العلية والعجم . وفي المكتبة الخديوية كثير من المصاحف القرآنية قديمة وحديثة يؤخذ من الاطلاع عليها سير الخط وترقيه منها مصحف مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال الا ان يد الزمان اضاعت بعض صفحاته وابلت البعض الآخر واستحضر هذا المصحف من جامع عمرو بن العاص ويقال انه مصحف سيدنا عثمان ابن عفان وانه الذي كان بين يديه يوم الدار وانه استخرج من خزائن المقتدر فاخذه ابو بكر الخازن وجعله في جامع عمرو ويحتمل ان يكون المصحف الذي ارسل الى مصر في عهد الخليفة . ومنها نصف مصحف مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال يقال انه بخط الامام جعفر الصادق المولود سنة ٨٠ والمتوفي سنة ١٤٨ من الهجرة وهذا وما قبله ليس بهما نقط ولا اعجام . ومنها مصحف مكتوب بخط مغربي من وقف الامير محمد بك ابي الذهب . ومنها جزء اول سورة الحجر بقلم نسخ يقال انه بخط ابن مقلة في شهور سنة ٣٠٨ وهو ذو جداول ومحلى بالذهب ومنها مصحف بقلم ياقوت المستعصمي فرغ من كتابته سنة ٦٩٠ . ومنها مصحف بالقلم الريحاني فرغ من كتابته عبد الرحمن بن الصائغ سنة ٨١٤ وهذا المصحف وقف السلطان فرج ابن السلطان برقوق المتوفي سنة ٨١٥ . ومنها مصحف بقلم حمد الله المتوفي في القرن الحادي عشر الهجري . ومنها مصحف بقلم الحافظ عثمان فرغ من كتابته سنة ١٠٨٣ وآخر مطبوع مأخوذ بالمصورة الشمسية (الفتوغرافية) من مصحف فرغ من كتابته سنة ١٠٩٤ وقد اخذت مصاحف الحافظ عثمان شهرة فائقة وللناس فيها رغبات زائدة . وفي المكتبة الخديوية ايضاً مجموعات خطوط باقلام كثيرين من مشاهير الكتاب منها مجموعات

خطوط مطبوعة وماًخوذة بالمصوّرة من خط محمود جلال الدين كتب بعضها سنة ١١٠٩ ومجموعاته المطبوعة تتخذ الآن اساليب لتعليم الخطوط في المدارس المصرية

ولا ريب ان النساخين في العصر السالف كانوا يفنون اعمارهم النفيسة في نسخ القليل من الكتب فضلا عن المشاق التي كانوا يكابدونها في النسخ ولذا كانت كتبهم غالية القيمة جدا واما الآن فالمطابع نسخت كل هذه الصعوبات وقربت البعيد وجعلت الكتب سهلة الحصول للغنى والفقير والذي اخترع فن الطباعة رجل جرماني يسمى يوحنا غوتمبرج في القرن الخامس عشر الميلادي (راجع الجزء الثاني من كتابنا دروس الاشياء)

الفصل الثالث

(في الحروف ونقطها)

حروف الخط العربي اثرت عن السلف مرتبة ترتيبين ترتيب ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ وترتيب ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي وعلى الترتيب الاول نرى عددها ٢٨ حرفا وعلى الثاني ٢٩ حرفا فان فيه اول حرف عبارة عن الالف اليابسة وهي الهمزة التي تقبل الحركات واما الالف اللينة التي لايمكن النطق بها على حدتها فجاء بها معتمدة على اللام في (لا) ويحقق ذلك انه وسطها بين حرفي العلة الواو والياء بخلاف الترتيب الاول فانه ادرج قسمي الالف في اول الحروف واذا تأملت في الترتيب الثاني تراه في الاغلب جمع الحروف المتقاربة في الصورة

الخطية او النطق بعضها بجانب بعض بخلاف الترتيب الاول لكنهم يبنون عليه ما يسمونه بحساب الجمل فيجعلون من الالف الى الطاء للآحاد ومن الياء الى الطاء للعشرات ومن القاف الى الظاء للمئات ويحسبون الغين بالف وكلا الترتيبين مبدوء بالالف قيل لانها من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج وقيل لاستقامته كما اشار الى ذلك يحيى بن زياد في قوله

الف الكتابة وهو بعض حروفها لما استقام على الجميع تقدما

ويظهر ان تعليم الهجاء على ترتيب ابجد سابق على الترتيب الآخر حكى عن عمر بن الخطاب انه لقي اعرابياً فقال له هل تحسن ان تقرأ شيئاً من القرآن فقال نعم قال فاقرأ ام القرآن فقال والله ما احسن البنات فكيف الام قال فضربه ثم اسلمه الى الكتاب فمكث فيه حيناً فهرب ثم انشأ يقول

اتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة اسطر متتابعات
كتاب الله في رق صحيح وآيات القران مفصلات
وخطوا لي ابا جاد وقالوا تعلم سعفصا وقريشيات
وما انا والكتابة والتهجي وما خط البنين من البنات

وقال احمد فارس اما ترتيب الحروف على ابجد فالظاهر انه جرى على ترتيب اللغة السريانية الى حرف التاء وهي فيها تاو ثم زادوا عليها ثخذ ضظغ لان الثاء والخاء والذال ليس لها فيها شكل مخصوص وانما تتميز عن التاء والكاف والدال بالنقط وحرفا الضاد والظاء لا وجود لهما فيها لا رسما ولا نطقاً والغين تتميز عن الجيم التي تقدم ذكرها بنقطة في جوفها اه والمغاربة يخالفوننا في ترتيب الابجدية فهي عندهم ابجد هوز حطي كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش ولهذا يخالف حساب جملهم ما عندنا في ستة احرف تعلم من مقارنة الترتيبين

ويخالفوننا ايضاً في الترتيب الثاني فهو عندهم هكذا ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي وينقطون الفاء من اسفل والقاف واحدة من فوق ويميلون كالترك بالضاد في النطق نحو الظاء والفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية الا انهم يزيدونها اربعة احرف (١) باء بثلاث نقط ينطق بها بين الباء العربية والفاء كما في (پك) بمعنى جدا (٢) وجيما بثلاث نقط ينطق بها بين الشين والتاء كما في (چوق) بمعنى كثير (٣) وزايا بثلاث نقط ينطق بها بين الزاى والجيم العربيتين كما في (مژدة) بمعنى بشرى (٤) وكاف ينطق بها كالجيم المصرية كما في (گرد) بمعنى شجاع وكذا الترك يكتبون لغتهم بالحروف العربية لكنهم زادوها هذه الاربعة السالفة وحرفا خامساً وهو كاف ينطق بها كالنون كما في (بيكباشي) بمعنى رئيس الف

كتابة الالفاظ غير العربية بالخط العربي — وكتاب العربية اذا عرض لهم حرف من هذه الاحرف ردوه الى اقرب الحروف اليه فابدلوا الكاف الفارسية في (نركس) و (كلنار) عند التعريب بالجيم وكتبوا نرجس وجلنار وابدلوا باء (پالوزة) الفارسية بالفاء وكتبوا فالوذ وعامة مصر يقولون (بالوظة) قال ابن فارس في قفة اللغة حدثني علي بن احمد الصباحي قال سمعت ابن دريد يقول حروف لا تتكلم العرب بها الا ضرورة فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم الى اقرب الحروف من مخارجها كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل پور اذا اضطروا قالوا فور قال ابن فارس وهذا صحيح لان پور ليس من كلام العرب فلذا يحتاج العربي عند تعريبه اياه ان يصيره فاء

واستحسن بعض المتأخرين ان يتبع في كتابة هذه الاحرف ما يكتب عند اهلها بتعداد نقطها تنبيها على انها دخيلة وان يلفظ بها كنطقها الاصلي وهذا

الاستحسان اتى له مما رآه ابن خلدون في مقدمته وهو (اعلم) ان الحروف في النطق هي كيفيات الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحنك والحلق والاضراس او بقرع الشفتين ايضاً فتتغاير كيفيات الاصوات بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقديكون لامة من الحروف ماليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم وكذا الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزه باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذى يليه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القاري بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل

ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين الحرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارىء انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دلانا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم

واقول ما استحسنه البعض وما رآه ابن خلدون اولا لا يسري حكمه على الالفاظ المعربة المدونة في كتب اللغة وثانياً اذا اتبعناه في غير هذه الالفاظ وبالقياس عليه وضعنا اوضاعاً جديدة كتابية لتشخيص نطق الالفاظ الافرنجية الدخيلة في لسان تخاطبنا الآن وهي كثيرة جداً ربما لا يسعها سفر ضخم تكلمنا بلسان غيرنا ونحونا بلهجتنا الى منحى صعب غير مألوف لألسنتنا وربما تعذر اداؤه مع حركات النطق الاجنبية الغريبة عن حركاتنا فالاحسن طريقة السلف وهي اذا مست الحاجة الى دخول لفظ اجنبي في لغتنا يجب وضعه في القالب العربي والنطق به على حسبه وبهذا يكون من عداد الالفاظ العربية قال صاحب الصحاح تعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه به العرب على منهاجها وبالمثل ترى الافرنج اذا اخذوا لفظا من لغتنا فيه حاء او خاء او صاد او ضاد او طاء او ظاء او عين او غين او قاف حروف ليست في لغاتهم حولوا هذه الحروف الى ما يقرب منها ويا ليتهم اقتصروا على ذلك بل حرفوا الكلمات العربية جوهرها وعرضها فالفرنسيس

قالوا في صلاح الدين (سَلَدَنْ SALADIN) وفي ابن سينا (اَڤِسِين AVICENNE)

وفي ابن رشد (اَڤِرُّوِيس AVFRROES) وفي رشيد (رُوزِيت ROSETTE) كلمات صارت في عداد كلماتهم مدونة في معجماتهم ومع هذا اذا كان الغرض مجرد بيان النطق الاجنبي والمقام مقام توقيف فلا باس بما استحسنه البعض ويوضع نقطة تحت الكاف لينطق بها جيما وفوقها لينطق بهانونا ووضع ثلاث نقط فوق الفاء لينطق بها كحرف متوسط بين الباء الفارسية والفاء العربية ووضع الف صغيرة فوق الحرف وياء بعده اذا اريد امالته ووضع ضمه وفتحه فوق الحرف اذا اريد نطقه بحركة متوسطة بين الضمة والفتحة ونحو ذلك كما ترى بعض هذا في امثلة صلاح الدين وابن سينا وابن رشد ورشيد السابقة فتدبر

الفصل الرابع

﴿ في علوم الخط ﴾

قد صنفوا علوماً مختلفة في الخط منها ما يتعلق بادواته من القلم والدواة والمداد والكاغد ونظم ابن البواب في ادوات الكتابة قصيدة رائيه ولياقوت رسالة فيها ايضاً قال عبد الحميد الكاتب المشهور لمسلم ابن قتيبة وقد رآه يكتب خطا رديئا ان كنت تحب ان تجود خطك فأطل جلفتك واسمنها وجوّف قطتك وايمنها قال مسلم ففعلت ذلك فجاد خطي ومنها ما يتعلق بقوانين الكتابة اي في كيفية نقش صور الحروف ولمحمد افندي مؤنس المصري رسالة في ذلك سماها الميزان

المالوف ومنها ما يتعلق بتحسين الكتابة و يرجع ذلك الى حسن تشكيل الحروف والى حسن وضع الكلمات ومنها مايتعلق بالاملاء وللشيخ نصر الهوريني كتاب جليل في هذا الموضوع سماه المطالع النصرية وقد تمت تاليفاً وطبعاً سنة ١٢٧٥ للهجرة واعيد طبعها بالمطبعة الاميرية سنة ١٣٠٢ وللشيخ مصطفى السفطى المؤدب بالمدارس المصرية رسالة مفيدة فى هذا الموضوع اسمها عنوان النجابة فى قواعد الكتابة وللفاضل السيد محمد البيلاوي وكيل المكتبة الخديوية منظومة لطيفة فى قواعد الرسم فرغ من تاليفها سنة ١٣٠٦ وهي مطبوعة فى مجموع المتون ومنها ما يتعلق بخط المصحف فان فيه اشياء جاءت مخالفة للقياس فتحفظ عن السلف ولا يقاس عليها ومثل خط المصحف في عدم القياس عليه خط العروضيين فانهم يكتبون فى تقطيع الشعر ما يلفظونه تماما فيكتبون التنوين نونا والحرف المشدد بحرفين و يحذفون ال الشمسية ونحو ذلك قال ابن درستويه خطان لا يقاس عليهما خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يكتب فيه ما اثبته اللفظ و يسقط عنه ما اسقطه

الباب الثالث

(في تاريخ الشعر)

﴿ وفيه فصول ﴾

الفصل الاول

(في تعريف الشعر وفنونه ووجه تعلمه)

(١) تعريف الشعر ـ الشعر لغة العلم والفطنة ومنه ليت شعري ثم غلب على منظوم الكلام لشرفه بالوزن والقافية كما غلب الفقه على علم الشرع والنجم على الثريا ومنه حديث (ان من الشعر لحكمة فاذا أُلْبِسَ عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر) قال في المزهر وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها وطيب اعراقها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة وفرسانها الانجاد وسمحائها الاجواد لتهز نفوسها الى الكرم وتدل ابناءها على حسن الشيم فتوهموا اعاريض فعملوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به اه والمناطقة يشترطون في الشعر الخيال لا الوزن فانهم اطلقوه على القياس المركب من قضايا خيالية تؤثر في النفس فتصير مبدأ فعل او ترك او رضاء او سخط او بسط او قبض او لذة او الم وجاءهم هذا من الشعر اليوناني فان المنطق مأخوذ عن اليونان والشعر بهذا المعنى يفيد عند الاستعطاف والاستقضاء وفي الاقدام على الهيجاء ونحو ذلك ما لا يفيده البرهان فان النفس

اطوع الى التخييل منها الى التصديق لانه انيها الذواغرب ثم قالوا ويزيد في تأثيره الوزن والصوت قال عبد الغني النابلسي

لا تلمني ان السماع يقيت وهو يحيي بطيبه ويميت

(وقال طرفه)

تغنّ في كل شعر انت قائله ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وقال العطار من لم يتأثر برقيق الاشعار تتلى بلسان الاوتار على شطوط الانهار في ظلال الاشجار فذلك جلف الطبع حمار

من كل معنى لطيف احتسى قدحا وكل ساجعة في الكون تطربني

ونحن نشاهد اهل الصناعة الشاقة يستعينون عليها بالتغني والا بل عند كلالها ينشطها صوت الحادي والمغني وشجعان العرب تتمثل بالاشعار وتلقي نفسها عند ذلك في مهالك الاخطار فلا تبالي بمواقع السيوف ولا بوارق الحتوف وقال شارح سلم العلوم ولا بد في الشعر من ان يكون جاريًا على قانون اللغة وان يكون ذا استعارات لطيفة او تشبيهات بديعة وان تكون قضاياه بحيث تؤثر في النفس سواء كانت صادقة او كاذبة فلا يجوز فيه استعمال الاوليات الغير المؤثرة ويجوز استعمال المخيلات ولو كاذبة مستحيلة وقد يستنتج منه اجتماع الضدين نحو انا مضمر الشكوى باللسان مظهرها بالدموع وكل مضمر صامت وكل مظهر متكلم فانا صامت متكلم ويقرب من هذا

اشكو واشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر اه

ويظهر ان الاقتصار في تعريف الشعر على الوزن والتقفية آتٍ من اصطلاح العروضيين فانهم لا يبحثون عنه الا من هذه الجهة وان الشعر في اعتبار الاديب يجمع بين شرطي الوزن والخيال كقوله

والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض الا من كؤوس الشقيق

لكن ذلك يخرج من الشعر ما هو منه فان كثيرًا من منظوم الكلام مع جودته يخلو من القضايا الخيالية كقول زهير

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

(وقول لبيد)

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(وقول عنترة)

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

فمثل هذا خال من الخيال مركب من قضايا اولية ولا يسعنا ان ننكر انه شعر جيد في باب الحكم على ان شرط الخيال مع الوزن لا يستقيم معه تقسيمهم الشعر الى خمسة اقسام مرقص كقوله

ومهفهف يحميه عن نظر الورى غيران سكني الملك تحت قبابه

أوما الى ان ائتني فاتيته والفجر ينظر من خلال سحابه

فضممته للصدر حتى استوهبت مني ثيابي بعض طيب ثيابه

وكأن قلبي من وراء ضلوعه طربًا يخبر قلبه عما به

(ومطرب كقوله)

لك قدّ لولا جوارح عينيـــك لغنت عليه ورق الحمام

(ومقبول كقول زهير)

ومن يجعل المعروف في غير اهله يعد حمده ذما عليه ويندم

ومسموع مما يستقيم به الوزن كقول ابن الرومي

يجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

ومتروك يحجه الطبع كقوله

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل هم كلهن قلاقل

ومع هذا فالشعر الخيالي اجذب للنفس واشد تأثيراً فيها من غيره فهو الاحق بان يسمى شعرا — وعرّف الشعر ابن خلدون بعد ان اطال فيه القول بانه الكلام البليغ المبني على الاستعارة والاوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله و بعده الجارى على اساليب العرب المخصوصة ثم قال فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبنى على الاستعارة والاوصاف فصل عما يخلو من هذه فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس شعرا عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله و بعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون ابياته الا كذلك ولم يفصل به شى وقولنا الجارى على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجر منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا اساليب المنثور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا و بهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانهما لم يجريا على اساليب العرب اه

(٢) فنون الشعر — جعل ابو تمام فنون الشعر عشرة الحماسة والمراثي والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء و بنى عليها كتاب الحماسة ومما جاء به

(في باب الحماسة قول الفند الزماني في حرب البسوس)

صفحنا عن بنى ذُهْل وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يرجعـــن قوما كالذي كانوا
فلمـا صرَّحَ الشرُّ فامسى وهو عُرْيان
ولم يبق سوى العُدوا ن دِناعم كما دانوا
مشينا مشـية الليث غدا والليث غضبان
بضرب فيـه توهين وتخضيع واقران
وطعنٍ كفم الزقّ غذا والزقّ ملآن غذا سال
وبعض الحلم عند الجهـل للـذلة اذعان
وفي الشرنجاة حيـن لاينجيك احسان

(وفي باب المراثي قول مهلهل)

نبئتُ ان النار بعدكَ اوقدت واستَبَّ بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا في امر كل عظيمة لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا
واذا تشاء رايتَ وجهاً واضحاً وذِراع باكيةٍ عليها بُرْنُسُ
تبكي عليك ولستُ لائمَ حرّةٍ تأسى عليـك بعبرة وتَنَفَّسُ

(وفي باب الادب قول مسكين الدارمي)

وفتيان صدق لستُ مطلعَ بعضهم على سر بعض غير اني جِماعها
لكل امرئٍ شِعْب من القلب فارغ وموضع نجوي لايرام اطلاعها
يظَلُّون شتى في البلاد وسرُّهم الى صخرةٍ اعيا الرجال انصداعها

(وفي باب النسيب قول نصيب)

كأن القلب ليلة قيـل يغدى بليـلى العامرية او يراح

قطاة عزّها (١) شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرخانِ قد تركا بوكر فعشّهما تصفقه الرياح
اذا سمعا هبوب الريح نصاً (٢) وقد اودى بها القدر المتاح
فلافي الليل نالت ما ترجى ولا في الصبح كان لها براح

(وفي باب الهجاء قول آخر)

اذا بكريّة ولدت غلاما فيالؤما لذلك من غلام
يزاحم في المآدب كلّ عبد وليس لدى الحفاظ بذى زحام

(وفي باب الاضافة والمدح قول عتيبة المازنى)

ومستنبح بات الصدى يستتيهه (٣) الى كل صوت فهو في الرّحل جانحُ
فقلت لاهلى ما بُغامُ مطية وسارٍ اضافته الكلابُ النوابحُ
فقالوا غريب طارق طوّحت به متونُ الفيافي والخطوب الطوارحُ
فقمت ولم اجثِم مكاني ولم نقم مع النفس علّاتُ البخيل الفواضحُ
وناديت شبلا فاستجاب وربما ضمنّا قرى عشر لمن لا نصافحُ
فقام ابو ضيف كريمٌ كأنه وقد جدّ من فرط الفكاهة مازحُ
الى جِذْم مال قد نَهكْنا سَوامه (٤) واعراضنا فيه بواقٍ صحائحُ
جعلناه دون الذمّ حتى كأنه اذا عُدّ مال المكثيرين المنائحُ (٥)
لنا حمد ارباب المئين ولا يُرَى الى بيتنا مالٌ مع الليل رائح

(١) غلبها (٢) نصبا اعناقها (٣) يستتيهه يستفعل من تاه يتيه اذا ضلّ
(٤) الجذم الاصل نكهنا سوامه اى اثرنا في السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض اذا اضربه (٥) المنائح جمع منيحة وهى الناقه او الشاه تدفع الي الجار لينتفع بلبنها

(وفي باب الصفات قول البعيث الحنفي)

وهاجرة يشوي مهاها سمومها ... طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرّجة منفوجة حضرمية ... مساندة سرّ المهارى انتقيتها
فطرت بها شجعاء قرواء جرشعاً ... اذا عدّ مجد العيس قدم بيتها
وجدت اباها رائضيها وامها ... فاعطيت فيها الحكم حتى حويتها

(وفى باب السير والنعاس قول الخطيم)

وقال وقد مالت به نشوة الكري ... نعاسا ومن يعلق سرى الليل يكسل
انخ فنمط أنضاء النعاس دواءها ... قليلا ورفّه عن قلائص ذبل
فقلت له كيف الاناخة بعد ما ... حدا الليل عريان الطريقة منجلى

(وفي باب الملح قول بعض الحجازيين)

خبّروها بانني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرّا
ثم قالت لاختها ولاخري ... جزعاً ليته تزوج عشرا
واشارت الى نساء لديها ... لا تري دونهن للسرستترا
ما لقلبي كأنه ليس مني ... وعظامي كأن فيهن فترا
من حديث نما الىّ فظيع ... خلت في القلب من تلظيه جمرا

(وفي باب مذمة النساء قول آخر في امراة طلقها)

رحلت انيسةُ بالطلاق ... وعتقت من رق الوثاق
بانت فلم يالم لها ... قلبي ولم تبكِ المآقي
ودواء مالا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
لو لم أُرَح بفراقها ... لارحت نفسى بالاباق
وخصيت نفسي لا اريد حليلة حتى التلاقي

وقال عبد العزيز ابن ابي الاصبع الذي وقع لي ان فنون الشعر ثمانية عشر فنا غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وادب وزهد وخمريات ومراثٍ وبشارة وتهانٍ ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب

وجه تعلم الشعر ـ اذا اردت ان تقول الشعر فتخير اولا من اشعار الشعراء النوابغ الشعر الرصين ذا الخيالات والاساليب واحفظ كثيرا منه وتفهم معانيه فبهذا تكيف نفسك وتشحذ قريحتك وتتهيأ للنظم فأقبل عليه واكثر منه تزكو فيك ملكته قال الخوارزمي من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وحماسيات عنترة واهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات ابي نواس ومراثي ابي تمام ومدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا اشب الله قرنه ـ واذا خلوت في مكان يروق فيه نظر المياه وتزكو نفحة الازهار ويطيب استنشاق الهواء ويستلذ المسموع اجمت فؤادك ونشطت القريحة الى الشعر قالت الحكماء لم يستدع شارد الشعر باحسن من الماء الجاري والمكان الخالي والشرف العالي ولقي ابو العتاهية الحسن بن هانئ فقال له انت الذي لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك قال وكيف ينبغي للشعر ان يقال الاعلى هكذا قال اما اني اقوله على الكنيف قال ولذلك توجد فيه الرائحة ـ ولا بد ان يكون فيك ما يبعث عليه قال ابن رشيق ومن بواعثه العشق والانتشاء قيل لكثير عزة لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما اعجب وماتت عزة فما اطرب ومات عبد العزيز فما ارغب يريد عبد العزيز بن مروان ـ وتخير لعمل شعرك باكورة نهارك عند ماتهب من النوم قال الفرزدق من اسلس ما يكون الشعر في اول الليل قبل الكري واول النهار

قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر ـ فاذا استعصى عليك بعد هذا كله فراوضه في وقت آخر قال ابن خلدون فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال قيل لكثير عزة يا ابا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر قال اطوف في الرباع المحيله والرياض المعشبة فان نفرت عنك القوافي واعيت عليك المعاني فروح قلبك وأجم ذهنك وارتصد لقولك فراغ بالك فانك تجد فى تلك الساعة ما يمتنع عليك يومك الاطول وليلك الاجمع ـ وضع قوافي قصيدتك اولا وابن عليها الابيات لئلا تجيء القوافي نافرة عن محالها واذا جادت قريحتك ببيت لا يناسب سابقه فاتركه الى موضعه الاليق به وليكن شعرك فصيحاً بليغاً يمضى مع النفس تسابق معانيه الفاظه الى الفهم ذا تاثير في الطباع فني الحماس يكون مهيجاً للقوى مثيراً للخواطر باعثاً على الحمية وفي العتاب يكون هاديا للموافقة مولدا للرضا الى غير ذلك . وراجع شعرك بعد الفراغ منه ونقحه فقد روى ان زهير بن ابي سلمى كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة ولذا كانت قصائده تسمى بالحوليات

روى عن البحتري أنه قال « كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبعي ولم اكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان السعادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي أياد فاشهر مناقبه

وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقامه ونضّد المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة وكن كانك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله - قال فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة »

الفصل الثاني

(في تاريخ الشعر)

الشعر قالته العرب من قديم من عهد عاد وثمود والعمالقة كما يدل على ذلك رواية بعض اخبارهم الا انه لما كانت احوال الامم في هذه الاعصر الغابرة مدرجة تحت طى الخفاء لم تصل الينا اشعار شعرائهم ولا اخبارهم مفصلة حتى نتعرف منها سير الشعر وترقيه ولم يزل الامر مستوراً الى ان جاء عصر آل المنذر ملوك الحيرة قبل الاسلام بنحو مائة سنة فاكثر فبرح الخفاء واخذ الشعر في الظهور والنماء واولع العرب به حتى صار ديدنا لهم وسجية فيهم ومبلغ علمهم وحكمتهم وادبهم يقولونه رجالا ونساء في فنون مختلفة كالحماسة والفخر والنسيب والحكم والآداب والاخلاق والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوعيد والعقاب والشكوى وذكر المنازل والطلول ووصف الظباء والغزلان وتاريخ الوقائع وايام الحروب

وغير ذلك ولذا قيل الشعر ديوان العرب قال الخطيب التبريزي به يحفظون المكارم والمناسب ويقيدون به الايام والمناقب ويخلدون به معالم الثناء ويبقون به مواسم الهجاء ويضمنونه ذكر وقائعهم في اعدائهم ويستودعونه حفظ صنائعهم الى اوليائهم اه

(وكان للعرب اسواق يقيمونها) يعرضون فيها اشعارهم اما ارتجالا واما استحضاراً روى ان النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فيجلس لشعراء العرب على كرسي وتأتيه الشعراء فتنشده اشعارها فيفضل من يرى تفضيله فانشده في بعض المواسم الاعشي ثم حسان بن ثابت ثم الخنساء فاعجبه شعرها فقال لها اذهبي فانت اشعر من كل ذات ثديين ولولا ان ابا بصير (يريد الأعشى) انشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم فانك اشعر الانس والجن فلما ان سمع حسان ذلك غضب وقال انا اشعر منك ومنها فقال له يا ابن اخي ليس الامر كما ظننت ثم التفت الى الخنساء وقال خاطبيه يا خناس فالتفتت اليه الخنساء وقالت ما اجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفا قال قولي فيها

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

قالت ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا قال وكيف قالت قلت (لنا الجفنات) والجفنات ما دون العشر ولو قلت الجفان لكان اكثر وقلت (الغر) والغرّة بياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان اكثر اتساعاً وقلت (يلمعن) واللمعان شيء ياتي بعد شيء ولو قلت يشرقن لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان وقلت (بالضحى) ولو قلت بالدجى لكان اكثر طرّاقا وقلت (اسياف) والاسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوف لكان اكثر وقلت

(يقطرن) ولو قلت يسلن لكان اكثر وقلت (دماً) والدماء اكثر من الدم فسكت حسان ولم يحرِ جواباً

المعلقات السبع — ومن اشهر شعر العرب القصائد السبع المشهورة بالمعلقات لانها علقت على الكعبة احتراماً لها واصحابها امرؤ القيس الكندي وطرفه بن العبد وزهير بن ابي سلمى المزني ولبيد بن ربيعه العامري وعمرو بن كلثوم وعنترة ابن شداد العبسي والحارث بن حلزة اليشكري

ورأيت على هامش شرح الزوزني لهذه المعلقات مانصه « انما سميت المعلقات لان العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر في اقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احدا حتى يأتي مكة فيعرضه على اندية قريش فان استحسنوه روى وكان فخراً لقائله وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به قال ابو عمرو بن العلاء وكانت العرب تجتمع في كل عام بمكة وكانت تعرض اشعارها على هذا الحي من قريش قال ابن الكلبي فاول شعر علق في الجاهلية شعر امرىء القيس علق على ركن من اركان الكعبة ايام الموسم حتى نظر اليه فعلقت الشعراء بعده وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية وعدد من علق شعره سبعة الا ان عبد الملك طرح شعر اربعة منهم واثبت مكانهم اربعة وروى آخرون ان بعض امراء بني امية امر من اختار له سبعة اشعار فسماها المعلقات الثواني »

قال حماد الراوية كانت العرب تعرض اشعارها على قريش فما قبلوا منه كان مقبولاً وما ردوا منه كان مردودا فقدم عليهم علقمة الفحل فانشدهم قصيدته التي اولها

هل ماعلمت وماستودعت مكتوم ام حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذه ضمط الدهر ثم عاد اليهم العام المقبل فانشدهم قصيدته التي اولها

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هاتان سمطا الدهر

(وكان للبداوة والحضارة) تأثير على الشعر فكان شعر البدوي يدور بين جبل وجمل وحط وترحال ورداء وخباء وصيال ونزال وقتام وغمام وما اشبه ذلك من مشاهده التي هو فيها وشعر الحضرى بين قصور وحور وترف وطرف ولهو وطرب وخلاعة وما شاكل ذلك

(وكان الشعر ذا تأثير واعتبار في النفوس) فكان الشاعر يرفع قوماً ويخفض آخرين بشعره مما يرشد الى ذلك ماجاء في ترجمة الاعشي في الاغاني من انه كان لابي المحلق شرف فمات وقد اتلف ماله وبقى المحلق وثلاث اخوات له ولم يترك لهم الاناقة واحدة وحلتي برود جيدة كان يسد بها الحقوق فاقبل الاعشى من بعض اسفاره يريد منزله باليمامة فنزل الماء الذي به المحلق فقراه اهل الماء فاحسنوا قراه فاقبلت عمة المحلق فقالت يا ابن اخي هذا الاعشى قد نزل بمائنا وقد قراه اهل الماء والعرب تزعم انه لم يمدح قوماً الا رفعهم ولم يهج قوماً الا وضعهم فانظر ما اقول لك واحتل في زق من خمر من عند بعض التجار فارسل اليه بهذه الناقة والزق وبردتى ابيك فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر الى عطفيه في البردتين ليقولن فيك شعرا يرفعك به قال ما املك غير هذه الناقة وانا اتوقع رسلها فاقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل فكلما دخل على عمته حضته حتى دخل عليها فقال قد ارتحل الرجل ومضى قالت الآن والله احسن ما كان القري تتبعه ذلك مع غلام ابيك مولى له اسود شيخ فحيثما لحقه اخبره عنك انك كنت غائبا عن الماء عند نزوله اياه وانت لما وردت الماء فعلمت انه كان به كرهت ان يفوتك قراه فان هذا احسن لموقعه عنده فلم تزل تحضه حتى اتي بعض التجار فكلمه ان

يقرضه ثمن زق خمر واتاه بمن يضمن ذلك عنه فاعطاه فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى ابيه فخرج يتبعه فكلما مر بماء قيل ارتحل امس عنه حتى صار الى منزل الاعشى بمفتوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخا فهم يشربون منه اذ قرع الباب فقال انظروا من هذا فخرجوا فاذا رسول المحلق يقول كذا وكذا فدخلوا عليه وقالوا هذا رسول المحلق الكلابي اتاك بكيت وكيت فقال ويحكم اعرابي والذي ارسل الي لاقدر له والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لاقولن فيه شعرا لم اقل قط مثله فواثبه الفتيان وقالوا غبت عنا فاطلت الغيبة ثم اتيناك فلم تطعمنا لحما وسقيتنا الفضيخ واللحم والخمر ببابك لانرضى بذا منك فقال ائذنوا له فدخل فأدى الرسالة وقد اناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه قال اقره السلام وقل له وصلتك رحم سيأتيك ثناؤنا وقام الفتيان الى الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاؤا بها فاقبلوا يشوون وصبوا الخمر فشربوا واكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيهما فانشأ يقول

ارقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي معشق
ولكنني اراني لا ازال بحادث ... اغادي بما لم يمس عندي واطرق

حتى انتهى الى قوله

ابا مسمع سار الذي قد فعلتم ... فانجد اقوام به ثم اعرقوا
به تعقد الاجمال في كل منزل ... وتعقد اطراف الحبال وتطلق

قال فسار الشعر وشاع في العرب فما اتت على المحلق سنة حتى زوج اخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة فايسر وشرف (وقال ابن رشيق) وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة

واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس وتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشارة لذكرهم وكانوا يهنأون اما بغلام يولد او شاعر ينبغ فيهم اوفرس تنتج

تأثير الاسلام على الشعر - وفي اول الاسلام انصرف العرب عن الشعر بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القرآن ونظمه ولكنهم رجعوا اليه لما علموا ان لا خطر عليه فيما اتاهم به النبي بل رأوه عليه الصلاة والسلام يسمعه و يثيب عليه فقد اجاز كعب بن زهير بردا حين مدحه بقصيدته التي اولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

و يروي ان كعبا باع البرد الى معاوية بعشرين الف درهم - قال عمر بن الخطاب « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤلوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب والفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا اقل ذلك وذهب عنهم كثير وقد كان عند آل النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح به هو واهل بيته فصار ذلك الى بني مروان او ما صار منه » - وبعد الاسلام بزمن لما كثر تمدن العرب وتحضرهم واختلاطهم باهل الامصار اخذ الشعراء في التأنق في الشعر فرق وحسن ولبس صبغة غير صبغته التي كان عليها عصر الجاهلية و بالاجمال حضارة الاسلام سلت عن الشعر رداء المعاظلة والحوشية وألبسته حلل الرقة والملاحة انظر الى قول جرير

ان العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

ومما كان يساعد على ترقي الشعر ان الخلفاء والامراء كان يثيبون الشعراء المجيدين ويقربونهم من مجالسهم فكان الشاعر ينفتق لسانه بالشعر المليح رغبة في الجائزة او طمعاً في الجاه وقد ينتجع بشعره قاصدا الممدوح مع بعد الشقة طلباً لنواله وقد انتجع أبو نواس من بغداد قاصداً الخصيب بن عبد الحميد امير مصر من قبل الرشيد ومدحه بقصيدته التي اولها

اجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

فغمره باحسانه ورده الى اوطانه

اعتبار الشعر بعد الاسلام — ولم تزل درجة الشعر عالية واعتباره في النفوس باقياً عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني امية فقد روي ان بني عبد المدان كانوا يفخرون بطول اجسامهم حتى قال فيهم حسان

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال واحلام العصافير

فقالوا له يا ابا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر اجسامنا بعد ان كنا نفخر بها فقال لهم ساصلح منكم ما افسدت فقال فيهم

وقد كنا نقول اذا رأينا لذى جسم يعد وذي بيان
كأنك ايها المعطى لسانا وجسما من بني عبد المدان

وروي ان الزبرقان بن بدر لما هجاه الحطيئة بشعر قال فيه

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

حط من امره فرفع امره الى عمر بن الخطاب وانشده البيت فقال ما اري به بأسا قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت ببيت قط اشد عليّ منه

فبعث الى حسان بن ثابت وقال انظر ان كان هجاه فقال ماهجاه ولكن سلح عليه فأمر الامير بحبس الحطيئة فكتب اليه وهو في الحبس

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لاماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه ... القت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها ... لكن لانفسهم قد كانت الاثر

فأمر باطلاقه واخذ عليه ان لا يهجو احدا

وكان بنو نمير اشراف قيس وذوائبها فلما هجا جرير راعيهم بقوله

فغض الطرف انك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

اتضع اسمهم وانحط شأنهم

وروى ان جريرا دخل على عبد الملك بن مروان فانشده قصيدته التي اولها

اتصحو أم فؤادك غير صاحي ... عشية همّ صحبك بالرواح
تقول العاذلات علاك شيب ... اهذا الشيب يمنعني مزاحي
تعزت ام حرزة ثم قالت ... رأيت الموردين ذوى لقاح
تقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح
فأشكر ان رددت الى ريش ... وانيت القوادم في جناحي
الستم خير من ركب المطايا ... واندى العالمين بطون راح

فلما انتهى جرير الى هذا البيت كان عبد الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا او فليسكت ثم أجاز جريرا بمائة ناقة

ثم اخذ اعتبار الشعر يتناقص في غضون دولة بنى العباس لما كان ياخذ به الشعراء من مس شرف ذوي المقامات

فمن ذلك ماروي ان بشار بن برد في خلافة المهدي ثالث خلفاء بنى العباس استنهض بنى امية في استرداد الخلافة اليهم مدعيا ان الخليفة مغمور فى ملاهيه وان القائم باعباء الخلافة وزيره يعقوب بن داود

(فقال في ذلك)

بنى امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فضربه حتى مات وقيل ان بشار بن برد هجا صالح بن داود اخا يعقوب حين ولى فقال

هم حملوا فوق المنابر صالحًا اخاك فضجت من اخيك المنابر

فبلغ يعقوب هجاؤه فدخل على المهدي فقال ان هذا الاعمى المشرك قد هجا الخليفة قال وما قال قال يعفيني امير المؤمنين من انشاده فابي ان يعفيه فانشده

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجان
ابدلنا الله به غيره ودس مومي في حر الخيزران

فوجه في حمله فخاف يعقوب ان يقدم على المهدي فيمدحه فيعفو عنه فوجه اليه من يلقيه في البطيحه

وفي القرون الاخيرة مالت الانظار عن الشعر وقلت جوائزه

تقسيم الشعر الى اربع طبقات — وقد قسم الشعر الى اربع طبقات شعر جاهلي وهو شعر من جاء قبل الاسلام كشعر امرىء القيس وزهير بن ابي سلمى

المتوفي قبل الاسلام بنحو سنة وشعر مخضرم وهو شعر من ادرك عصر الجاهلية والاسلام كشعر الاعشى والحطيئة وشعر اسلامي كشعر شعراء الدولة الاموية مثل الفرزدق وجرير وشعر مولد كشعر شعراء الدولة العباسية مثل ابي نواس وابي فراس الحمداني المتوفي سنة ٣٥٧ قالوا ان الشعر ختم بابى فراس كما بدىء بامرىء القيس الكندى

الاستشهاد بالشعر في العلوم ـ وشعر الطبقة الاولى والثانية يستشهد به في اللغة وغيرها واما شعر الثانية فالصحيح انه يستشهد به ايضاً واما الرابعة فالصحيح انه لا يستشهد بشعرها الا في علوم المعاني والبيان والبديع فانها راجعة الى المعاني ولا فرق في ذلك بين الجاهلى والمولد وقد زيدت طبقة خامسة وهي شعر المتأخرين كابن مطروح وصفى الدين الحلى المتوفي سنة ٧٥٠ ويلحق بهذه الطبقة شعر شعراء هذا العصر اي القرن الرابع عشر الهجري وماقبله مثل الشيخ على الليثي والشيخ على ابي النصر من شعراء العائلة الخديوية . ولما توفي خديوي مصر محمد باشا توفيق سنة ١٣٠٩ من الهجرة رثاه بقصائد الشعر نحو ستين شاعراً ترى اسماءهم وقصائدهم في كتاب القول الحقيق في رثاء وتاريخ الخديوي المغفور له محمد باشا توفيق

ولدرك تفاوت درجات الشعر مع تقلبات العصور نذكر اشعارا لهذه الطبقات تتوارد على باب واحد كالمدح والنسيب والرثاء

(اشعار متواردة على المدح)

قال الشاعر الجاهلى وهو زهير ابن ابي سلمى يمدح هرم بن سنان المري

ان الخليط اجدّ البين فانفرقا وعلق القلب من اسماء ما علقا (١)

---

(١) الخليط الشريك والزوج وابن العم والقوم الذين امرهم واحد

واخلفتك ابنة البكري ماوعدت ... فاصبح الحبل منها واهناً خلقا (٢)
وفارقتك برهن لا فكاكَ له ... يوم الوداع فامسي الرهن قد غلقا (٣)
قامت تراءي بذي ضالٍ لتحزنني ... ولا محالة ان يشتاق من عشقا (٤)
بجيد مغزلةٍ أدماء خاذلة ... من الظباء تراعي شادنا خرقا (٥)
كأن ريقتها بعد الكري اغتبقت ... من طيب الراح لما يعد أن عتقا (٦)
شجّ السقاةُ على ناجودها شبما ... من ماء لينة لا طرقا ولا رنقا (٧)
مازلت ارمقهم حتى اذا هبطت ... ايدي الركاب بهم من راكس فلقا (٨)
دانيةً من شروري اوقفا ادمٍ ... تسعى الحداة على آثارهم حزقا (٩)
كأن عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا (١٠)
تمطو الرشاء فتجري في ثنايتها ... من المحالة قبًّا رائداً قلقا (١١)
لها متاع واعوانٌ غدون به ... قتبٌ وغرب اذا ما أفرغ انسحقا (١٢)
وخلفها سائق يحدو اذا خشيت ... منه اللحاق تمد الصلب والعنقا (١٣)

---

(٢) الحبل العهد (٣) برهن اي بقلب وغلق الرهن كفرح استحقه المرتهن اذا لم يفتكك في الوقت المشروط (٥) مغزلة ظبية ذات غزال وادماء من الادمة في الظباء وهولون مشرب بياضا وخاذلة من خذلت الظبية اذا تخلفت عن صواحبها او اقامت على ولدها (٦) اغتبق شرب الغبوق لما يعد لم يجزان صار عتيقا (٧) شج الشراب مزجه والناجود الخمر واناؤها والشبم الماء البارد ولينة موضع والطرق الماء الذي طرقته الابل و باتت فيه وبعرت والرنق الكدر (٨) الراكس واد والفلق المطمئن من الارض (٩) شروري وادم موضعان والحزق الجماعات واحدتها حزقه (١٠) الغرب الدلو العظيمة والمقتلة المجربة والنواضح من الابل التي يستقى عليها واحدها ناضح والجنة البستان والسحق النخل الطويل واحدته سحوق «١١» الرشاء الحبل والثناية حبل يشد طرفاه في قتب الناضح و يشد طرف الرشاء في مثناته ومعنى «في ثنايتها» اى وعليها حبلها والمحالة البكرة والقب الثقب يجري فيه المحور من المحالة

وقابلٌ يتغنى كلما قدرت ... على العراقي يداه قائماً دفقا (١٤)
يخيل في جدول تحبو ضفادعه ... حبو الجواري تري في مائه نطقا (١٥)
يخرجن من شربات ماؤها طحل ... على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا (١٦)
بل اذكرن خير قيس كلها حسبا ... وخيرها نائلاً وخيرها خلقاً (١٧)
القائد الخيل منكوباً دوابرها ... قداً حكمت حكمات القد والابقا (١٨)
غزت سمانا فآبت ضمرا خدجاً ... من بعد ما جنبوها بدّناً عُقُقا (١٩)
حتى يؤوب بها عوجاً معطلة ... تشكو الدوابر والانساء والصُفُقا (٢٠)
يطلب شأو امرأين قدّما حسنا ... نالا الملوك وبذّا هذه السُوَقا (٢١)
هو الجواد فان يلحق بشأوهما ... على تكاليفه فمثلهُ لحقا (٢٢)
او يسبقاه على ما كان من مهل ... فمثل ما قدما من صالح سبقا (٢٣)
اشم ابيض فياض يفكك عن ... ايدي العناة وعن اعناقها الربقا (٢٤)
وذاك احزمهم رأياً اذا نبأ ... من الحوادث غادي الناس اوطرقا (٢٥)
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطى بذلك ممنوناً ولا نزقا (٢٦)

« ١٤ » العراقي يريد العرقوتين وهما خشبتان يعرضان على الدلو كالصليب ١٥ النطق جمع نطاق والمراد بها هنا نفاخات ودارات على الماء ١٦ الشربات جمع شربة بالتحريك وهي حويض حول النخلة يسع ريها ١٨ الدوابر جمع دابرة وهي في الخيل مؤخر الحافر والقد السير يقد من جلد غير مدبوغ والابق القنب ١٩ الخدج التي تلقي اولادها لغير تمام جمع خدوج والبدن جامع بادن وهي الضخمة السمينة والعقق جمع عقوق وهي التي استبان حملها جنبوها قادوها ٢٠ الانساء عروق الفخذين جمع نسا والصفق جمع صفاق وهو الجلد الذي دون الجلد الاعلى مما يلي البطن ٢٦ اي فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل والممنون المقطوع والنزق السريع في اول ما يجري ثم ينقطع مثل البرذون اي الممدوح في الناس مثل الجواد في الخيل يعطيك ما عنده من الجري دون ان يقطع جريه او يبطيء بعد السرعة

قد جعل المبتغون الخير في هرم ... والسائلون الى ابوابه طرُقا (٢٧)
ان تلق يوماً على علاته هرما ... تلق السماحة منه والندي خلقا (٢٨)
وليس مانع ذي قربي وذي رحم ... يوما ولا معدما من خابط ورقا (٢٩)
ليث بعثَّر يصطاد الرجال اذا ... ما كذَّب الليث عن اقرانه صدقا (٣٠)
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ... ضاربَ حتى اذا ماضاربوا اعتنقا (٣١)
هذا وليس كمن يعيا بخطبته ... وسط الندىّ اذا ماناطق نطقا (٣٢)
لو نال حيّ من الدنيا بمنزلة ... وسط السماء لنالت كفُّه الافقا (٣٣)

(وقال الشاعر المخضرم وهو الحطيئة يمدح آل لأى)

الا هبتْ أُمامةُ بعد هدءٍ ... تعاتبني وما قضَّت كَراها
فقلت لها أُمامَ ذَرِي عتابي ... فان النفس مبدية ثناها
(٣) وليس لها من الحدثان بدّ ... اذا ما الدهر من كثَب رماها
فهل ابصرتِ او خبرتِ نفسا ... اتاها في تمنيها مُناها
كاني ساورتني ذات سمٍ ... تقيعٍ لا بلائمها رُقاها
لعمر الراقصات بكل فجّ ... من الرُكبان موعدها مِناها
لقد شدت حبائلُ آل لأىٍ ... حبالي بعد ما ضعفت قواها
(٨) فما تَتَأَمُ جارةُ الِ لأىٍ ... ولكن يضمنون لها قراها

---

٢٩ خابط ورقا اي سائل معروفا وهو مستعار من خبط ورق الشجر ليتناثر وناكله الماشية ٣٠ عثر اسم وموضع

٣ من كثب محركا اي من قرب ٨ اتام افتعل من الاتيام وهو ذبح التيمة اي الشاة يقول ان جارتهم لا تحتاج ان تذبح شاتها لانهم يضمنون لها كفايتها من القرى

لعمرك ما يضيّعُ آلُ لأيٍ ... وثيقاتِ الامور الى عراها
وما تركت حفائظها لامرٍ ... ألمّ بها وما صغرتْ لحاها
ومن يطلب مساعي آلِ لاى ... تصعّدُه الامورُ الى علاها
كرام يفضلون قُروم سعد ... اولى احسابها واولى نهاها
وهم فرع الذري من آل سعد ... اذا ما عدّ من سعد ذراها
وخطة ماجد في آل لأي ... اذا ما قام قائلها قضاها
اذا اعوجت قناة الامر يوما ... اقاموها لتبلغ منتهاها
ويبنى المجد راحل آل لأي ... على العوجاء مضطمرا حشاها
وتسعى للسياسة آل لاي ... فتدركها وما اتصلت لحاها
لعمرك ان جارة آل لأى ... لعفٌّ جيبها حسن ثناها

وقال الشاعر الاسلامي وهو الاخطل يمدح الحجاج بن يوسف

صرمت حبالك زينب وقذورُ ... وحبالهن اذا عقدن غرورُ
يرمين بالحدق المراض قلوبنا ... فقلوبهن مكلف مضرورُ
وزعمن أنى قدذهلت عن الصبا ... ومضى لذلك أعصرٌ ودهورُ
واذا أقول صحوت من ادوائها ... هاج الفؤاد دُمى او انس حور
واذا نصبن قرونهن لغدرة ... فكأنما حلت لهن نذور
ولقد اصيد الوحش في اوطانها ... فيذل بعد شماسه اليعفور
احيا الاله لنا الامام فانه ... خير البرية للذنوب غفور
نورٌ اضاء لنا البلاد وقد دجت ... ظُلَمٌ تكاد بها الهداة تجور
الفاخرون بكل يوم صالح ... واخو المكارم بالفعال فخور
فعليك بالحجاج لا تعدل به ... احدًا اذا نزلت عليك امور

ولقد علمت وانت اعلمنا به ... أن ابن يوسف حازم منصور
واخو الصفاء فما تزال غنيمة ... منه يجيء بها اليك بشير
وترى الرواسم تختلفن وفوقها ... ورق العراق سبائك وحرير
وبنات فارس كل يوم تصطفى ... يعلونهن وما لهن مهور
والخيل يتعبها على علاتها ... لله منتصب الفؤاد شكور
خوصاً اضربها ابن يوسف فانطوت ... والحرب لاقحة لهن زجور
وترى المزكّيَ في القياد كانه ... من طول ما جشم الغوار عقير
هربت نطاف عيونهن فادبرت ... فكأنهن من الضرارة عور
وحوِلن من خلج الاعنة وانطوت ... منها البطون وفي الفحول جفور
قطع الغزاة عجافهن فاصبحت ... حُرُدٌ صلادم قُرَّحٌ وذكور
ولقد علمت بلاءه في معشرٍ ... تغلى شناة صدورهم وتفور
والقوم زَأْرُهمُ واعلى صوتهم ... تحت السيوف غماغم وهرير
واذا اللقاح غلت فان قدوره ... جُوف لهن بما ضمن هدير
طلبَ الازارقَ بالكتائب اذهوت ... بشبيبَ غائلةُ النفوس غدور
يرجو البقية بعدما حدَقت به ... فرْط المنية يحصبٌ وحجور
فاباخ جمعهم حميداً وانثنى ... وله لوقعة آخرين زئير

وقال الشاعر المولد وهو المتنبي يمدح كافورا الاخشيدي

مَنِ الجآذِرُ في زِيّ الاعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب
ان كنت تسأل شكاً في معارفها ... فمن بلاك بتسهيد وتعذيب
لاتجزني بضنى لي بعدها بقرٌ ... تجزى دموعي مسكوبا بمسكوب
سوائرٌ ربما سارت هوادجها ... منيعةً بين مطعون ومضروب

وربما وخدتْ ايدي المطيّ بها ... على نجيع من الفُرْسان مصبوب
كم زَوْرةٍ لك في الاعراب خافية ... ادهى وقد رَقَدوا من زَوْرةِ الذيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي ... وانثني وبياض الصبح يغْرى بي
قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها ... وخالفوها بتقويض وتطنيب
جيرانها وهمُ شرُّ الجوارِ لها ... وصحبها وهمُ شرّ الاصاحيب
فؤاد كل محبّ في بيوتهم ... ومال كل اخيذِ المال محروب
ما اوجهُ الحضر المستحسنات به ... كاوجه البدَويّات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسْن غير مجلوب
اين المعيزُ من الآرام ناظرةً ... وغيرَ ناظرة في الحسن والطيب
افدى ظباء فلاةٍ ما عرفنَ بها ... مضغَ الكلامِ ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً ... اورا كهن ثقيلاتِ العراقيب
ومنْ هوَى كل من ليست مموّهة ... تركت لون مشيبي غيرَ مخضوب
ومنْ هوى الصدق في قولي وعادته ... رغبت عن شعر في الوجه مكذوب
ليت الحوادث باعتني الذي اخذت ... مني بحلمي الذي اعطت وتجريبي
فما الحداثة من حِلْم بمانعة ... قد يوجدا لحلْم في الشبّان والشيب
ترعرع الملك الاستاذ مكتهلا ... قبل اكتهالٍ ادبا قبل تاديب
مُجرّبًا فهما من قبل تجربة ... مهذّبًا كرَمًا من قبل تهذيب
حتى اصاب من الدنيا نهايتها ... وهمّه في ابتداآت وتشبيب
يدبر الملك من مصر الى عدنٍ ... الى العراق فارض الروم فالنوب
اذا انتهى الرياح النكْبُ من بلد ... فما تهبُّ بها الاّ بترتيب
ولا تجاوزها شمس اذا شرقتْ ... الا ومنه لها اذن بتغريب

يُصرّف الامرَ فيها طينُ خاتمه ... ولو تَطلّسَ منه كلُّ مكتوب
يحُطُّ كلَّ طويل الرمحِ حاملهُ ... من سرج كل طويل الباع يعبوب
كأن كلَّ سؤالٍ في مسامعه ... قميصُ يوسفَ في اجفان يعقوب
اذا غزته اعاديه بمسئلة ... فقد غزته بجيش غير مغلوب
او حاربته فما تنجو بتقدمة ... مما اراد ولا تنجو بتجبيب
أضرّتْ شجاعتُه اقصي كتائبه ... على الحمام فما موت بمرهوب
قالوا هجرتَ اليه الغيثَ قلت لهم ... الى غيوث يديه والشآبيب
الى الذي تهبُ الدولاتِ راحتُه ... ولا يمنُّ على آثار موهوب
ولا يروع بمغدور به احدا ... ولا يفزّع موفورا بمنكوب
بلى يروع بذي جيش يُجدّله ... ذا مثله في احمِّ النقع غربيب
وَجدْتُ انفعَ مالٍ كنتُ اذخرُهُ ... مافي السوابق من جرْيٍ وتقريب
لما رايت صروفَ الدهر تغدر بي ... وفيْنَ لي ووفت صمُّ الانابيب
فُنْنَ المهالك حتى قال قائلها ... ماذا لقينامن الجُرْد السراحيب
تهوِي بمنجرد ليست مذاهبه ... للبُس ثوب وماْ كول ومشروب
يرمى النجومَ بعيني من يحاولها ... كانها سلبٌ في عين مسلوب
حتى وصلت الى نفس محجبة ... تلقى النفوسَ بفضل غير محجوب
في جسم اروعَ صافي العقل تُضحكُه ... خلائق الناس إضحاكَ الاعاجيب
فالحمد قبل له والحمد بعد لها ... وللقنا ولا دلاجي وتأويبي
وكيف اكفر يا كافور نعمتها ... وقد بلغتك بي ياخير مطلوب
يا ايها الملك الغاني بتسمية ... في الشرق والغرب عن وصف وتلقيب
انت الحبيب ولكني اعوذ به ... من ان اكون محبا غير محبوب

وقال شاعر العصر حفني بك ناصف القاضي بالمحاكم الاهلية يمدح خديوي مصر توفيق باشا ويهنئه بالعام الجديد ويذكر حريق قصر عابدين والخديوي في مصيفه بالاسكندرية

وافى يقبل راحتيك العام ... وحنت اليك رؤوسها الايام
والدهر اقسم لايجيء بغير ما ... ترضى وكم برّتْ له اقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما ... قبلت معاذيرَ المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذي ... لم تحوِ مِصرٌ نظيرَهُ والشام
شبّت به النيران فارتاعت لها ... مُهَجُ الانام وهالها استعظام
وسعوا الى اطفائها فتزاحمت ... ثَمَّ السنابكُ والتقى الاقدام
زاغت لها الابصار واحتشدت لها النُّظّار بل طاشت لها الاحلام
لولا الدخان احاط حول لهيبها ... ما شك فرد أنها أعلام
امر به نفذ القضاء وليس في ... أحكامه نقض ولا ابرام
لسنا نذكرك القضاء فانت في ... هذا المقام وفي سواه امام
بل حكمة شاء الاله بيانها ... لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا ان الملوك وان علوا ... قدرا تسير عليهم الاحكام
فاذا اقتدى بهم الرعية احسنوا ... صبرا وخفت عنهم الآلام
عين السماء لعابدين تطلعت ... حسدا عليك وللعيون سهام
وتشوف القصر الكريم لاهله ... والشوق في قلب المحب ضرام
لم يستطع صبرا على طول النوى ... والصبر في شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتأججت ... جمراته والصب كيف يلام
لولا الدموع من المطافئ ما انقضى ... منه الهيام ولم يبلّ اوام

خرقت طباق الجوّ الا انها برد قصاريه امرها وسلام
والنار من آى القبول فقد عفا قربانَ هابيلٍ لها اضرام
هذا وكم من نعمة في نقمة طويت فلم تفطن لها الافهام
عام بما فيه مضى ووفا ابا العبّاس عام وجهه بسّام
يفترّ ثغر الدهر عن نفحاته ويضيء من قسماته الاظلام
ايامه بك كلهن مسرّة وزمانه بك كله انعام
مولاي اغرقت الانام بانعم ليست تفى ببيانها الاقلام
طوقتهم بمواهب سجعوا بها كالروض تسجع في رباه حمام
عفو واحسان وحط ضرائب ومدارس ومجالس ونظام
ودوام ارسال الوفود لمنتدى اهل العلوم وللعلوم ذمام
اكرمتهم حتى ملكت قلوبهم والحرّ يملك قلبه الاكرام
دم يا عزيز لمصر تصلح شأنها فدوام ملكك للصلاح دوام
واستقبل الايام تكلؤك العلى ويحوطك التبجيل والاعظام
وانعم بعباس وطب بمحمد فهما لاوصاف الكمال مرام
واهنأ بعام قلت في تاريخه توفيقنا تسمو به الاعوام

سنة ١٣٠٩

وقال الشاعر المجيد احمد بك شوقي من موظفي المعية السنية يهنيء الجناب العالي بعوده من دار الخلافة الى مصر سنة ١٣١٦

على قدر الهوى يأتي العتاب ومن عاتبت تفديه الصحاب
ألوم معذبي فألوم نفسي فأغضبها ويرضيها العذاب
ولو أني استطعت لتبت عنه ولكن كيف عن روحي المتاب

ولي قلب بأن يهوى يجازى ومالكه بأن يجني يثاب
ولو ساغ العقاب فعلت لكن نفار الظبي ليس له عقاب
يلوم اللائمون وما رأوه وقدماً ضاع في الناس الصواب
صحوت فأنكر السلوان قلبي عليّ وراجع الطرب الشباب
وللعيش الصبا فاذا تولى فكل بقية في الكاس صاب
ومارثت له عندي حبال ولا ضاقت له عني ثياب
وشأني والصبابة منذ كنا كما الصهباء يألفها الحباب
كأن يد الغرام زمام قلبي فليس عليه دون هوى حجاب
كأن جوانحي والحب فيها فلاة التيه ما منها مآب
كأن الحب جوعة قوم موسى فبعدي عنه بالسلوى اقتراب
كأن رواية الاشواق عود على بدء وما كمل الكتاب
كأني والهوى أخوا مدام لنا عهد بها ولنا اصطحاب
اذا ما اعتضت عن عشق بعشق أعيد الكاس وامتد الشراب
وكل هوى بلائمة مشوب وحبك بالملامة لا يشاب
لانك انت للاوطان كهف وانت حقوق مصرك والطلاب
وأنت الرأس ما منه بديل وانت الروح ما عنها مناب
وانت سلاحنا ماخان يوما وغيرك سهمنا وبه نصاب
فأهلا (بالامير) وما راينا هلالا تستقر به الركاب
ولاشمساً (برأس التين) حلت وفي الدنيا ضحاها واللعاب
وا كرم قادم انت المفدى وايمن مقدم هذا الاياب
تغيب عن البلاد وعن بنيها ومالك عن قلوبهم غياب

تقربك المنى آنا وآنا تقربك الاحاديث العذاب
اذا ما سرت من قطر لقطر اقام البحر وانتقل السحاب
اذا جاورت قوما حل فيهم صميم المجد والشرف اللباب
اذا جعل الكرام لنا سماء فانك شمسها وهم الضباب
ولما جئت (دار الملك) حيت بأحسن ماتعود ذا الجناب
اظلتك الخلافة في ذراها وبرّت سوحها بك والرّحاب
وفتّح للرعاية الف باب هناك وسد للواشين باب
وردنا الماء بينكما نميرا واظمأ من يريبكما السراب
وما وجدوا لمفسدة مجالا ولكن تنبح القمر الكلاب
فعيشا فرقدين من الليالي وعاش خلائق بكما وطابوا
نداء الخلف بينكما عقيم وداعي الله بينكما مجاب

(اشعار متواردة على النسيب)

قال امرؤ القيس (وهو جاهلي)

الا عم صباحاً ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمنْ الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهل ينعمن من كان احدث عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال
ديار لسلمي عافيات بذي الخال الحّ عليها كل اسحم هطال
وتحسب سلمي لا تزال كعهدنا بوادي الخزامي اوعلى رأس اوعال
وتحسب سلمى لا تزال ترى طَلاً من الوحش او بيْضاً بميْثاء محلال
ليالي سلمى اذ تريك منصباً وجيدا كجيد الريم ليس بمعطال
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يشهد اللهو امثالي

بلى رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كانها خط تمثال
يضيء الفراشَ وجهها لضجيعها ... كمصباح زيت في قناديلِ ذبّال
كأن على لباتها جمر مصطل ... اصاب غضى جزلا وكُفَّ باجذال
وهبت له ريح بمختلف الصُوَى ... صبًا وشمالا في منازل قفال
كذبت لقد اصبي على المرء عِرسه ... وامنع عِرسي ان يزن بها الخالي
ومثلك بيضاء العوارض طفلة ... لعوب تنسيني اذا قمت سِربالي
لطيفة طي الكشح غير مفاضة ... اذا انفتلت مرتجة غير متفال
اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ... تميل عليه هونة غير مجبال
كحقف النقايشي الوليدان فوقه ... بما احتسبا من لين مس وتسهال
اذا ما استحمت كان فيض حميمها ... على متنتيها كالجمان لدى الجالي
تنورتها من اذرعات واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عال
نظرت اليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تُشبُّ لقفال
سموت اليها بعد ما نام اهلها ... سمو حباب الماء حالاً على حال
فقالت سباك الله انك فاضحي ... الست ترى الستار والناس احوالي
فقلت يمين الله ابرح قاعدًا ... ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
فصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة اي اذلال
حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما ان من حديث ولا صال
فاصبحت معشوقا واصبح بعلها ... عليه القتام كاسف الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه ... ليقتلني والمرء ليس بقتال
ايقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كانياب اغوال

وليس بذي سيف فيقتلني به ... وليس بذي رمح وليس بنبال
ايقتلني وقد قطرت فؤادها ... كما قطر المهنوءة الرجل الطالي
وقد علمت سلمى وان كان بعلها ... بان الفتى يهذي وليس بفعال
وماذا عليه ان ذكرت اوانسا ... كغزلان رمل في محاريبِ اقوال
وبيت عذارى يوم دجن دخلته ... يطفن بجمّاء المرافق مكسال
قليلة جرْس الليل الا وساوسا ... وتبسم عن عذب المذاقة سلسال
طوال المتون والعرانين كالقنا ... لطاف الخصور في تمام واكمال
اوانس يتبعن الهوى سبل المنى ... يقلن لاهل الحلم ضَلاًّ بتضلال
صرفت الهوي عنهن من خشية الردي ... ولست بمقلي الخلال ولا قالي
كاني لم اركب جواداً للذة ... ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الرويّ ولم اقل ... لخيلي كري كرة بعد اجفال
ولم اشهد الخيل المغيرة بالضحى ... على هيكل نهْد الجزارة جوَّال
سليم الشظي عبل الشوي شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الغال
وصمٌّ صلاب ما يقين من الوجى ... كأن مكان الردف منه على رال
وقد اغتدي والطير في وكناتها ... لغيث من الوسمي رائده خال
تحاماه اطراف الرماح تحاميا ... وجاد عليه كل اسحم هطال
بعجْلَزة قد أتْرَزَ الجري لحمها ... كميتٍ كانها هِراوة مِنوال
ذَعَرْت بها سِرْبا نقياً جلودُه ... واكرُعُه وشي البرود من الخال
كأن الصوار اذ يجاهدن غدوة ... على جُمُد خبْل تجول باجلال
فجال الصوار واتقين بقرهب ... طويل القرا والروق اخنس ذيال
فعادى عداءً بين ثور ونعجةٍ ... وكان عداء الوحش مني على بال

كأني بفتخاء الجناحين لقوةٍ صيودٍ من العقبان طأطأت شملالى
تخطّف خزّان الشريّة بالضحى وقد حجرت منها ثعالب اوْرال
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
فلو انما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالى
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدركِ اطرافِ الخطوب ولا آلى

وقال النابغة الذبياني (وهو جاهلي) يصف المتجردة وقد دخل على النعمان ففاجأته فسقط نصيفها عنها فغطت وجهها بمعصمها

أمن آل مية رائح او مغتدي عجلان ذا زادٍ وغير مزوّدِ
أفد الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد
زعم الغداف بان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغداف الاسود
لا مرحباً بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة في غد
حان الرحيل ولم تودع مهدراً والصبح والامساء منها موعدي
في اثر غانية رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير ان لم تقصد
غنيت بذلك اذ هُمُ لك جيرة منها بعطف رسالةٍ وتودُّد
ولقد اصاب فؤاده من حبها عن ظهر مرنان بسهم مصرّد
نظرت بمقلة شادنٍ مترببٍ أحوى أحمّ المقلتين مقلدِ
والنظم في سلكٍ يزين نحرها ذهبٌ توقّدُ كالشهاب الموقد
صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأوّدِ
والبطن ذو عكن لطيفٌ طيُّه والنحر تنفجه بثدى مقعدِ
محطوطة المتنين غير مفاضة ريا الروادف بضة المتجرد

قامت تراءى بين سجفي كلة ... كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
او درةٍ صدفية غوّاصها ... بهج متى يرها يهلّ ويسجد
او دمية من مرمرٍ مرفوعة ... بنيت باجرٍ يشاد وقرْمدِ
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد
نظرت اليك بحاجة لم تقضها ... نظر السقيم الى وجوه العود
تجلو بقادمتي حمامة ايكة ... بردًا أُسفّ لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ... جفت اعاليه واسفله ندى
زعم الهمام بان فاها بارد ... عذب مقبله شهي المورد
زعم الهمام ولم اذقه انهُ ... عذب اذا ما ذقته قلت ازدد
زعم الهمام ولم اذقه انه ... يُشفى بريّا ريقها العطش الصدى
اخذ العذاري عقدها فنظمنه ... من لؤلؤ متتابع متسرد
لو انها عرَضت لاشمط راهب ... عبد الاله صرورةٍ متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ... ولخاله رشدا وان لم يرشد
بتكلم لو تستطيع كلامه ... لدنت له اروي الهضاب الصخّد
وبفاحم رجل اثيث نبته ... كالكرم مال على الدعام المسند
واذا لمست لمست اجثم جاثيا ... متحيزا بمكانه ملء اليد
واذا طعنت طعنت في مستهدف ... رابي المجسة بالعبير مقرمد
واذا نزعت نزعت عن مستحصف ... نزع الحزور بالرشاء المحصد
واذا يعض تشده اعضاؤها ... عض الكبير من الرجال الادرد
ويكاد ينزع جلد من يصلى به ... بلوافح مثل السعير الموقد

لا وارد منها يحور لمصدر عنها ولا صدِر يحور لمورد

وقال الاعشي (وهو مخضرم)

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل
غرّاء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشى الوجي الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا رَيث ولا عجل
تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشْرِقٌ زجل
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسرّ الجار تختتل
يكاد يصرعها لولا تشددها اذا تقوم الى جاراتها الكسل
هرْ كوْلة فنقٌ دُرْمٌ مرافقها كأن اخمصها بالشوك منتعل
اذا تقوم يضوع المسك أصْوِرةً والزَنبق الورد من اردانها شمل
ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزَّرٌ بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ولا باحسن منها اذ دنا الأُصُل

ومنها

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلا بام خليد حبل من تصل
أأن رأت رجلاً اعشى أضرّبه ريب المنون ودهر مفند خبل
قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل
اما ترانا حفاة لانعال لنا انا كذلك ما نحفى ونتعل
وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر منى ثم ما يئل
وقد اقود الصبى يوماً فيتبعنى وقد يصاحبني ذو الشرّة الغزل
وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شُلْشُلٌ شوِل

في فتية كسيوف الهند قد علموا ... ان ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل
نازعتهم قضب الريحان متكئاً ... وقهوة مزّة راووقها خضل
لا يستفيقون منها وهي راهنة ... الا بهات وان علّوا وان نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات له نطف ... مقلص اسفل السربال معتمل
ومستجيب تخال الصنج تسمعه ... اذا ترجع فيه القينة الفضل
والساحبات ذيول الريط آونة ... والرافلات على اعجازها العجل
من كل ذلك يوم قد لهوت به ... وفي التجارب طول اللهو والغزل

وقال عمر بن ابي ربيعة (وهو اسلامي)

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ انت غادٍ فمبكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائح فمهجّر
لحاجة نفس لم تقل في جوابها ... فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
اهيم الى نعم فلا الشمل جامع ... ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع ... ولا نأيها يسلي ولا انت تصبر
واخرى اتت من دون نعم ومثلها ... نهى ذا النهى لو يرعوي او يفكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة ... لها كلما لاقيتها يتنمّر
عزيز عليه ان ألمّ ببيتها ... يسرّليَ الشحناء والبغض مظهر
أكنّى اليها بالسلام فانه ... يشهر المامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمدفع اكنان اهذا المشهر
قفي فانظري اسماء هل تعرفينه ... اهذا المغيريّ الذي كان يذكر
اهذا الذي اطريت نعتاه فلم اكن ... (رعيتك) أنساه الى يوم اقبر
فقالت نعم لاشك غير لونه ... سرى الليل يحيي نصّه والتهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والانسان قد يتغير

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيحصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر
قليل على ظهر المطية ظله سوى ما نفي عنه الرداء المحبر
واعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملتف الحدائق اخضر
ووالٍ كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخر الليل تسهر
وليلة ذي دَوَّان جشمني السرى وقد يجشم الهولَ المحبّ المغرر
فبت رقيبا للرفاق على شفا احاذر منهم من يطوف وانظر
اليهم متى يستمكن اليوم منهم ولي مجلس لولا اللبانة اوعر
وباتت قلوصي بالعراء ورحلها لطارق ليل او لمن جاء معور
وبت اناجي النفس اين خباؤها وكيف لما اتى من الامر مصدر
فدل عليها القلبَ ريا عرفتها لها وهوى النفس الذي كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت مصابيح شبت بالعشاء وانور
وغاب قمير كنت اهوى غيوبه وروّح رعيان ونوّم سمّر
وخفّض عني الصوت اقبلت مشية الـــحباب وشخصي خشية الحي ازور
فجئت اذ فاجأتها فتولهت وكادت بمخفوض التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك اذ هنا عليك الم تخف وقيت وحولي من عدوك حضر
فوالله ما ادري اتعجيل حاجة سرت بك ام قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى اليك وما نفس من الناس تشعر
(فقلت كذاك الحب قد يجعل الفتى من الهول حتى يستقاد فينحر)
فقالت وقد لانت وافرخ روعها كلاك بحفظ ربك المتكبر

فانت ابا الخطاب غير مدافع ... علىّ امير ما مكثت مؤمّر
فبتّ قرير العين اعطيت حاجتي ... اقبل فاها في الخلاء فاكثر
فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ملهى هناك ومجلس ... لنا لم يكدره علينا مكدّر
يهيج ذكيّ المسك منها مقبّل ... نقى الثنايا ذو غروب مؤشر
تراه اذا ما افتر عنه كأنه ... حصا بردٍ اواقحوان منوّر
وترنو بعينيها الىّ كما رنا ... الى ظبية وسط الخميلة جؤذر
فلما تقضى الليل الا اقله ... وكادت توالى نجمه تتغوّر
اشارت بان الحي قدحان منهم ... هبوب ولكن موعد منك عزور
فما راعنى الامناد ترحلوا ... وقدلاح معروف من الصبح اشقر
فلما رأت من قد تنبه منهمو ... وايقاظهم قالت أشرْ كيف تامر
فقلت اباديهم فاما افوتهم ... واما ينال السيف ثارا فيثأر
فقلت اتحقيقا لما قال كاشح ... علينا وتصديقا لما كان يؤثر
فان كان ما لا بد منه فغيره ... من الامر دني للخفاء واستر
اقص على اختىّ بدء حديثنا ... ومالي من ان يعلما متأخر
لعلهما ان يطلبا لك مخرجا ... وان يرحباسرّبا بما كنت احصر
فقامت كئيباً ليس في وجههادم ... من الحزن تذرى عبرة تتحدر
فقامت اليها حرتان عليهما ... كسا آن من خزٍ دِمَقسٌ واخضر
فقالت لاختيها اعينا على فتى ... اتى زائرا والامر للامر يقدر
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... اقلى عليك اللوم فالخطب ايسر
فقالت لها الصغرى ساعطيه مطرفي ... ودرعى وهذا البرد ان كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكرًا فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنّى دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي اما تتقي الاعداء والليل مقمر
وقلن اهذا دابك الدهر سادرا اما تستحي او ترعوي او تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر
فآخر عهدلي بها حيث اعرضت ولاح لها خد نقي ومعجر
سوى انني قد قلت يا نعمُ قولة لها والعتاق الارحبيات تزجر
هنيئًا لاهل العامرية نشرها اللـذيذ وريّاها الذي اتذكر
وقمت الى عنسٍ تخوف نيها سرى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها بقية لوحٍ او شجار مؤسّر
وماء بوماة قليل انيسه يسابس لم يحدث به الصيف محضر
به مبتنى للعنكبوتِ كأنّه على طرف الارجاء خام منشّر
وردت وما ادري اما بعد موردي من الليل أمّ ما قد مضى منه اكثر
فقمت الى مِفلاة ارض كأنها اذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصا على الماء راسها ومن دون ما تهوى قليب معور
محاولة للماء لولا زمامها وجذبي لها كادت مرارا تكسر
فلما رأيت الضر منها وانني ببلدة ارض ليس فيها معصّر
قصرت لها من جانب الحوض منشأ جديدا كقاب الشبر او هو اصغر
اذا شرعت فيه فليس لملتقى مشافرها منه قدى الكف مسأر
ولا دلو الا العقب كان رشاءه الى الماء نسع والاديم المضفر
فسافت وما عافت وما ردشربها عن الرى مطروق من الماء اكدر

وقال ابن زيدون الاندلسي (وهو مولد)

اضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تاسينا
حالت لبينكم ايامنا فغدت ... سودا وكانت بكم بيضا لياليا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية ... قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليُسْقَ عهدكمو عهد السرور فما ... كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
أن الزمان الذي مازال يضحكنا ... انساً بقربهم قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بان نغصّ فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا ... وانبت ما كان موصولا بايدينا
وقد نكون وما يخشي تفرقنا ... فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم ... رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... ان طال ما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت اهواؤنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
ولا استفدنا خليلاً عنك يشغلنا ... ولا اتخذنا بديلا منك يسلينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حيّا كان يحيينا
يا روضة طال ما اجنت لواحظنا ... وردا جلاه الصبا غضاً ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها ... مُنىً ضروبا ولذات أفانينا

ويا نعيما رفلنا من غضارته ... في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالاً وتكرمة ... وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت في صفة ... فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبيينا
يا جنة الخلد ابدلنا بسلسلها ... والكوثر العذب زقوماً وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا ... والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو أن ذكرنا الحزن حين نهت ... عنه النهي وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الاسى يوم النوى سوراً ... مكتوبة واخذنا الصبر تلقينا
اما هواك فلم نعدل بمنهله ... شرباً وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف افق جمال انت كوكبه ... سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيار اتجنبناك عن كثب ... لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة ... فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا كؤس الراح تبدي من شمائلنا ... سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد مادمنا محافظة ... فالحر من دان انصافاً كما دينا
فما ابتغينا خليلا منك يحسبنا ... ولا استفدنا حبيباً منك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه ... بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
أولى وفاء وان لم تبذلي صلة ... فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفي الجواب قناع لو شفعت به ... بيض الايادي التي مازلت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت ... صبابة منك نخفيها فتخفينا

وقال محمود باشا سامي المصري نزيل جزيرة سيلان الآن

ظن الظنون فبات غير موسد ... حيران يكلأ مستنير الفرقد

تلوي به الذكرات (١) حتى انه ... ليظل ملتق بين ايدي العوّد
طورا يهم بان ينزل بنفسه ... سرَفا وتارات يميل على اليد
فكانما افترست بطائر حلمه ... مشمولةٌ أوْساغَ سُمّ الاسود
قالوا غدا يوم الرحيل ومن لهم ... خوْفَ التفرق ان اعيش الى غد
هي مهجة ذهب الهوى بشغافها ... معمودة ان لم تمت فكأن قد
يا اهل ذا البيت الرفيع مناره ... ادعوكم ياقوم دعوة مُقْصَد (٢)
اني فقدت العام بين بيوتكم ... عقلي فردوه على لاهتدي
اوفاستقيدوني (٣) ببعض قيانكم ... حتى ترد اليّ نفسي اوتدى
بل يا اخاالسيف الطويل نجاده ... ان انت لم تحم النزيل فاغمد
هذى لحاظ الغيد بين شعابكم ... فتكت بنا خُلُساً بغير مهند
من كل ناعمة الصبا بدوية ... ريّا الشباب سليمة المتجرد (٤)
هيفاء ان خطرت سبت واذارنت ... سلبت فؤاد العابد المتشدد
يخفضن من ابصارهن تختلا ... للنفس فعل القانتات العبّد
فاذا اصبن اخا الشباب سلبنه ... ورمين مهجته بطرف اصيد
واذا لحن اخا المشيب قلينه ... وسترن ضاحية المحاسن باليد
فلئن غدوت دريئة لعيونها ... فلقد افُلُّ زَعارة (٥) المتمرّد
ولقد شهدت الحرب في إبانها ... ولبئس راعي الحي ان لم اشهد
تتقصف المران في حجَراتها ... ويعود فيها السيف مثل الادرد

(١) الذكرات جمع ذكره وهي الحدة (٢) المقصد الذي يمرض ويموت سريعاً
(٣) لعلها فاستقيدوني يقال استقدت الامير من القاتل فاقادني منه وعلى هذا تكون الباء بمعنى من (٤) المتجرد بالكسر الجسم وبالفتح المصدر (٥) الزعارة الشراسه

عصفت بهاريح الردى فتدفقت ... بدم الفوارس كالأتيّ المزبد
ما زلت اطعن بينها حتى انثنت ... عن مثل حاشية الرداء المجسد
ولقد هبطت الغيث بلمع نوره ... في كل وضاح الاسرة اغيد
تجري به الآرام بين مناهل ... طابت مشاربها وظل ابرد
بمضمر ارن (١) كأن سراته ... بعد الحميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثةً ... منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه ... سلباً وخاض من الضحى في مورد
زَجِل يردد في اللهاة صهيله ... دفعاً كزمزة الحبيّ المرعد (٢)
متلفتاً عن جانبيه يهزه ... مَرَحُ الصبا كالشارب المتفرد
فاذا ثنيت له العنان وجدته ... يطو كسيد الردهة المتورد (٣)
واذا اطعت له العنان رأيته ... يطوى المهامه فدفدا في فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة ... شدّاً كأهوب الاباء الموقَد
صلب السنابك لا ير بجلمد ... في الشد الأرضَّ فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت ... يوم الكريهة في العجاج الاربد(٤)
ولقد شربت الخمر بين غطارف ... شُمِّ المعاطس كالغصون الميد
يتلاعبون على الكؤوس اذا جرت ... لعبا يروح الجدفيه ويغتدى
لا ينطقون بغير ما امر الهوى ... فكلامهم كالروض مصقول ندى
من كل وضاح الجبين كأنه ... قمر توسط جنح ليل اسود

(١) الارن النشيط ماخوذ من ارن كفرح والسراة الظهر والحميم هنا العرق والوظيف مستدق الساق (٢) الزجل ذوالصوت والجلبة والحبيّ السحاب (٣) يطو يسرع والسيد المتورد الاسد الجرىء (٤) الاربد الاغبر

بل رب غانية طرقت خباءها ... والنجم يطرف عن لواحظ ارمد
قالت وقد نظرت الى فضحتني ... فارجع لشأنك فالرجال بمرصد
فخلبتها بالقول حتى رضتها ... وطويتها طيّ الحبيرة (١) باليد
ما زلت امنعها المنام غواية ... حتى لقد بتنا بليل الأنقد (٢)
روعاء تفزع من عصافير الضحى ... ترفا وتجزع من صياح الهدهد
حتى اذا نم الصبا وتتابعت ... زيم (٣) الكواكب كلها المتبدّد
قالت دخلت وما اخالك بارحا ... الا وقد ابقيت عار (٤) المسند
فمسحتها حتى اطمأن فؤادها ... ونفيت روعتها برأي محصد
وخرجت اخترق الصفوف من العدا ... متلثما والسيف يلمع في يدى
فلنعم ذاك العيش لو لم ينقضى ... ولنعم هذا العيش ان لم ينفد
يرجو الفتى في الدهر طول حياته ... ونعيمه والمرء غير مخلد

(اشعار متوارده على الرثاء)

قال المهلهل يرثي اخاه كليبا (وهو جاهلي)

اهاج قذاء عينيَ الاذكار ... هدُوًّا فالدموع لها انحدار
وصار الليل مشتملاً علينا ... كأن الليل ليس له نهار
وبت اراقب الجوزاء حتى ... تقارب من اوائلها انحدار
اصرّف مقلتي في اثر قوم ... تباينت البلاد بهم فغاروا
وابكي والنجوم مطلّعات ... كأنّ لم تحوها عنى البحار
على من لو نعيت وكان حيا ... لقاد الخيل يحجبها الغبار

(١) الحبيرة تصغير حبره كعنبه وهي ثوب يماني «٢» الانقد القنفذ لانه لا ينام الليل كله «٣» الزيم المتفرق من الدواب «٤» عار الدهر

دعوتك يا كليب فلم تجبني ... وكيف يجيبني البلد القفار
اجبني يا كليب خلاك ذمٌّ ... ضنينات النفوس لها مزار
اجبني يا كليب خلاك ذمّ ... لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيثاً ... ويسراً حين يلتمس اليسار
ابت عيناي بعدك ان تكفا ... كأن غضا القتاد لها شفار
وانك كنت تحلم عن رجال ... وتعفو عنهم ولك اقتدار
وتمنع ان يمسهم لسان ... مخافة من يجير ولا يجار
وكنت اعد قربى منك ربحاً ... اذا ما عدت الربح التجار
فلا تبعد فكل سوف يلقى ... شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بني ابيه ... ويوشك ان يصير بحيث صاروا
ارى طول الحياة وقد تولى ... كما قد يسلب الشيء المعار
كأني اذ نعي الناعي كليباً ... تطاير بين جنبيَّ الشرار
فدرت وقد عشى بصري عليه ... كما دارت بشاربها العقار
سألت الحي اين دفنتموه ... فقالوا لي بسفح الحي دار
فسرت اليه من بلدي حثيثا ... وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتي عن ظل قبر ... ثوى فيه المكارم والفخار
لدى اوطان اردع لم يشنه ... ولم يحدث له في الناس عار
اتغدو يا كليب معي اذا ما ... جبان القوم انجاه الفرار
اتغدو يا كليب معي اذا ما ... حلوق القوم يشحذها الشفار
اقول لتغلب والعز فيها ... اثيروها لذلكم انتصار
تتابع اخوتي ومضوا لأمرٍ ... عليه تتابع القوم الحسار

خذ العهد الاكيد على عمرى ... بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كأس ... ولبسي جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي ... الى ان يخلع الليل النهار
والا ان تبيد سراة بكر ... فلا يبقى لها ابدا اثار

وقالت الخنساء (وهي مخضرمة)

قذي بعينك أم بالعين عوّار ... ام زرّفت اذ خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت ... فيضٌ يسيل على الخدين مدرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ... ودونه من جديد الترب أستار
تبكي خناسٌ فما تنفك ما عمرت ... لها عليه رنين وهي مفتار
تبكي خناس على صخر وحق لها ... اذ رابها الدهر ان الدهر ضرار
لا بد من ميتةٍ في صرفها عبرٌ ... والدهر في صرفه حولٌ وأطوار
قد كان فيكم ابو عمرو يسودكم ... نعم المعمم للداعين نصّار
صلب النحيزة وهّاب اذا منعوا ... وفي الحروب جرىء الصدر مهصار
يا صخر وَرّادَ ماء قد تناذره ... اهل الموارد ما في ورده عار
مشي السبنتي الى هيجاء معضلة ... له سلاحان انياب واظفار
وما عجول على بوٍّ تُطيف به ... لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار
لا تسمنُ الدهر في ارض وان رتعت ... فانما هي تحنان وتسجار
يوماً بأوجد مني يومَ فارقني ... صخر وللدهر إحلاءٌ وإمرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحّار
وان صخرا لمقدام اذا ركبوا ... وان صخرا اذا جاعوا لعقّار

وان صخرا لتأتمُّ الهداة به ... كانه علمٌ في رأسه نار
جَلْدٌ جميل المحيَّا كاملٌ وَرِعٌ ... وللحروب غداة الروْع مسْعار
حمَّال الوية هبَّاط اودية ... شهَّاد اندية للجيش جرَّار
فقلت لما رايت الدهرَ ليس له ... مُعاتبٌ وحده يُسْدي ونيَّار
لقد نعى ابن نهيكٍ لي اخا ثقةٍ ... كانت تُرَجَّمُ عنه قبلُ أخبار
فبتّ ساهرة للنجم ارْقبهُ ... حتى اتى دون غوْرِ النجم أستار
لم تره جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجارُ
ولا تراه وما في البيت ياكله ... لكنه بارز بالصحن مِهمار
ومطعم القوم شحما عند مسغبهم ... وفي الجدوب كريم الجدّ ميسار
قد كان خالصتي من كل ذي نسب ... فقد اصيب فما للعيش أوطار
مثل الرُّدَينيّ لم تنفد شبيبته ... كانه تحت طيّ البرْدِ أسوار
جهم المحيَّا تضيئ الليلَ صُورته ... اباؤه من طوال السمك أحرار
موَرَّث المجد ميمون نقيبته ... ضخم الدَسيعة في العزَّاء مغوار
فرع لفرعٍ كريم غير مؤتشب ... جَلْد المريرة عند الجمع فخار
في جوف لحد مقيمٌ قد تضمنَّه ... في رَمسه مقمطرّت واحجار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمَّار
ليبكهِ مقتر أفنى حريبته ... دهرٌ وحالفه بؤس واقتار
ورفقة حار حاديهم بمهلكةٍ ... كأن ظلمتها في الطخية القار
لايمنع القوم ان سألوه خلْعته ... ولا يجاوزه بالليل مرّار

وقال كعب بن سعد الغنوى (وهو اسلامى)

تقول ابنة العبسى قد شبت بعدنا ... وكل امرئ بعد الشباب يشيب

وما الشيب الا غائب كان جائيا ... وما القول الا مخطئ ومصيب
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا ... كانك يحميك الشراب طبيب
فقلت ولم اعي الجواب ولم أنخ ... وللدهر في الصم الصلاب نصيب
تتابع احداث تخرمن اخوتي ... فشيبن رأسي والخطوب تشيب
لعمري لئن كانت اصابت منية ... اخي والمنايا للرجال شعوب
لقد عجمت مني الحوادث ماجدا ... عروفا لريب الدهر حين يريب
لقد كان اما حلمه فمروّح ... عليه واما جهله فمزيب
اخي ما اخي لا فاحش عند بيته ... ولا ورعٌ عند اللقاء هيوب
اخي كان يكفيني وكان يعينني ... على نائبات الدهر حين تنوب
حليم اذا ما سورة الجهل اطلقت ... حبى الشيب للنفس اللجوج غلوب
هو العسل الماذيّ لينا ونائلا ... وليث اذا يلقى العداة غضوب
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يؤدي الليل حين يؤب
هوت امه ماذا تضمن قبره ... من المجد والمعروف حين يثيب
اخو شتوات يعلم المضيف انه ... سيكثر ما في قدره ويطيب
حبيب الى الزوار غشيان بيته ... جميل المحيا شبّ وهو اديب
كأن بيوت الحي ما لم يكن بها ... بسابس قفر ما بهن عريب
كعالية الرمح الرديني لم يكن ... اذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
اذا قصرت ايدي الرجال عن العلى ... تناول اقصى المكرمات شيب
جموع خلال الخير من كل جانب ... اذا حال مكروه بهن ذهوب
مغيث مفيد الفائدات معوّد ... لفعل الندى والمكرمات كسوب
وداع دعا يا من يجيب الى الندي ... فلم يستجب عند النداء مجيب

فقلت ادع اخرى وارفع الصوت ثانياً ... لعل ابي المغوار منك قريب
يجيبك كما قد كان يفعل انه ... بامثالها رحب الذراع اريب
اتاك سريعاً واستجاب الى الندى ... كذلك قبل اليوم كان يجيب
كأن لم يكن يدعو السوابح مرة ... بذي لجب تحت الرماح مهيب
فتى اريحيّ كان يهتز للندى ... كما اهتز من ماء الحديد قضيب
فتى ما يبالي ان يكون بجسمه ... اذا نال خلات الكرام شحوب
اذا ما تراآه الرجال تحفظوا ... فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
على خير ما كان الرجال خلاله ... وما الخير الا قسمة ونصيب
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه ... سريعاً ويدعوه الندى فيجيب
غياث لعان لم يجد من يعينه ... ومختبط يغشى الدخان غريب
عظيم رماد النار رحب فناؤه ... الى سند لم تجتنحه عيوب
بيت الندى يا ام عمرو ضجيعه ... اذا لم يكن في المتقيات حلوب
حليم اذا ما الحلم زين اهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب
معنى اذا عادى الرجال عداوة ... بعيد اذا عادى الرجال قريب
غنينا بخير حقبة ثم جلحت ... علينا التي كل الانام تصيب
فابقت قليلاً ذاهبا وتجهزت ... لآخر والراجي الحياة كذوب
وأعلم ان الباقي الحي منهم ... الى اجل اقصى مداه قريب
لقد افسد الموت الحياة وقداتي ... على يومه علق عليّ حبيب
فان تكن الايام احسنّ مرةً ... الىّ فقد عادت لهن ذنوب
جمعن النوى حتى اذا اجتمع الهوى ... صدعن العصا حتى القناة شعوب
اتي دون حلو العيش حتي امرّه ... نكوب على آثارهن نكوب

كأن ابا المغوار لم يوف مرقبا ... اذا رباء القوم الغزاة رقيب
ولم يدعُ فتيانا كراماً لميسر ... اذا اشتد من ريح الشتاء هبوب
فان غاب منهم غائب او تخاذلوا ... كفى ذاك منهم والجنابُ خصيب
كأن ابا المغوار ذا المجد لم تجب ... به البيد عنس بالفلاة خبوب
علاة ترى فيها اذا حط رحلها ... ندوبا على آثارهن تدوب
واني لباكيه واني لصادق ... عليه وبعض القائلين كذوب
فتى الحرب ان حاربت كان سلاحها ... وفي السلم مفضال اليدين وهوب
وحدثتماني انما الموت في القرى ... فكيف وهذا روضة وقليب
وماء سماء كان غير محمة ... بداوية تجري عليه جنوب
ومنزله في دار صدق وغبطة ... وما اقتال من حكم عليه طبيب
فلو كانت الدنيا تباع اشتريته ... بمالم تكن عنه النفوس تطيب
بعيني اويمنى يدى وقيل لى ... هو الغانم الجذلان يوم يؤب
لعمركما ان البعيد لما مضى ... وان الذي يأتي غدا لقريب
واني وتأميلي لقاء مؤمل ... وقد شعبته عن لقاي شعوب
كداعي هذيل لا يزال مكلفاً ... ولا يناله حتى الممات مجيب
سقى كل ذكر جاءنا من مؤمل ... على النأي زحاف السحاب سكوب

وقال ابن الانباري (وهو مولد) يرثي ابن بقية وزير عز الدولة بويه لما صلبه عضد الدولة ببغداد بعد قتل عز الدولة

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... لحق تلك احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك ايام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا ... وكلهم قيام للصلاة

مددت يديك نحوهم احتفاء كمدهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان يضم علاك من بعد الوفاة
اصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس بقيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
وتوقد حولك النيران ليلا كذاك كنت ايام الحياة
ركبت مطية من قبل زيدٌ علاها في السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأس تباعد عنك تعيير العداة
ولم ار قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
اسأت الى النوائب فاستثارت فانت قتيل ثار النائبات
وصير دهرك الاحسان فيه الينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعداً فلما مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات
ولو انى قدرت على قيام بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكني اصبر عنك نفسي مخافة ان اعدّ من الجناة
ومالك تربة فاقول تسقى لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمات غوادٍ رائحات

وقال الفاضل اسماعيل باشا صبري محافظ ثغر الاسكندرية الآن يرثي خديو مصر محمد توفيق باشا المتوفى في اوائل جمادى الثانية سنة ١٣٠٩

نحن لله ما لحيّ بقاء وقصارى سوى الاله فناء

نحن لله راجعون فمن ما ت ومن عاش الف عام سواء
يفرح المرء في الصباح وما يعـلم ماذا يكنه الامساء
ومتاع الدنيا قليل وما يلـهو به المرء من حطام هباء
زهد الناس في الحياة ملمٌّ روعتنا بهوله الأنباء
قصر حلوان كنت انضر قصر فيه يحلو ويستطاب الهواء
كنت ذا هيبة يحاذرها الدهـر وتكبو امامها البأساء
كيف اصبحت مستضاما وللخطـب الى ركنك المنيع ارتقاء
ما كذا عهدنا بعزك ترميـه الليالي او يعتريه انقضاء
كان بالامس في ذراك ابو العبـاس تحيى ببشره الاحياء
فطوت برده الخطوب وكانت قبل تشقى بسعده وتساء
ويح من شيعوه قد اودعوا القـبر كريما يبكى عليه العلاء
وارتضوا بالبكا وما الحزن الاَّ ان تسيل القلوب والاحشاء
عاش فيناعذب البشاشة والاخـلاق تروي به النفوس الظماء
وتولى وفي الصدور من الوجـد عليه ما ليس يرويه ماء
عطلت مصر من سناه كما قد عطلت من حليها الحسناء
كل خطب في جنب خطبك يامصـر يرجى للناس فيه عزاء
ما يقول الراثون في فقد توفيـق وماذا تحاول الشعراء
والرزايا في بعضها يطلق القو ل وتعيي في بعضها البلغاء
ان مولاك كان احسن من تز هى بانوار وجهه البطحاء
كان للتاج فوق مفرقه ضو ء لديه تحقر الا ضواء
كان بجلودجي الكوارث ان جا ـت براي تعنو له الآراء

كان ادرى الملا بكسب ثناء آه لو خلد النفوس ثناء
آل توفيق الكرام البسوا الصـــبر رداء فالصبر نعم الرداء
انتم الراسخون في علم ما كا ن فقولوا من ذا عداه الفناء
اين قوم شادوا البلاد وسادو ها وكانت تهواهم العلياء
ملكوا الارض حقبة ثم امسوا وهمو في بطونها نزلاء
سنة الله في البرية لم يســـتثن منها الملوك والانبياء
لا اعزيكم وانى لقولي ان تعزي بمثله الحكماء
احمد الله في العشية والاص باح فالبؤس قد تلاه هناء
ان يكن خر من سمائكم بد ر فعبّاسكم به يستضاء
ورث الملك عن ابيه فلما قام بالامر دب فينا الرجاء
واجتنيناه طود مجد وسورا دار منه حول البلاد بناء
حبذا منه همة تترك الصعـــب ذلولا وعزة قعساء
وثبات في طيه وثبات للمعالى وحكمة واباء
وصفات عن كنهها يعجز الوص ف وفيها يستغرق الاحصاء
دام يكسو الزمان حسنا و يسدي انعما لا يشوبهن انتهاء

وقالت عائشة هانم التيمورية ترثي ابنتها وهو من الشعر الجزل الرصين المزري بشعر الخنساء

ان سال من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان غدور
فلكل عين حق مدرار الدما واكل قلب لوعة وثبور
ستر السنا وتحجبت شمس الضحى وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي اهوى وجرعني الاسا وغدت بقلبي جذوة وسعير

ياليته لما نوى عهد النوى ... وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي ... نار لها بين الضلوع زفير
لو بث حزني فى الورى لم يلتفت ... لمصاب قيس والمصاب كثير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى ... سحرا واكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتي فتغيرت ... وجنات خد شانها التغيير
فذوت ازاهير الحياة بروضها ... وانقدّ منها مائس ونضير
لبست ثياب السقم في صغر وقد ... ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا ... ان الطبيب بطبه مغرور
وصف التجرع وهو يزعم انه ... بالبرء من كل السقام بشير
فتنفست للحزن قائلة له ... عجل ببرئي حيث انت خبير
وارحم شبابي ان والدتي غدت ... ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حرمت طيب الكرى ... تشكو السهاد وفي الجفون فتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزه ... قالت ودمع المقلتين غزير
امّاه قد كلّ الطبيب وفاتني ... مما اؤمل في الحياة نصير
لو جاء عرّاف اليمامة يبتغي ... برئي لرد الطرف وهو حسير
يا روع روحي حلها نزع الضنا ... عما قليل ورقها ستطير
امّاه قد عز اللقاء وفي غد ... ستريني نعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى الى اللحد الذي ... هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي ... جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدي بازاء لحدي برهة ... فتراك روح راعها المقدور
امّاه قد سلفت لنا امنية ... يا حسنها لو ساقها التيسير

كانت كاحلام مضت وتخلفت ... مذبان يوم البين وهو عسير
عودي الى ربع خلا ومآثر ... قد خلفت عني لها تأثير
صوني جهاز العرس تذكارا فلي ... قد كان منه الى الزفاف سرور
جرت مصائب فرقتي لك بعد ذا ... لبس السواد ونفذ المسطور
والقبر صار لغصن قدي روضة ... ريحانها عند المزار زهور
امّاه لا تنسي بحق بنوتي ... قبري لئلا يحزن المقبور
ورجاء عفو او تلاوة منزل ... فسواك من لي بالحنين يزور
فلعلما احظى برحمة خالق ... هو راحم برّ بنا وغفور
فاجبتها والدمع يحبس منطقي ... والدهر من بعد الجوار يجور
بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي ... قد زال صفوٌ شأنه التكدير
لا توصي ثكلى قداذاب وتينها ... حزن عليك وحسرة وزفير
قسما بغضّ نواظري وتلهفي ... مذ غاب انسان وفارق نور
وبقبلتي ثغرا تقضى نحبه ... فحرمت طيب شذاه وهو عطير
والله لا اسلو التلاوة والدعا ... ما غرّدت فوق الغصون طيور
كلا ولا انسى زفير توجعي ... والقدّ منك لدى الثرى مدثور
اني الفت الحزن حتى انني ... لو غاب عني ساءني التأخير
قد كنت لا ارضى التباعد برهة ... كيف التصبر والبعاد دهور
ابكيك حتى نلتقي في جنة ... برياض خلد زينتها الحور
ان قيل عائشة اقول لقد فنى ... عيشي وصبري والاله خبيرُ
ولهى على توحيدة الحسن التي ... قد غاب بدر جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي ... راض وباك شاكر وغفور

متعت بالرضوان في خلد الرضا ما ازينت لك غرفة وقصور
وسمعت قول الحق للقوم ادخلوا دار السلام فسعيكم مشكور
هذا النعيم به الاحبة تلتقى لا عيش الا عيشه المبرور
ولك الهناء فصدق تاريخي بدا توحيدة زفّت ومعها الحور
(سنة ١٢٩٤ ٧ ٤٣٣ ٤٨٧ ١٢٢ ٢٤٥)

(١) فترى من قصائد المدح ان اغلبها مبدوء بالنسيب وهو اسلوب غريب ولعل سببه ان شعراء العرب كانت اشعارهم في الغالب حكاية عن واقع فكان الشاعر يقص على الممدوح في مدحته ما انتابه من فراق امرأته او ابنته ذات المكانة في فؤاده لما لها من الصفات الحسان ولا يأنف من ذكر اسمها ولا صفاتها ويقص عليه ايضاً ما اعتراه وراحلته من عناء السفر ورکوب الخطر حتى وصل اليه ثم يمدحه فيستعظم الممدوح حال الشاعر ويجزل له العطاء استعاضة لما نابه فلما جاء الشعراء المتأخرون ارادوا ان ينسجوا على منوال شعر العرب فافتتحوا مدائحهم بالتشبب بمحبوب اخترعه وهمهم وخيالهم وصار هذا الامر عادة مألوفة لهم وقال الدسوقي ان السبب في ذلك تهييج القريحة وتحريك النفس للشعر والمبالغة في الوصف وترويح النفس ورياضتها ـ وقال احمد فارس انه لاشيء افظع عند الافرنج من ان يروا في قصائد المدح تغزلا بامرأة ووصفها بكونها رقيقة الخصر ثقيلة الكفل نجلاء العينين سوداء الفرع وما اشبه ذلك وافظع منه التشبب بغلام واقبح من هذا وذاك نسبة شيء من صفات المؤنث الى المذكر كقول الشاعر (كأن ثدياه حقان) فانهم اول ما يبتدئون المدح يوجهونه الى المخاطب ويجعلونه ضربا من التاريخ فيذكرون فيه مساعي الممدوح ومقاصده وفضله على من تقدمه من الملوك وانه لما مدح احمد باشا والي تونس بقصيدته التي مطلعها

ـ زارت سعاد وثوب الليل مسدول ـ سئل هل اسم الباشا سعاد فقال لا بل هو اسم امرأة فقال السائل وما مدخل المرأة بينك وبين الباشا

واقول ان العرب ما كانت تشبب بالغلمان قط وان هذا ما جاء الا في شعر المتأخرين ولم نر في اشعار هؤلاء ولا أولئك نسبة شيء من صفات المؤنث الى المذكر واستشهاد احمد فارس على هذا بقول الشاعر (كأنّ ثدياه حقان) وهمٌ فان الضمير في (ثدياه) لا يعود لمحبوب مذكر ان توهمه بل يرجع الى الصدر في الشطر الاول من البيت وهو (وصدر مشرق النحر كأن ثدياه حقانِ)

ومن انى جاءه ان هذا الصدر صدر غلام وليس صدر فتاة ولم يرَ ما قبل هذا البيت ولا ما بعده من الابيات وهو من شواهد سيبويه التي لا يعلم قائلها وكونه صدر فتاة احق والزم وقد قال الشيخ جمال الدين بن هشام وصدر مرفوع بالابتداء والخبر محذوف تقديره ولها صدر ولم يقل وله صدر

هذا وقد هجر كثير من شعراء العصر الاسلوب العربي القديم كما ترى في قصيدة حفني بك وغيره

(ب) وترى من قصائد النسيب انهم يذكرون رحيل النساء وتأيهن ويخاطبون اطلالهن ويصفون محاسنهن ويذكرون ايام شباب ولهو ولذات قضوها معهن قال بعض والنسيب نوع من التشبب وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من اهل الادب يشتمل على اربعة انواع (١) ذكر ما في المحب من الصفات كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق (٢) وذكر ما في المحبوب من الصفات كحمرة الخد ورشاقة القد والملاحة والخفر (٣) وذكر ما يتعلق بهما من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء واخلاف ونحو ذلك (٤) وذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء ونحوهما

(ج) وترى من قصائد الرثاء انها دائرة حول الجزع على الفقيد وفيض العبرات والحزن والاسف عليه ووصف ما أثره ونحو ذلك

(د) وبالاجمال ترى ان كل نوع من الشعر يناسب زمانه ومكانه كما يعلم ذلك من التتبع

الفصل الثالث

فيما يتبع الشعر

بعد الاسلام لما رسخت اقدام الامة العربية في الحضارة والعمران في الاندلس والعراق ولواحقها اولعوا بالعلوم والفنون والآداب وركنت نفوسهم الى ما يرضيها ويزكيها من سماع اناشيد الشعراء والحان المغنين شأن كل امة توطدت دعائم ملكها وتوفرت دواعي الرفه فيها فكان شعراؤهم ينظمون جيد الشعر ذي الخيالات التي لا تخطر بفكر العربي البحت ففاقوا اسلافهم في ذلك حتى نظموا الكلام على اوزان غير المأثورة عنهم في اشعارهم واستحدثوا فنونا ستة الحقها الادباء بالشعر

اولها الموشح

واخترعه ارباب الالحان من اهل الاندلس تطبيقاً على اصوات الموسيقى واول من قاله مُقَدَّم بن معافر وقيل ان بعض الالحان الموسيقية كانت تجيء الى مصر من بلاد الروم على اوزان ساذجة تضرب على آلات الموسيقى خالية من الكلام فكان المغنون يأخذون اللحن منها ويتأملون في دوره وتوقيعه مراعين

متحركاته وسواكنه وينظمون الكلام على هواه وعلى قدر ما فيه من الاغصان والسلاسل حتى يكمل توشيحاً موزوناً مقفى ويؤخذ مثالا لغيره

ويجيء الموشح على اوزان وصور مختلفة منها ان تأتي ببيت تلتزم فيه التقفية في صدر الشطر الاول وعروضه وصدر الشطر الثاني وضربه ويسمى هذا البيت مذهباً ثم تأتي بثلاثة اشطر اخرى تلتزم فيها التقفية ايضاً لكن على حرف آخر وتسمى هذه الاشطر دورا ثم تعود وتأتي ببيت مقفى كالاول ومتحد معه في حرف التقفية ويسمى قفلة ثم تأتي بدور آخر وقفلة أخرى وهكذا الى سبعة ادوار في الاكثر مثال هذا موشح بن سنا الملك

كلي ياسحب تيجان الربى بالحلى واجعلى سوارها نعطف الجدول (المذهب)
ياسما فبك وفي الارض نجوم وما كلما اغربت نجما اشرقت انجما (دور)
وهي ما تهطل الا بالطلى والدمى
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلى وانقلي للدن طعم الشهد والفوفل (قفلة)
تتقد كالكوكب الدري للمرتصد يعتقد فيها المجومي ما يعتقد (دور)
فائتد ياساقي الراح بها واعتمد
وامل لي حتى تراني عنك في معزل قلل فالراح كالعشق ان يزد يقتل (قفلة)
من ظلم في دولة الحسن اذا ما حكم فالسدم يجول في باطنه والندم (دور)
والقلم يكتب ما سطر فوق القمم
من ولى في دولة الحسن ولم يعدل يعزل الالحاظ الرشا الاكحل (قفلة)
لا اريم عن شرب صهباء وعن عشق ريم فالنعيم عيش جديد ومدام قديم (دور)
لا اهيم الا بهذين فقم يا نديم
وانهل من اكؤس صوِّرن من صندل افضل من نكهة العنبر والمندل (قفلة)

هل يعود عيش قطعناه بوادي زرود والجنود في حضرتي تضرب جنكا وعود (دور)
والحسود في معزل عنا غدا لا يسود

عذلي لا تعذلوني فالهوى لذلي ما الخلي في الحب مثل العاشق المبتلى (قفلة)

اسفرت ليلتنا بالانس مذ اقمرت بشرت بملتقى المحبوب واستبشرت (دور)
شمرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولي يا ليلة الوصل ولا تنجلي واسبلي ستركِ فالمحبوب في منزلي (قفلة)

يا نسيم بلغ سلام المستهام السقيم للكريم طه امام المرسلين العظيم (دور المديح)
عن اليم وجدي به حدث وشوقي القديم

ليس لي من ملجأ سوى الحمى الافضل الجلي وآله ذوى الجناب العلي (قفلة)

وشطر هذا الموشح وزنه (فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن) وقد يأتي فيه فاعلن على فاعلان

وقد يكون المذهب بيتين يتفق عروضاهما في قافية ويتفق ضرباهما في اخرى ويكون الدور خمسة ابيات ثلاثة منها تتفق اعاريضها في قافية واضربها في اخرى والبيتان الاخران يتفقان مع المذهب في قافيتيه فهما بمنزلة القفلة كقول بعض المغاربه

(المذهب)

قابل الصبح الدجى فانهزما ومحا بالسيف افق الغلس
وجلا الغيم ببرق رقما ثوب ديباج به الجو كسى

(دور)

نسخ الصبح احاديث الدجى بيد بيضاء في لوح النهار
ولكهف المغرب الليل التجى حين نادى الفجر في الشرق البدار

وجلا الصبح جبينا ابلجا فاختفى النجم من نوره وغار
وبكى القُمْري لما ابتسما عاطر الزهر بثغر العس
وزها خد الربى فانسجما دمع عين العارض المنبجس

(دور)

للرياض اذهب ترى بلبلها يتغنى بين زهر ينجلى
وخدود الروض قد كللها دمع طل لاشتياق البلهل
وقدود البان قد قام لها يانع الغصن مقام الاسل
والربى فاحت تحاكى خزما وعليها من ثياب السندس
جيبها زرّر بالزهر كما زُرَّ بالفضه ثوب الاطلس

وكقول الاديب امين افندي الخوري طبيب مستشفى دمياط يوصي الخليلة بآداب جليله

(مذهب)

ان اوقات التلاقي قد مضت وأتى وقتُ الزواج المؤنس
فخذي عنى وصايا جمعت يا فتاتي من نفيسٍ أنفسِ

(دور)

ان حسن الحظ القانا الى بيت قوم مثلنا في كل حال
وحليل كلما فيه حلا من جمال ورشادٍ وكمالْ
فيه بدرُ هناكِ اكتملا أسأل الله لكم حسن المآلْ
ان يكن هام بحسن قد حلت وزهت بهجتهُ للأنفسِ
فأريه فيك اخلاقاً سمت حسبما يقضيهِ طيبُ المغرس

(دور)

ستنالين الرضا بالابتدا والصفا الدائم في شهر العسلْ
ويكون الكل فيكم سعدا والهنا اين تقيمان يحلْ
انما ذا ليس يبقى سرمدا فلقد يعقبهُ بعض الملَلْ
ربما نار هوى الزوج خبت فاحسني الظن ولا تبتاسي
فاذا المرأة في ذا عقلت تجعل العمر كشهر العرسِ

(دور)

ودي اخت الزوج واسترضى اباهْ وابذلي كل احترام لامهِ
أتركي المزل ولا تلقى اخاهْ بمزاحٍ لا ولا ابنى عمهِ
اقضي ما يرضى وخلى ما اباهْ وكذا اهتمي لهُ في همهِ
واذا البشرى عليه ظهرت اظهري بشرًا لهُ وأتنسي
وكذا في غمه لو بدرت حدة لا تنزعي للشرسِ

(دور)

خلى عنك المزل مع اهل القرين لا لكي تستظهري بالعظمهْ
بل لان المزل للنفس مهين مثلما الكبر سجايا المجرمهْ
وزنى الاعمال بالعقل الرزين وقبيل النطق ذوقي الكلمهْ
حاذري الجارة مهما برهنت كذبًا عن حبها واحترسى
وبك الاقوام مهما اعجبت فالى تمليقهم لا تأنسى

(دور)

اودعي سرَّك اعماق الفؤاد ولدى الحاجة في وقت الصفا
زوجك المختار من رب العباد اذ سواهُ ليس يرجى للوفا

امدحي اطواره في كل ناد واتقي الشكوى ولو يوماً هفا
انما الشكوى من الزوج عنت تورث الوحشة بعد الانس
فامور مثل هذى لو جرت تنطق الالسن بعد الخرس

(دور)

ان يكنْ عيبٌ به يوماً طرا او أتى امراً على غير المرامْ
غضي من طرفك عنهُ حذرا ان تقوديه لشرٍّ وخصامْ
فبحسن الرأي تقضي الوطرا لا ببذل اللوم او بذء الكلامْ
واحفظي الواجب مهما وصلت معهُ حرية واستحرسي
ولتكِ الآداب فيك انطبعت خيفةً من وصمة الملتبس

(دور)

البسي ما كانَ محبوباً لديهْ وامنعي ما النفس منهُ تشمئز
اجمعي اولادهُ بين يديهْ واشغليهِ فيهمُ عمن يعزّ
لا تلحي بالسؤالات عليهْ واريه فيك نفس المستعزّ
وابعدي الغيرة مهما فتكت بالحشى فهي نذير الابؤسِ
واتقي منها اذا ما هجمت كالظبا من اسدٍ مفترسِ

(دور)

انت بالحسنى وباللين فقطْ قد تفوزين لدي ارجاعه
فاحذري ان تركبي متن الشطط ان دعت حالٌ الى اقناعهِ
وتأنَّيْ واعلمي ان الغلط غالباً للمرء من اسراعه
انما المرأة من قد أدركت قصدها تحت لواء الانس
لا من الغيرة فيها اشتعلت فأضاعت رشدها بالهوس

(دور)

ربي بيتك فيما تقتضيه حال ذاك الزوج في هذا الوجود
والذي عنهُ غنى فاقتصديهُ وامنعي الاثنين تقتيراً وجود
ان من وفر شيئاً يلتقيه فليالي عمرنا بيض وسود
وبأوقات فراغ قد خلت من مهماتك لا بأس ادرسي
فمبادي طبنا قد تممت كلما يصلح ان تلتمسي

وشطر هذا وما قبله (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) وقد جاءت العروض والضرب على فاعلان

وقد يكون المذهب اربعة ابيات تتحد اعاريضها في قافية واضربها في قافية اخرى والدور اربعة اخرى تتحد اعاريض ثلاثة منها في قافية واضربها في اخرى والبيت الرابع كبيت من المذهب

كقوله (المذهب)

اجمعوا بالقرب شملي واسمحوا لي بالتلاق
وصلوا بالود حبلي فالنوى مر المذاق
نال اهل العشق قبلي في الهوى مالا يطاق
من رأى في الناس مثلي من تباريح الفراق

(الدور)

يامليك الحسن رفقاً بمساكين الغرام
ارحموا من هام عشقا وتغشاه السقام
انا لا انفك رقا عنك يا اقصى مرام
فتداركني بفضل واطف نار الاشتياق

وشطر البيت فاعلاتن فاعلاتن الا ان ضربه فاعلان

وقد يكون المذهب بيتين تتحد عروضاهما وضرباهما في قافية والدور بيتين تتحد عروضاهما وضرب البيت الاول في قافية اخرى وضرب البيت الثاني يتحد مع المذهب في القافية وهكذا ومنه قول الشاعر المجيد احمد بك شوقي عند الاحتفال بفتح مدرسة في الاسكندرية من مجزو الرجز

يا ربنا ياذا المنن ... اكثر مدارس الوطن
وأجزل الاجر لمن ... يجري على هذا السنن
وهب لنا فيما تهب ... حسن الثبات في الطلب
وفضل علم وأدب ... كي ترتقى منا الفطن
ان العلوم للورى ... كالنجم يهدي في السرى
والماء يجرى في الثرى ... والروح تسري في البدن
هن مفاتيح المنى ... وهي أسباب الغنى
من اقتناهن اقتنى ... ملكا كبيرا في الزمن
يا من لهذا اسسوا ... ومن له قد غرسوا
من فضلكم نلتمس ... دوام ذا السعي الحسن
ها نحن جئنا نشكر ... والشكر منا اجدر
عذرا اذا تقصر ... فليس للعلم ثمن
أبقاكمو الله لنا ... مؤيدا سلطاننا
موفقا عباسنا ... لما به يحيا الوطن

وثانيها الدوبيت

ويؤخذ من لفظه انه نشأ عند الفرس ومعناه بيتان ويسمونه بالرباعي

وقيل ان اسمه الدوبت بحذف الياء وانه مركب من كلمتين فارسيتين (دو) بمعنى اثنين و(بت) بمعنى حاشية وعندهم القافية حاشية الفن فمعنى (دوبت) فن ذو قافيتين وقافيتاه تكونان محركتين على وزن (قَمَرِي) فيمتاز عن غيره بدخول القمرية في قافيتيه وتجيء ايضا في دَرْجه مع الحسن اه والشائع هو التسمية الاولى

ووزن الشطر منه (فَعْلن متفاعلن فعولن فعلن محركا) وقد يغير متفاعلن الى متفاعيل او متفاعيلن وفعلن المحرك الى فعلن الساكن او الى فعلان

ومنه قول الصلاح الاربلي وهو في سجن الملك فكان سبباً في الافراج عنه

ما امر تجنيك على الصب خفي ... افنيت زماني بالاسى والاسف
ماذا غضب بقدر ذنبي ولقد ... بالغت وما اردت الا تلفي

ومنه احسانك طول الدهر لا انساه ... لا اذكر بعد خالقي الاهو
ان ابعدك الزمان عني حسدا ... مولاي خليفتي عليك الله

ومنه اهوى رشأ كل الاسى لي بعثا ... مذ عاينه تصبرى ما لبثا
نا ديت وقد فكرت في خلقته ... سبحانك ما خلقت هذا عبثا

ومنه اهوى رشأ حوى من الحسن فنون ... عيناه تقول للهوى كن فيكون
غني فتمايل الندامى طربا ... لا شك هو النسيم والقوم غصون

والدوبيت والموشح معربان وقيل ان اللحن في الثاني ليس بعيب

﴿ وثالثها الزجل ﴾

واول شهرته كانت في حواضر المغرب واول من قاله ابن قزمان وهو صبي في المكتب واصل الزجل رفع الصوت ثم خص بالصوت الطرب قال (له زجل كأنه صوت حاد) وله اوزان كثيرة جدا حتى قيل من لا يعرف الف وزن ليس بزجال ويجيء على اوزان الشعر والموشح الا أنه يخرج من بابيهما بكونه بلسان

العامة حتى انه يشترط فيه اللحن

فمنه على وزن البسيط

لو ان مائي ذهب ولي مراكب درر ما كان لشمسي كسوف ولا جفاني قمر

ومنه على وزن مجزو الرمل قول مدغيس الاندلسى

ورذاذٍ دق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي الينا ثم تستحي وتهرب

ويسمى منه ما يشبه قصيدة الشعر بالحمل

﴿ ومنه للغباريے ﴾

جار حبيبي فقلت دا الحجاج جا يجور او يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

دور

اقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت احسب قلبي معوريس غرتوا دي البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرج من غرق مات شهيد

دور

انا يوم في الغبوق با تفرّج على شط الغدير
اذ رأيت عا لشط واحد واقف شب صياد صغير

نظرت مقلتي الى منظر ما لحسنو نظير
قلت يا عين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في نخاخ شباك عشقو وكرا كى يصيد

دور

من نحبو حديد سلب قلبي يوم صدفتو صدف
قلت لين يا قاسى لمن دمعوا سال وحالو وقف
دار وقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع دا الكلام يستفيد
في الحقيقة من لا يكون داود ما يلين لو الحديد

دور

لك عوارض في الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق و باب وصلك كان وكان يا غزال
وأنت دويبت موشح القامه يا عزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوّج القامه وانت بيت القصيد

دور

عن محرّم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفر جل البستان يذهب لاصفرار
وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ما طفى
وأنا هو الغباري في العشاق ما جرى لي كفى
حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبي فقلت دا الحجاج جا يجور او يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

ومنه ما قيل في مدينة سيون بعد ان تخربت بالشام

(مذهب) فين يا سيون العز راح والمجد راح فين والعظم
ليه صبحت ارضك براح ما قصر الا وانهدم
(دور) فين الحصون فين القلاع اللي رؤسها في السحاب
من بعد هذا الارتفاع صبحت مساوية للتراب
(دور) ان كنت اغدو أو أروح منك خيال في فكرتي
ابكي على فقدك وانوح ديما اقول يا حسرتي
(دور) يا نهر لردن يا مليح فين الرياض اللي رويت
ماعادهناك كروان يصيح ولا بقا في الشط بيت
(دور) كانت وكنا والزمان رايق ومتبسم لنا
يا هل ترى نفضل كمان بالغصب منفيين هنا

ويقول الزجل في عصرنا هذا كثير من ادباء مصر منهم الشيخ محمد على أحد طلبة مدرسة دار العلوم ومن زجله ما أنشأه حينما قطع محمود باشا الفلكي ناظر المعارف من طلبة هذه المدرسة الجنيه المرتب لكل منهم في الشهر وهو

ما للزمان يا ناس علينا جميل تارة بنا يعدل وتارات يميل

كم للزمن فينا امور من عجب ... يبدي الفرح ساعات و يبدي الغضب
يحكي دولاب الماء اذا ما انقلب ... يضحك ولكن ادمعه دوم تسيل
ان سرنا برهة يسئنا سنين ... وازداد بنا من كتر جوره الانين
حتى اشتكى في بطن أمه الجنين ... خايف يبان يصبح بحكمه ذليل
بسطوته كم قد أذل الاسود ... اخفى على شداد وعاد مع ثمود
وقبلهم يا ما قضي من جنود ... من كل ماجد شهم بارع نبيل
دارت بنادى الكل كاس الزمان ... شربو على الترتيب وفاتو المكان
وانضمت الهيئة لأخبار كان ... حتى استوى فيها السليم والعليل
من فطنته لم ينس من شخص قط ... الا عليه هامه تلاطم زلط
لكن غلط مره وزاد به الغلط ... قبض غلام مصري مهفهف جميل
قبض الغلام والمغرمين فيه كثير ... يبلغ ثمانية واربعين شيخ كبير
وكل شيخ دمعه بخده غدير ... وان طال عليه الحال فعمره قليل
من كل شيخ عالم ابوه الادب ... لا يثني عطفه اذا ما الطرب
يثني معاطف غانيات العرب ... أو عِطف زاهي الخد طرفه كحيل
من كل شيخ نحوى فصيح اللسان ... صرفي فقيه مقري بديع البيان
حلو المعاني لو بديع الزمان ... ابقاه زمانه كان يلاقي الخليل
والكل في علم الحديث له مجال ... والهندسة ما عندك الا رجال
وكل جغرافي كثير المقال ... وفي الحساب والخط مالوش مثيل
وكل دول يبكوا لفقد الولد ... و يصبروا روحهم ولا فيش جلد
وجت تعزيهم ولاد البلد ... مثى فلان وسي علان فصبر جميل
ازّى ما يبكيش احدهم عليه ... و يكبس المقله على مقلتيه

دا كان ولد شاطر واسمه جنيه ... من اكرمين غينا واصلو اصيل
كان العشا محسوب عليه والفطور ... والعمه والصرمه وملو المجور
حتى كرا الاوده ونابت ونوز ... واجرة المركب نهار الرحيل
من يوم وفاته كم عيون قد بكت ... حتى الدموع لون العقيق قد حكت
والجبه من كوع المشايخ شكت ... دابت وقفطانهم يخيل في النخيل
كان النواح والشلشله والعديد ... اربع لغات عربى بلاده بعيد
شرقي و بحراوي واقصي الصعيد ... و ينوّحوا ليثي وصوتهم طويل
يا هل ترى هذا المصاب للعموم ... والا مصيبة جت لدار العلوم
حتى غدت أهل الملامة تلوم ... والمبغضين فرحواو أشفوا الغليل
اروح لمين ابكى واشكى الزمان ... وان رحت للزوجه تقول كان ومان
عمه وتفليس شيء يزرزر كمان ... طلقني يا بن الناس وشف لك سبيل
وان جت حماتي بيتنا يوم تزور ... فايره شبيه البحر ما لوش جسور
تمط بوزها متر غير الكسور ... وتقل انا ليه بخت بنتي يميل
يا هل البلاغة والفنون والفكر ... قصر الكلام العلم فقره دكر
شوفوا لكم صنعه و يكفى بطر ... واللى يكذبني يقيم الدليل
دي مسأله تكتب بماء الفسيخ ... عني خذوا نانا الزعيق والصريخ
واتأملوا واقروا وشوفوا التريخ ... مات الجني واش راح يفيد العويل

سنة ١٣٠٢ ... ١٤٧ ١٠٤ ٢٠٩ ٣٠٧ ٩٤ ٤٤١

ومنهم الاديب الشيخ احمد القوصى ومن زجله فى حلاق

اصفح وصلح يا ريس ... يا مزين الدنيا والناس

(حلاق) (١) مثلك فين اليوم ولك ايادي فوق الراس

(دور)

بحق سيدنا (موسى) والا مقام (الشعراني)
ماحد ماشي في (حدك) ولا رأيت مثلك ثاني

دور

دنتا جدع طيب طاهر ومحبتك (فضله) عندي
والك منافع في (الجلده (٢) وليه متحفظشي ودي

(دور)

ازي بتجرح في حوامي وانا بحاسب على شانك
وليه تقول على الصحبه (بدم) وانت (مواسى) اقرانك

(دور)

ولك محاسن (سنتها) وصرت قائم بالواجب
وفي الغسيل كله يطلع والعين ما تعلى على الحاجب

(دور)

دنا انكسفت كسوف صنعة لما رأيت عنى بتقطع
(واشنابك) انت من الدنيا وكل (قصة) ليه تسمع

(دور)

ادعك وشوف (مرآة) فكرك وتجعل الواحد باثنين
ان كنت تزعل من غير ذنب تودي (وشك) مني فين

(دور)

وان كان كلامي فيه غلطه ارجوك يا سيدي (تصلحها)

---

١ رايحين نلاقي ٢ في الجليل ده

وخد لوحده (١) دى عندك والمسلمين ليه تقطعها

دور

وان كان كلام واقف فى (الحلق) (بحلق) ولا تسأل عنه
وان (طشت) مره في (شروطك) وفضلت ارغي سامحنى

ومنهم الاديب الشهير الشيخ محمد النجار ومن احماله

ياللي انت في حسنك عديم المثيل وانا بحبى فيك ضرب بي المثل
وفي غرامي شرح حالي طويل لو كنت احكي لك على ماحصل

دور

يا اللي الغزاله وهي شمس الضحى من نور ضياخدك بقت في خجل
ياللي الغزال من لفتتك في التفات ومن سواد عينك اعاروا الكحل
ياللي الغزل في وصف حسنك غلا سعره وشعره فيه مذاق العسل
اصبحت من وجدي عليك ياجميل اهوى الغزاله والغزال والغزل

دور

يابو قوام مياس يحاكي الغصون وجيد يحاكي جيد غزال النقا
حبك ملا قلبي ولى قد ملك وطمعت في قربك وحسن اللقا
حتى فنى صبري وعمري انقضي لك يا حياة النفس طول البقا
وكم رثى لي في غرامي مليم وكم عذرنى في الهوى من عذل

دور

هندى لحظك يا غزال كم غزا في معترك اهل الهوى والغرام
وكم أسَرْ عشاق وقطّع مهج وكم هزم من جيش قوامك قوام
وبالعيون السود أكم صاداسود وكم كسرهم كسرْ جفنك ونام

١ لى واحدة

وكم سلب وارحمتاه من قتيل دمه يطالب في الهوى من قتل

دور

فقت الاهلة يا ضياء العيون ودر ثغرك بالعقيق حين برق
اجرى بريقه من عيوني مطر ومن شرار رعده فؤادي احترق
وصرت غرقان في دموع من ولوع وما انطفت ناري بماء الغرق
وصرت اكذب من يقول مستحيل الجمع بين ضدين وامرى جلل

دور

سحر الجفون طلسم على ناظرى وما انفتح للوصل باب مطلبه
في الرمل أستأنس بوحش الفلا والدمع زادى آكله واشربه
ولذلى ذلى وعذب العذاب ومرّ صبري كم حلا مشربه
والجسم من جفنو السقيم صار عليل ورق من خصره النحيل وانتحل

دور

لما حللت القلب حل الفرج والبرج صار طالعه ببدره سعيد
وخفت من نارى عليه قلت له يا قلب كن بردا عليه لاتقيد
يا هاجرى أقلل وخلى القلا نا نا بقى دا الجسم ماهوش حديد
وقل لقلبك مثل قدك يميل يا غصن بان والغصن طبعه الميل

دور

شبهت لفظك يافصيح اللسان بالدر ينظم باتساق في سلوك
ونور جبينك قد اقام حجتي بان امك شمس والبدر ابوك
وشعرك الليل فوق محيا قمر سترضياؤه وخاف عليك يحسدوك
يا شعر لك طوله علىّ وجميل لاجلك اقول ياليل جميلك وصل

دور

يا اللي لاجلك فت نظم القريض ... وكرهت حرفه سوق رواجها كسد
راحت رجالهـا والعرب عندهم ... كله صبون والوقت لاخر فسد
وصغت من فن (الغباري) نضار ... طير غباره وقلت ماهوش حسد
ليه يمدحوا النحام وخمه عويل ... ما يوم شراره بالمعاني اشتعل

دور

حسك خلي انبال تخلي النظر ... بحر يوم قلبك لعشق الملاح
البحر دا واسع وبره بعيد ... ياما غرق عاشق وقع فيه وراح
وارجع واقول العشق امتي يكون ... خالص لوجهه وفين رجال الصلاح
ان كان لوجهه فين رجال من قبيل ... من حب ذا عفة وكتم وانقتل

دور

مدّاح محاسنك يابديع الصفات ... فيك احسن التشبيه ونظمه انتظم
عيّب (ابو الطيب) وقالوا عليه ... سيد من تنبأ بالمثل والحكم
شحتر كلام (البحتري) و بحتره ... وفاق (ابو تمام) بقوله الاتم
مايوم رأيت له في القوافي دخيل ... ولا زحف منه الزحاف والعلل

دور

يا اللي لاجلك صرت منشي بليغ ... في كل موضوع صرت احكي واعيد
وفقت (عنتر) في الغزل والحماس ... وفي الكتابة فقت (عبد الحميد)
ولي كلام في السهل صار ممتنع ... تلقى (لبيد) ان كان يعارضه بليد
عليك قصرت الشعر الا قليل ... والشعر في غير عارفيه مبتذل

دور

ياللى باسبابك جفاني الكرى ... وصح في وجدي اختلاف الظنون

واحد يقول عاشق وآخر يقول | مسحور وغيره يقول اصابه جنون
وكل قائل قد اصاب الغرض | وصح قوله والصبابه فنون
اللحظ سحري والجفا لى مزيل | عقلى وداء العشق داعى الخبل

(دور الاستغفار)

استغفرك يارب وارجع اليك | تايب وظنى فيك قبول من يتوب
دا انت اسمك التواب على من عصى | ونا أنا العاصي كثير الذنوب
يارب عاملنا بفضلك وان | عاملتنا بالعدل تحرق قلوب
يارب صنعك في عبيدك جميل | لاجاك رفعنا جميل الجمل

دور المديح

ارسلت خير الناس لخير الامم | رحمه ونور هادى شفيع العصاه
لمعجزاته الباهرة صدقوه | لكن بقى القرآن دليل لاح ضياه
يارب صلى وسلم عليه | وجملة الاصحاب وآله معاه
ما صدقت دعوى وصح الدليل | وما تلى في وصف طه زجل
يا اللي انت في حسنك عديم المثيل | وانا بحبى فيك ضرب بي المثل

﴿ ورابعها كان وكان ﴾

وهو نوع من الزجل الا انه جعل فناً مستقلاً بسبب ان دوره يأتي على بيتين لكل شطر منهما قافية والشطران الاولان من البيتين يتحدان في وزن والاخيران منهما يختلفان بين وزنين واذا جاء مركباً من ادوار اتحدت ضروب الابيات الزوجية في قافية واعاريض الفرد به قد تتحد في قافية اخرى كقوله ومنه

يا قاسى القلب مالك | تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظي | قد لانت الاحجار

افنيت مالك وحالك في كل ما لا ينفعك
ليتك على ذي الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكنّ قلبك غايب وذهنك مشتغل
فكيفَ يا متخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه لأمرك وافهم مقالي واستمع
ففي المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه
وكيف تذهب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولي ونصحي لمن تدبر واستمع

فترى ان الشطور الاوائل على وزن مستفعلن فاعلاتن وقد يخبن فاعلاتن او يشعث والشطور الثواني دائرة بين وزن مستفعلن مستفعلن ووزن مستفعلن فاعلان

وخامسها القومة

وهي نوع من الزجل ايضاً الا انها تمتاز بمجيء دورها على بيتين شطورهما تتحد في قافية ما عدا الشطر الثالث ووزن كل شطر منها مستفعلن فاعلان وقيل اول من اخترعه ابن نقطه برسم الخليفة الناصر ومن المستظرف انه لما مات ابن نقطة واراد ابنه ان يعرّف الخليفة بموته ليأخذ مفروضه اخذ اتباع والده من المسحرين في شهر رمضان ووقف تحت القصر اول ليلة من هذا الشهر وغنى القومه بصوت رقيق وقال

يا سيد السادات لك بالكرم عادات
انا بنيّ بن نقطه تعيش ابويا مات

فطرب منه الخليفة وخلع عليه وفرض له ضعف ما كان لابيه اه

ومن قراءة هذه العبارة يخطر بالذهن ان هذا الفن سمي بالقومة وفي المرة من القيام لان المسحرين كانت تنشده في رمضان لقيام الناس للسحور و يحرفونه بضم القاف و بعض يكتبه بالالف بدل تاء الوحدة فليحرر

﴿ وسادسها المواليا ﴾

و يعرف الآن بالمواويل جمع موال فيقال انه ظهر في بغداد بعد الفتك بالبرامكة والنهي عن رثائهم بالشعر وان بعض جواريهم صرن يندبنهم بكلام ذي اربع قطع متفقة في الوزن والتقفية يكثرن فيه من قولهن يا مواليا فسمي بذلك ومن هذا الفن ما يأتي بلسان اهل الادب ومنه ما يأتي بلسان العامة

ومنه

يامن على نار خدوده خال كحبة عود ومهجتي فوق قوامه طير باعلى عود
قل لي بسبب دى الغضب مني والاعود واصل ونادم فوصلك لي ولفظك عود

ومنه

الا هيف اللي تمناه الفؤاد ودعاه في موقف الذل خلى العاشقين ودعاه
كم قلت عيني كفا عن هواه ودعاه فان له قلب عمره ما رحم عاشق
ولا يخاف من قيامه في الدجى ودعاه

ومنه

يا عبد ابكي على فعل المعاصي ونوح ياعبدا عمل عمل طيب وعش مشروح
دنيا غرورة تجينا في صفة مركب ترمي معاشها على شط البحار وتروح

ومنه

ان كنت عاقل وربك بالتقى بوك ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك ناديه يا ايها الانسان ما غرك

وبالتأمل في وزن هذا الفن نراه من بحر البسيط مع تغيير في العروض والقافية

وفي صعيد مصر نوع شائع الآن يعرف بالمواويل الحمر (١) ونوع آخر يعرف بالواو

ومن الاول قول الأديب مصطفى بك نجيب

امتى بقى بازمان عدلك يمليني (٢) واكتب كتاب الهنا والشوق يمليني (٣)
كان لى رفاقه وصبحوا اليوم مليني (٤) صبحت بيني وبين دار الحبايب سد (٥)
اقضي الليالي على نار المحبة سد (٦) ابكى وانوح وما حدش يقول لي سد
الحق على قلب قال للشوق مليني (٧)

ومنه

انفاق مالك على المحتاج انجالك (٨) من التعرض لكيد الدهر انجالك (٩)
ما تسمع اللي بلومه كل انجالك (١٠) انت من الناس واحد من الوف ملايين (١١)
اكثر عددهم فوارغ والقليل ملايين (١٢) والدهر قلبه علينا من حديد ملايين (١٣)
وانت ابو الكل والمساكين انجالك (١٤)

(ومن الثاني)

الدهر لو ارياح وشرود وحتى الليالي لحايل
بدل الغزالات بقرود وحمير بعد الكحايل

---

١ يريدون بالحمر الصعبة الفهم في قوافيها المركبة تركيباً مزجياً غريباً لا ينطبق على القواعد النحوية في الكثير منه ٢ يبلغني املي ٣ من الاملاء ٤ من الملل ٥ حاجز ٦ دائماً ٧ من الملء ٨ انجى لك ٩ ان جاء لك ١٠ آن يجيء لك ١١ جمع مليون ١٢ جمع ملآن او مملوء ١٣ ما يلين ١٤ اولادك

الفصل الرابع

(في دواوين الشعر)

اشعار العرب الجاهليين ما دونت في عصر الجاهية بسبب ان الامة كانت امية وغاية ما سمع انه كان عند آل المنذر ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح به هو واهل بيته فصار ذلك الى بني مروان ولكن لم نر هذا الديوان ولا نعلم اين يوجد الآن ـ هذا وانما كان بعض الاشعار يحفظ بتواتر روايته وفي صدر الاسلام اهتم الادباء برواية الشعر الجاهلي وجمعه وتدوينه وتفسيره مثل الاصمعي وابي زيد وابي عبيدة وحماد الراوية وخلف الاحمر وقد حذا حذوهم من خلفهم ونظم هؤلاء وأولئك الشعر واكثروا منه واخذ الشعراء يدونون ما نظموه بانفسهم غالباً

فما تدون من اشعارهم واشتهر

كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين النابغة الذبياني وعنترة العبسي وطرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى وعلقمة الفحل وامرئ القيس وقد طبع هذا العقد في مدينة غريفز ولد سنة ١٨٦٩ للميلاد . وديوان امرىء القيس الكندي المتوفي سنة ٥٣٩ للميلاد وبه ثلاثون قصيدة طبع في مصر سنة ١٢٨٢ للهجرة مع شرحه للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب واعيد طبعه سنة ١٣٠٧ . وديوان النابغة الذبياني وتوجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بخط محمود باشا سامي المصري الشهير بالبارودي . وديوان المتلمس المتوفي سنة ٥٥٠ للميلاد . وديوان علقمة الفحل المتوفى سنة ٥٦١ للميلاد وقد طبع بمدينة ليبسيك سنة ١٨٦٧ . وديوان زهير بن ابي سلمى المتوفى قبل الاسلام بنحو سنة وقد

طبع مع شرح له منسوب للاعلم الشنتمري بمدينة ليدن سنة ١٣٠٦ للهجرة من ضمن مجموعة مسماة بالطرف العربية ومنسوبة الى الشيخ عمر السويدي ولا ادري من هو المسمى بهذا الاسم واظنه افرنجياً مستشرقاً تسمى به · ومجموع مشتمل على خمسة دواوين لاربعة جاهلية وهم النابغة الذبياني وعروة بن الورد وحاتم طي وعلقمة الفحل والخامس اسلامي وهو الفرزدق ومع الديوان الاول شرحه للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي المتوفي سنة ١٩٤ ومع الثاني والثالث شرحهما لابن السكيت المتوفي سنة ٢٤٤ وهذا المجموع طبع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ ومجموعة المعلقات السبع وشرحها لعبد الله الزوزني وعلى الورقة الاولى منه انه توفى سنة ٣٧٥ والزوزني نسبة الى الزوزن وهي بلدة كبيرة بين هراة ونيسابور وقد طبع بالاسكندرية سنة ١٢٨٨ · وشرحها لاحمد بن النحاس الغريق في النيل سنة ٣٣٨ · وشرحها للشيخ عثمان التنوخي جمع فيه بين الشرحين السابقين وجمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠ تكلم فيها على الشعر والشعراء وجمع لهم تسعة واربعين قصيدة مقسمة الى المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات وشرح هذه القصائد ببعض الشرح وقد طبع بالمطبعة الاميرية سنة ١٣٠٨ · وديوان قيس بن الخطيم ادرك الاسلام ومات قبل الهجرة · وديوان الاعشى المتوفي سنة ٧ للهجرة · وديوان الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ للهجرة وقد طبع بمصر سنة ١٨٨٨ و ببيروت سنة ١٨٨٩ للميلاد واضيفت اليه مراثٍ اخرى · وديوان حسان بن ثابت المتوفي سنة ٤٠ للهجرة وكان شاعر النبي عليه الصلاة والسلام · وديوان الحطيئة المتوفى في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب · وديوان لبيد بن ربيعة المتوفى في اول خلافة معاوية بعد ان عاش ١٤٠ سنة وهو مطبوع بمدينة وبانه سنة ١٨٨٠ للميلاد

وديوان ابي محجن الثقفي الصحابي وشرحه لابي هلال الحسن بن سهل وقد طبع في مدينة ليدن سنة ١٣٠٣ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية السابقة · وديوان مختارات شعراء العرب و به خمسون قصيدة وهو مطبوع بمطبعة ابى زيد بمصر سنة ١٣٠٦ · وديوان سيدنا علي بن أبي طالب المتوفى بالكوفة سنة ٤٠ للهجرة وهو مرتب على حروف المعجم طبع ببولاق سنة ١٢٥١ · وديوان عمر بن ابى ربيعة المتوفي سنة ٩٣ وجميع شعره في النسيب ولم يمتدح احدا ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا فقال انما امدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١٣١١ · وديوان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد ان عاش نحو مائة سنة وقد تم طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ للميلاد وديوان جرير المتوفي سنة ١١٠ باليمامة وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ · وديوان مجنون ليلى وهو شاعر اسلامي وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق · وديوان ذى الرُمَّة المتوفى سنة ١١٧ للهجرة · وديوان العجاج وديوان ابنه رؤبة المتوفى سنة ١٤٥ وليس فيهما الا اراجيز · والمفضليات وهي اشعار مختارة جمعها للمهدي المفضل الضبي الاول وقد طبعت بمدينة ليبسيك سنة ١٨٨٥ للميلاد · وديوان الحسن ابن هانئ المعروف بابي نواس المتوفى سنة ١٩٥ ببغداد وقد طبع بمصر سنة ١٢٧٧ وديوان مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى من شعراء الدولة العباسية توفى سنة ٢٠٨ وطبع الديوان سنة ١٨٧٥ للميلاد بمدينة ليدن · وديوان اسماعيل ابي العتاهية المتوفى سنة ٢١١ وقد طبع ببيروت سنة ١٨٨٦ · وديوان ابي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣١ وفيه سبعة فنون من الشعر المديح والرثاء والعتاب والوصف والغزل والفخر والهجاء وقصائد كل فن مرتبة على حروف المعجم وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٩٢ للهجرة و ببيروت

سنة ١٨٨٩ . وديوان الحماسة وهو ديوان جمع فيه ابو تمام ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على عشرة ابواب الحماسة والمراثي والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لابي زكريا يحيى الشهير بالخطيب التبريزي سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق في سفرين وديوان علي بن الرومي المتوفى سنة ٢٨٣ ببغداد وكان شعره غير مرتب فرتبه ابو بكر الصولي على الحروف . وديوان الوليد البحتري الطائي المتوفى سنة ٢٨٤ بمنبج . وديوان عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ وقد طبع بمصر سنة ١٣٠٨ . وديوان ابي الطيب احمد المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ وهو ديوان مشهور متداول وقد طبع بمصر منفردا سنة ١٢٨٣ وسنة ١٣٠٢ وطبع مع شرحه للعكبري سنة ١٢٨٤ بمطبعة بولاق في سفرين . وديوان ابي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ . وديوان محمد بن هانىء الاندلسي المتوفى سنة ٣٦٢ وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ للهجرة وفي بيروت سنة ١٨٨٦ للميلاد . وديوان محمد ابي الحسن الشريف الرضي المتوفى ببغداد سنة ٤٠٦ وقد طبع سنة ١٣١٣ وديوان احمد بن زيدون الوزير الاندلسي المتوفى بمدينة اشبيلية سنة ٤٦٣ وديوان ابي العلاء المعرّي المتوفي سنة ٤٩٩ وهذا الديوان معروف بسقط الزند وقد طبعته جمعية المعارف مع شرحه المسمى التنوير سنة ١٢٨٦ . وديوان ابراهيم بن خفاجه الاندلسي المتوفى سنة ٥٣٣ وقيل سنة ٥٣٨ وقد طبعته جمعية المعارف بمصر سنة ١٢٨٦ . ومختارات اشعار العرب اختارها هبة الله بن الشجري المتوفى سنة ٥٤٢ ببغداد . وديوان عمر بن الفارض المتوفى سنة ٥٧٩ وقد طبع بمصر منفردا سنة ١٢٩٩ وطبع مع شرحه لرشيد بن غالب سنة ١٢٨٩ وهذا الشرح مجموع شرحي حسن البوريني وعبد الغني النابلسي . وديوان كمال الدين

المعروف بابن النبيه المصري المتوفى بنصيبين سنة ٦١٩ وقدطبع بمصر سنة ١٢٨٠ وسنة ١٣١٣ . وديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي المتوفى سنة ٦٤٩ جمعه الشيخ حسن العطار المصري المتوفى سنة ١٢٥٠ وطبع سنة ١٢٧٩ بمصر . وديوان البها زهير المتوفى بمصر سنة ٦٥٦ وقد طبع بمصر مرارا . وديوان محمد بن سليمان التلمساني الملقب بالشاب الظريف المتوفى بدمشق سنة ٦٨٨ وقد طبع بمصر سنة ١٢٧٤ وسنة ١٣٠٨ . وديوان عبد العزيز الطائي الملقب بصفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ وقد طبع بدمشق سنة ١٢٩٧ . وديوان جمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ وقد طبع بمصر سنة ١٢٨٨ . وديوان شهاب الدين الموسوى المعروف بابن معتوق المتوفى سنة ١٠٨٧ وقدطبع بمصر سنة ١٢٧٨ للهجرة وفي بيروت سنة ١٨٨٥ للميلاد . وديوان عبدالله الشبراوي المتوفى سنة ١١٧١ وهو مرتب على حروف المعجم وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ و بالمطبعة المحمودية سنة ١٣١٤ وديوان السيد عبد الرحمن العيدروس المتوفى بمصر سنة ١١٩٣ . وديوان السيد على الدرويش المصري المتوفى سنة ١٢٧٠ وهذا الديوان مسمى بالاشعار بحميد الاشعاز وقد طبع بمصر سنة ١٢٨٤ . وديوان شهاب الدين المصري المتوفى سنة ١٢٧٤ وقد طبع بمصر سنة ١٢٧٧ وله ايضاً كتاب سفينة الملك ونفيسة الفلك وقد قال في خطبتها انه رتبها على ثلاثة اناييز صغير ووسيط وكبير الاول في معرفة الموسيقى والثاني فيما نظمه فيها والثالث في التلاحين وما فيها من الموشحات والابيات وقد طبعت بمصر سنة ١٢٨١ . وديوان محمود افندي صفوت الساعاتي المتوفى في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى وقد طبع سنة ١٢٧٦ وديوان السيد على ابى النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ وقد طبع ببولاق سنة ١٣٠٠ وديوان السيدة عائشة التيمورية المعاصرة وهومطبوع سنة ١٣٠٣ للهجرة . وكتاب

شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعي وقد رأيت منه اربعة اقسام في شعراء الجاهية مطبوعة في بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد. وقد جمع في عصرنا هذا الفاضل السيد توفيق البكري كتاباً جليلا في المختار من اراجيز العرب مفسرا للغريب وشارحاً للمعاني ومبيناً للمقاصد وقد طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة وقد صنف ايضاً كتاباً نافعاً سماه فحول البلاغة قال في اوله « هذا سفر وضعناه في المختار من شعر ثمانية من فحول الشعراء وأئمة البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع الغوانى وابو نواس الحسن بن هانئ وابو تمام حبيب بن أوس الطائي وابو عبادة البحتري وابن الرومي على بن العباس وابن المعتز وابو الطب احمد المتنبي وابو العلاء المعرى » وقد طبعه بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٣ للهجرة

الباب الرابع

(في تاريخ العروض والقافية)

(١) العروض علم اوزان الشعر والذي اخترعه الخليل بن احمد المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة وجاءه ذلك (كما في تاريخ ابن خلكان) من معرفة الايقاع والنغم قالوا لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع الا أن صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة وقيل انه جاء في فكره حين ما مر بشوارع البصرة وسمع طرقات مطارق الحدادين باصوات مختلفة وقال بعضٌ ان شعر اليونان له اوزان مخصوصة والتفاعيل عندهم تسمى الايدي والارجل ولا يبعد ان يكون وصل الى الخليل شيء من ذلك فاعانه على ابراز العروض وروى الاخفش عن الحسن بن يزيد قال سألت

الخليل هل للعروض اصل قال نعم مررت بالمدينة حاجا فرأيت شيخا يعلم غلامه يقول له قل

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

فقلت له ما هذا الذي تقوله للصبي فقال هو علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه التنعيم لقولهم فيه نعم قال الخليل فرجعت بعد الحج فأحكمتها فجرى الخليل في تجزئته على ما سمع من الشيخ فان وزن قوله (نعم لا) فعولن و (نعم لا لا) مفاعيلن قيل وسمى الخليل هذه الصناعة بالعروض لانه لما شبه البيت من الشعر بالبيت من الشعر شبه ما يقيم وزن الاول بعروض الثاني وهي الخشبة المعترضة فى سقفه وشبه الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل وقيل انه لما امتحن الشعر ووجد الاختلاف والتنقل في اواخر ابياته على الجملة اكثر منه في اواسطها سمى وسط البيت الذى هو منتهى قسمه الاول عروضا ايضا تشبيها بالعروض وهو العمود المعترض في وسط الخباء لثباته وقلة تبدله

ولما تتبع الخليل اشعار العرب رأى ان اوزانها تنحصر في خمسة عشر وزنا سماها بحورا وسمى البحور باسماء مختلفة الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب واخذ العروض عن الخليل سيبويه واخذه عنه الاخفش وزاد بحرا سماه الخبب ولم يزل يتواتر اخذ العلماء هذا الفن الى وقتنا هذا

وجعل الجوهري بحور الشعر اثنى عشر لا غير منها المتدارك وجعل فيها سبعة مفردات وهي الوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والمتقارب والمتدارك وخمسة مركبات الطويل والمديد والبسيط والخفيف والمضارع فالطويل مركب من المتقارب والهزج لان المتقارب مركب من (فعولن) والهزج مركب من

(مفاعيلن) ومنها الطويل ـ والمديد مركب من الرمل والمتدارك لان الرمل من (فاعلاتن) والمتدارك من (فاعلن) والمديد منهما ـ والبسيط مركب من الرجز والمتدارك ـ والخفيف مركب من الرمل والرجز ـ والمضارع مركب من الهزج والرمل ـ ولم يتركب من الكامل والوافر شطر ـ واسقط السريع والمنسرح والمقتضب والمجتث قال وانما كثر الخليل الالقاب للتقريب والشرح والا فالسريع من البسيط لان بناءهما من مستفعلن وفاعلن ـ والمنسرح والمقتضب من الرجز لانهما من مستفعلن وهذا بناء على قاعدته ان مفعولات مقلوب مستفعلن ـ والمجتث من الخفيف لانهما من مستفعلن وفاعلاتن ولا اختلاف بين هذه الاجزاء الا في تقديم وتأخير او تكرير بعضها اه

ولمعرفة اجزاء البحور رسموا خمس دوائر وضعوا فوقها علامات للمتحركات والسواكن من شطر كل بحر فالمتحرك علامته (٥) والساكن علامته (١) وان شئت قلت علامة الوتد المجموع (١٥٥) والمفروق (٥١٥) والسبب الخفيف (١٥) والثقيل (٥٥) ووضعوا اسم البحر داخل الدائرة تحت علامة مبدأ الشطر والسير في هذه الدوائر يرشد اليه الموقف

ولا يتحتم ان تجيء اوزان البحور على الاجزاء المستخرجة من الدوائر تماما بل يدخلها الزحاف والعلل والجَزّ والشطر وغير ذلك مما هو مبين في موضعه كما يظهر من تقطيع ابيات الشعر المسموعة عن العرب

(١) وتسمى الدائرة الاولى بدائرة المختلف لتركبها من جزأين مختلفين خماسي (فعولن او فاعلن) وسباعي (مفاعيلن او فاعلاتن) ويستخرج منها الطويل والمديد والبسيط

فاجزاء الطويل فعولن مفاعيلن اربع مرات وهو كثير الدوران في شعر

العرب ومنه قصيدة امرىء القيس التي اولها

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ ازمان
اتت حجج بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقصيدته التي اولها

خليلي مرّا بي على ام جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقصيدته التي اولها

اعني على برق اراه وميض يضيء حبيًّا في شماريخ بيض
ويهدأ تارات سناه وتارة ينوء كتعتاب الكثير المهيض

وقبض فعولن في الطويل حسن ويزداد حسنًا ان جاء بعده الضرب المحذوف ولا يكاد يسمع الا مقبوضًا كقوله

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب

واجزاء المديد فاعلاتن فاعلن اربع مرات في الدائرة لكنه لم يسمع الا مسدسا وهو قليل في شعرهم ومنه قصيدة لتأبط شرًا اولها

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل
خلف العبء عليّ وولى انا بالعبء له مستقل

وقصيدة لامرىء القيس منها

وخليل قد افارقه ثم لا ابكي على أثره
وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض من كدره
وابن عم قد جفعت به مثل ضوء الصبح في غرره

وقول علي بن زيد

يا لبيني اوقدي النارا فالذي تهوين قد حارا

رب ناربت ارمقها تقضم الهندي والغارا
عندها ظبيٌ يؤججها عاقدٌ في الجيد تقصارا
شادن في عينه حور وتخال الوجه دينارا

ومن مشطور المديد قصيدة لامرأة يقال انها ام تأبط شرًا اوأم السليك ابن السلكة وهي

طاف يبغي نجوةً من هلاك فهلك
ليت شعري ضلةً اي شيء قتلك
أمريض لم تعدْ أم عدوٌّ ختلكْ
أم تولى بك ما غال في الدهر السُّلكْ
والمنايا رَصَدٌ للفتى حيث سلكْ
أي شيء حسنٍ لفتى لم يكُ لكْ
كل شيء قاتلٌ حين تلقى اجلكْ
طال ماقد نلتَ في غير كدٍ املكْ
ان امرًا فادِحًا عن جوابي شغلكْ
ساعزِّي النفسَ اذ لم تجب من سالكْ
ليت قلبي ساعة صَبْرُهُ عنك ملكْ
ليت نفسي قُدِّمتْ للمنايا بدلكْ

قال ابو العلا هذا الوزن لم يذكره الخليل ولا سعيد بن مسعدة وذكره الزجاج وجعله سابعًا للرمل وقد يحتمل ان يكون مشطورا للمديد اه والعروض الثانية باضربها الثلاثة قليلة الوجود وقد استقريتُ كثيرا من شعر العرب فلم ارمنها شيأ وربما كانت شواهدها المذكورة في كتب العروض موضوعة فانهم

لم يذكروا قائليها ورأيت في شارح الخزرجية «وحكى للثانية ضرب متمم كقوله

صاحبي استنطقا ساعةً دِمنةً فيها لذى الحب داء

وهذه العروض قل ان توجد لمحدث فضلا عن العرب» وفيه ايضاً ان ضربيها الثاني والثالث اللذين وضعهما الخليل لم يسمع نظيرهما للعرب وقال الزجاج لم يجىء على اولهما قصيدة الا للطرماح اه وكان عليه في هذا المقام ان يذكر اول القصيدة

واجزاء البسيط مستفلن فاعلن اربع مرات وهو شائع في الشعر ومنه قول سالم بن وابصه

عليك بالقصد فيما انت فاعله ان التخلق يأتي دونه الخُلُقُ

وموقفٍ مثلِ حدالسيف قمتُ به احمى الذِمارَ وترميني به الحدق

فما زَلِقْتُ ولا ابديتُ فاحشة اذا الرجال على أمثالها زَلِقُوا

ومنه قول الفضل بن العباس

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ماكان مدفونا

لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

مهلا بنى عمنا من نحتِ أثلتنا سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا

الله يعلم انا لا نحبكمُ ولا نلومكمُ ان لا تحبونا

كل له نية في بغض صاحبه بنعمة الله نقليكم ونقلونا

وجزء البسيط قليل الاستعمال قبيح الوزن لم يجىء في شعر العرب الا نادرا لكن يحسن اذا حولت العروض والضرب بعد الجزء الى فعولن و يسمى حينئذ مخلعاً ومنه قول الاعشى

الم ترَوْا إرَماً وعادا اودى بها الليل والنهار

وقد جاء مكان فعولن مفعولن في قصيدة لامرئ القيس اولها

عيناك دمعها سجال كأنّ شأنيهما اوشال
أو جدول في ظلال نخلٍ للماء من تحته مجال
من ذكر ليلى واين ليلى وخير ما رمت ما ينال

وقال بعضٌ أن المخلع من المنسرح واستدل باطباق المحدثين على مفعولات مكان فاعلن كقول ابن المعتز

العيش مرٌّ والموت مرّ فاى هذين لا اذُمّ
اثقل رحلي من كل دار خوف المنايا والارض سم

وعورض باطباق العرب على فاعلن

ويقرب من مخلع البسيط قول سلمى بن ربيعة

إنّ شواء ونشوة وخبَبَ البازل الأمونِ
يُحشمها المرء في الهوى مسافةَ الغائط البطينِ
والبيضَ يرفلن كالدمى في الرَيْط والمُذْهب المصون
والكثر والخفض آمناً وشرعَ المزْهر الحنون
من لذة العيش والفتى للدهر والدهر ذو فنون
والعسر كاليسر والغنى كالعُدْم والحيّ للمنون
اهلكن طسما وبعده غَذِيّ بهمٍ وذا جدُون
واهلَ جاشٍ ومأرِبٍ وحيّ لقمان والنُقون

قال التبريزي هذه الابيات خارجة عما وضعه الخليل وعما وضعه سعيد ابن مسعدة واقرب ما يقال فيها انها تجيء على السادس من البسيط اه وعد من مجزوء البسيط

عجبت ما اقرب الأجلْ منا وما ابعد الاملْ

وقيل ان البسيط يجيء مشطورا وبيته

دار عفاها القدمْ بين البلى والعدمْ

واستخرجوا من هذه الدائرة بحرين مهملين احدهما وزنه مفاعيلن فعولن اربع مرات عكس الطويل وسموه المستطيل ومنه قول بعض المولدين

ايسلو عنك قلب بنار الحب يصلى وقد سددت نحوي من الالحاظ نصلا

وثانيهما فاعلن فاعلاتن اربع مرات مقلوب المديد وسموه الممتد ومنه قول بعض المولدين

قد شجاني حبيب واعتراني ادكار ليته اذ شجاني ما شجته الديار

(٢) وتسمى الدائرة الثانية بدائرة المؤتلف لائتلاف اجزائها وتماثلها ويستخرج منها الوافر والكامل فالوافر اجزاؤه مفاعلتن ست مرات لكن عروضه وضربه لم يسمعا الا مقطوفين عند عدم الجزء فيحول كل منهما الى فعولن ومنه لقيس بن الخطيم

وما بعض الاقامة في ديار يهان بها الفتى الا بلاء

وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء

يريد المرء ان يعطى مناه ويأبي الله الا ما يشاء

وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء

ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد يبنى على الجود الثراء

غنيّ النفس ما عمرت غنيٌّ وفقر النفس ما عمرت شقاء

وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزر بصاحبه السخاء

وبعض الداء ملتمس شفاهُ وداء الذُّلِّ ليس له شفاء

ومن مجزوء هذا البحر قول عربي في ابنه

هوى ابنى من علا شرف ... يهول عقابهُ صعدهْ
هوى من رأس مرقبة ... فزلت رجلهُ ويدهْ
فلا امٌّ فتبكيهِ ... ولا اخت فتفتقدهْ
هوى عن صخرة صلدٍ ... ففزّت (١) تحتها كبده
ألامُ على تبكّيه ... والمسه فلا أجده
وكيف يلام محزون ... كبير فاته ولده

وزاد الاخفش عروضاً ثالثة مجزوّة مقطوعة لها ضرب مثلها وبيتها

عبيلة انت همّى ... وانت الدهر ذكرى

والكامل اجزاؤه متفاعلن ست مرات وهو كالطويل في كثرة الدوران في الشعر ومنه معلقة عنترة واولها

هل غادر الشعراء من متردم ... ام هل عرفت الدار بعد توهم

ومنه نزل المشيب فاين تذهب بعده ... وقدارعويت وحان منك رحيل
كان الشباب خفيفة ايامه ... والشيب محمله علىّ ثقيل
ليس العطاء من الفضول سماحة ... حتى تجود وما لديك قليل

(وقول عربي)

عادوا مروءتنا فضلّلَ سعيهم ... ولكل بيت مروءة اعداء
لسنا اذا ذكر الفعال كمعشر ... ازرى بفعل ابيهم الابناء

وقول ابن عبدل الاسدى

يبناهمو بالظهر قد جلسوا ... يوماً بحيث يُنزّعُ الذُبحُ

١ فزت ماخوذ من قولهم فززته اى ازعجته يريد ان كبده زالت من موضعها

فاذا ابن بشر في مواكبه تهوي به خطّارة مرح
فكانما نظروا الى قمر اوحيث علّق قوسه قزح

وقول قيس ابن عاصم المنقرى

اني امرؤ لا يعتريني خلق دنس يفنده ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن

ومن مجزوء الكامل قول ابن زهيمة

وجد الفؤاد بزينبا وجدا شديدا متعبا
امسيت من كلف بها ادعى الشقي المسهبا
ولقد كنيت عن اسمها عمدا لكيلا تغضبا
وجعلت زينب سترة وكنيت امرا معجبا

ومن مجزوئه المرفل قول النابغة

المرء يأمل ان يعيـ ـش وطول عيش قد يضرّه
تفنى بشاشته ويبـ ـقى بعد حلو العيش مرّه
وتخونه الايام حتى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت لى ان هلكـ ـت وقائل لله درّه

قال ابن مرزوق ولما كثرت حركات الكامل وقع في اعاريضه من الاختلاف ما لم يقع في غيره كقول امرىء القيس

الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل

بعد قوله في هذه القصيدة بعينها

يارب غانية صرمت حبالها ومشيت متئدا على رسلى

وقول زهير في قصيدة له

ان الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفانُ يوم اظلت
ولنعم حشو الدرع انت اذا نهلت من العلق الرماح وعلت

فاجتمع في هذه الابيات العروض السالمه والحذاء وهذا خلاف ما اشترط في العلل من اللزوم

واستخرجوا من هذه الدائرة بحرا مهملا بالابتداء من السبب الخفيف وزنه فاعلاتك ست مرات و يقال له المتوفر ومنه قول بعض المولدين

ما رأيت من الجآذر بالجزيرة ان رمين باسهم جرحت فؤادي

(٣) وتسمى الثالثة بدائرة المجتلب لان اجزاءها كلها اجتلبت اليها من دائرة المختلف واستخرجوا منها الهزج والرجز والرمل . فالهزج اجزاؤه مفاعيلن ست مرات على حسب ما تقتضيه دائرته لكنه لم يسمع عن العرب الا مجزوًا وهو اقل استعمالا من الكامل ومنه قصيدة الفند الزماني التي اولها

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم اخوان

قال ابن مرزوق وحكى استعمال الهزج مسدساً على الاصل وهو قليل جدًا كقوله

عفا يا صاح من سلمى مراعيها فظلت مقلتي تجري ماقيها

ومنه ترفق ايها الحادي بعشاق نشاوى قد تعاطوا كاس اشراق

والرجز اجزاؤه مستفعلن ست مرات واكثر ما يستعمل منه العرب المشطور كقول جحدر بن ضبيعة

قد يتمتْ بنتي وآمتْ كنتي وشعثتْ بعد الرهان حمتي
ردّوا عليّ الخيل ان المتِ ان لم يناجزها فجزوا لمتي

قد علمت والدةٌ ما ضمَّتِ ما لفَّفَت في خرقٍ وشمتِ
اذا الكماة بالكماة التفَّتِ امخدَجٌ في الحرب ام اتمتِ

وكقول الزبّاء

ما للجمال مشيها وئيدًا اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا تارزا شديدًا

ويقال ان كل شطرين من هذا بيت وانتزمت العرب التقفية بين الاعاريض والاضرب — ومن غير الاكثر قول امرئ القيس

لم تسبنا خيلكم فيما مضى حتى استفأنا الحي من اهل ومال
ذاك وكم كندية سوداء قد تستقبل القوم بوجه كالجمال
قايظتنا يا كلن فينا عفرًا نطعمها قدًّا ومحروث الخمال
ايامَ صبّحناكمُ ملومة كانها نُطّقتْ قد من حزم آل
من كل قبّاء بعدْو الوكرَى اذا توانى الخيلُ بالقوم الثقال

ومنهوك الرجز كقول دريد بن الصمه يوم هوازن

ياليتني فيها جذع اخبّ فيها واضع
اقود وطفاء الزَمع كانها شاة صدَع

ويقال ان هذا من مجزوء الرجز الملتزم فيه التقفيه بين الاعاريض والاضرب — وللعرب تصرف واتساع في الرجز لكثرته في كلامهم في مواطن الحروب والفخر قال الزجاج ولو جاء منه شعر على جزء واحد مقفى لا حتمل ذلك كقول عبد الصمد بن العدل

قالت اجل ماذا الخجل هذا الرجل حين احتفل اهدى بصل

فجاء بالقصيدة على مستفعلن ومثله قول يحيى بن على المنجم

طيف الم بذي سلم بعد العتم يطوي الاكم
جاد بفم وملتزم فيه نظم اذا يضم

و يقال ان اول من انتزع مثل هذا مسلم الخاسر في قصيدة مدح بها موسى الهادي رابع خلفاء العباسيين اخا الرشيد وهي

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر اروى المدر
كم اعتسر ثم ايتسر وكم قدر ثم غفر
عدل السير باقي الاثر خير وشر نفع وضر
فرع مضر بدر بدر والمفتخر لمن غبر

ولم يسمع شيء من هذا عن العرب واقل ما سمع لهم كان على جزأين كقول دريد السابق

واشتهر بالرجز في صدر الاسلام العجاج ورؤبة وكل منهما له ديوان ليس فيه من الشعر غير الاراجيز وكذا ابو النجم ومن رجزه

خرجت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف
تكتبان في الطريق لام الف

وقد تصفحنا كثيرا من اراجيزهم واراجيز من سبقهم فرأيناها ملتزماً فيها القفية بين الاعاريض والاضرب لكن من جاء بعدهم لم يلتزموا القفية ومن ذلك مقصورة ابن دريد التي اولها

يا ظبية اشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين اشجار النقا
إمّا ترى راسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجا

و يحتمل ان قول امرىء القيس السابق من الكامل المزاحف المعلول والرمل اجزاؤه في الدائرة فاعلاتن ست مرات لكن عروضه لم تسمع في

شعر العرب الا محذوفة عند عدم الجزء ومنه قصيدة لطرفة اولها

اصحوت اليوم أم شاقتك هر ... ومن الحب جنون مستعر
لا يكن حبك داء قاتلاً ... ليس هذا منك ماوى بحر

وقصيدة لعبيد بن الابرص اولها

يا خليلي اربعا واستخبرا المـ ... ـمنزل الدارس عن حيّ حلال
مثل سحق البرد عفى بعدك الـ ... ـقطر مغناه وتأويب الشمال

ومن مجزوء هذا البحر قصيدة جساس بن مرة اولها

انما جاري لعمري ... فاعلموا ادنى عيالي
وأرى للجار حقاً ... كيميني من شمالي

(٤) وتسمى الدائرة الرابعة بدائرة المشتبه لاشتباه ابحرها ويستخرج منها المريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث (فالمريع) اجزاؤه مستفعلن مستفعلن مفعولات مرتين لكن المسموع في عروضه انها لا تجيء تامة

ومنه قول جساس بن مرة

إنا على ما كان من حادث ... لم نبدأ القوم بذات العقوق
قد جرّبت تغلب ارماحنا ... بالطعن اذ جاروا وحزّ الحلوق
لم ينههم ذلك عن بغيهم ... يوما ولم يعترفوا بالحقوق
واسعروا للحرب نيرانها ... للظلم فينا باديا والفسوق
اليس من أردى كليبا لمن ... دون كليب منكم بالمطيق
من شرّع العدوان في قاتل ... اقترف الظلم وضنك المضيق
بدأتم بالظلم في قومكم ... وكنتم مثل العدو الحقيق
والظلم حوض ليس يسقى به ... ذو منعة في كل امر يطيق

فان ابيتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروق

ومنه قول امرىء القيس

احللتُ رحلي في بني ثعلٍ ان الكريم للكريم محلّ
وجدت خير الناس كلهمُ جارًا واوفاهم ابا حنبلْ
اقربهم خيرا وابعدهم شرا واجودهم ان بخلْ

ومنه قول حطان بن المعلى

انزلني الدهر على حكمه من شامخ عال الى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي
ابكاني الدهر ويا ربما اضحكني الدهر بما يرضى
لولا بناتٌ كزُغب القطا رددن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرَبٌ واسع في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض

ومن مشطور السريع قول قبيصة الحرمي

هاجرتي يا بنت آل سعدِ أأن حلبتُ لِقحةً للورّد
جهلت من عنانه الممتد ونظري في عطفه الالدّ
اذا جياد الخيل جاءت تردي مملوءة من غضب وحرّد

(والمنسرح) اجزاؤه مستفعلن مفعولات مستفعلن مرتين الا ان ضربه عند التمام لا يجيء الا مطويا وقال بعضٌ وكذا عروضه لا تجيء الا مطوية ويؤيد هذا تتبع شعر العرب الصحيح ومنه قول امرىء القيس

أنّى علىّ استتبّ لومكما ولم تلوما حجرًا ولا عصما

كلا بيين الآله يجمعنا شيء واخوالنا بنو جشما
حتى يزور الضباع ملحمةً كأنها من ثمود او ارما

قال الصبان وحكى غير الخليل ضربا مقطوعا لهذا البحر كقوله

ما هيج الشوق من مطوّقة قامت على بابه تغنينا

واستحسن هذا الضرب المحدثون واكثروا منه

ومن منهوك المنسرح قول هند بنت عتبة

صبرا بني عبد الدارْ صبرا حماة الادبارْ ضربا بكل بتارْ

(والخفيف) اجزاؤه فاعلاتن مستفع لن مفروق الوتد فاعلاتن مرتين ومنه قول منقذ الهلالي

اى عيش عيشي اذا كنت منه بين حلٍّ وبين وشك رحيل
كل فجٍّ من البلاد كأني طالب بعض اهله بذحول
ما ارى الفضل والتكرم الا كفك النفس عن طلاب الفضول
وبلاء حمل الايادي وان تسـمع منّا توتى به من منيل

ومنه قصيدة لعدى بن زيد اولها

طال ليلى اراقب التنويرا ارقب الليل بالصباح بصيرا
شط وصل الذي تريدين مني وصغير الامور يجني الكبيرا
كم ترى اليوم من صحيح تمنى وغدا حشو ريطة مقبورا

ومن مجزوّ الخفيف قول فقيد ثقيف

ايها الجيرة اسلموا وقفوا كي تكلموا
خرجت مزنة من السـبحر ريّا تحمحم
هي ما كنتي وتز عم اني لما حم

(والمضارع) اجزاؤه مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن مرتين (والمقتضب) اجزاؤه مفعولات مستفعلن مستفعلن مرتين قالوا كلاهما مجزوٌ وجوبا وذكروا

شاهد الاول دعاني الى سعادى دواعي هوى سعادى

وشاهد الثانى اقبلت فلاح لهـا عارضان كالشبج

ادبرت فقلت لهـا والفؤاد في وهج

هـل علىّ ويحكما ان عشقت من حرج

وقد بحثت كثيرا في شعر العرب الذي يؤخذ حجة فلم اعثر على ابيات من كليهما الى ان رأيت في حاشية الدمنهوري على الكافي ما نصه « قال الدماميني انكر الاخفش ان يكون المضارع والمقتضب من شعر العرب وزعم انه لم يسمع منهم شيء منهما قلت وهو محجوج بنقل الخليل وقال الزجاج هما قليلان حتى انه لا يوجد منهما قصيدة لعربي وانما يروى من كل واحد منهما البيت والبيتان ولا ينسب بيت منهما الى شاعر من العرب ولا يوجد في اشعار القبائل »

(والمجتث) اجزاؤه في الدائرة مستفع لن فاعلاتن لكنه لم يستعمل الا رباعيا ويكاد ان لا يوجد في شعر العرب الجاهلى كالمضارع والمقتضب ومنه قول العباس بن الاحنف في جارية اسمها فوز حجت مع مولاها

يا رب رد علينـا من كان انسا وزينا

من لا نسر بعيش حتى يكون لدينا

يا من اتاح لقلبي هواه شؤما وحينا

ما زلت مذ غبت عني من اسخن الناس عينا

ما كان حجك عندي الا بـلاء علينا

وللوليد بن يزيد بن عبد الملك

اني سمعت بليل نحو الرصافة رنّه
خرجت اسحب ذيلي انظر ما شأنهنّه
اذا بنات هشام يندبن والدهنه
يندبن ويلا وعولا والويل حلّ بهنه

وحكى بعضهم استعمال المجتث مسدساً وانشد

يا من على الحب يلحى مستهاماً لا تلحنى ان مثلى لن يلاما

واستخرجوا من هذه الدائرة ايضا ثلاثة ابحر مهملة الاول اجزاؤه فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن مرتين و يسمى المتئد وقال منه بعض المولدين

ما لسلمى في البرايا من مشبه لا ولا البدر المنير المستكمل

والثاني اجزاؤه مفاعيلن مفاعيلن فاع لات و يسمى بالمنسرد وقال منه بعض المولدين

لقد ناديت اقواماً حين جابوا وما بالسمع من وقر لوأ جابوا

والثالث اجزاؤه فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن مرتين و يسمى بالمطرد وقال منه بعض المولدين

من مجيري من الاشجان والكرب من مزيلى من الابعاد بالقرب

(٥) وتسمى الدائرة الخامسة بدائرة المتفق لاتفاق اجزائها و يستخرج منها المتقارب والمتدارك (فالمتقارب) اجزاؤه فعولن ثمانى مرات ومنه قصيدة بشر بن ابي حازم التى اولها

غَشيتَ لليلى بشرق مُقاما فهاج لك الرسم منها سقاما
بسقط الكثيب الى عسعس تخال منازل سلمى وشاما

ومنه قصيدة لدريد بن الصمة اولها

مدحت يزيد بن عبد المدان فاكرم به من فتى ممتدح

ومنه قول الصلتان العبدي

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

وهذا البحر كثير في شعرهم غير انه يقل منه المجزوء ولم يستعمل منه المشطور ويجوز فيه خلط العروض التامة بالمحذوفة والمقصورة والمحذوفة بالبتراء لتصرف العرب فيه وانشدوا منه لعبيد بن الابرص

هي الخمر تكنى الطلا كما الذيب يكنى ابا جعده

واصلحه الخليل بقوله

هي الخمر يكنونها بالطلا كما الذيب يكنى ابا جعده

(والمتدارك) اجزاؤه فاعلن ست مرات ولم اعثر على شواهد له في اشعار العرب الجاهلية ومع ذلك وزنه محبوب وفي الاسماع مؤثر في النفوس خصوصاً اذا دخله الخبن نحو

كرة طرحت بصوالجة فتلقفها رجل رجل

او القطع نحو مالي مال الا درهم او يردوني ذاك الادهم

وقد اجتمعا في قوله

قم نحو حماه وابتهج وعلى ذاك المحيا فعج

وقد سموا هذا البحر بضرب الناقوس والمنسق وغير ذلك قال الصبان وحكم كثير بشذوذ ورود هذا البحر سالماً وروده مجزوءاً وان المطرد استعماله مخبونا اه وهذا البحر لم يذكره الخليل بل زاده الاخفش كما سبق وزعم ابن رشيق انه قديم ومنه

يابنى عامر قد تجمعتم ثم لم تدفعوا الضيم اذ جئتم

وقد نظم بعضهم اسماء بحور الخليل فقال

طويل مديد فالبسيط فوافر فكامل اهزاج الاراجيز ارملا

سريع سراح فالخفيف مضارع فمقتضب مجتث قرب لتفضلا

ونظم اوزان البحور كثير من الشعراء منهم الصفى الحلى فقال

الطويل طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

المديد لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتن فاعلن فاعلاتُ

البسيط ان البسيط لديه يبسط الامل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل

الوافر بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعول

الكامل كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعل

الهزج على الاهزاج تسهيل مفاعيلن مفاعيل

الرمل رمل الابحر يرويه الثقات فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

السريع بحر سريع ماله ساحل مستفعلن مستفعلن فاعل

الرجز في البحر الارجاز بحر سهل مستفعلن مستفعلن مستفعل

المنسرح منسرح فيه يضرب المثل مستفعلن فاعلن مفتعل

الخفيف ياخفيفاً خفت به الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلات

المضارع بعد المضارعات مفاعيل فاعلات

المقتضب اقتضبْ كما سألوا فاعلات مفتعل

المجتث اجتث الحاجات مستفعلن فاعلات

المتقارب عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعول

المحدث حركات المحدث تنتقل فعلن فعلن فعلن فعل

وقد جاءت آيات قرآنية واحاديث نبوية على الاوزان الشعرية اتفاقاً فمن ذلك آية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . وحديث ان انتِ الا اصبع دَميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ فالآية من مجزوء الرمل والحديث من الرجز المقطوع

وقد نظم الشيخ شهاب بيتين لكل بحر مبينا فيهما اسم البحر واجزاءه ومقتبسا آية من القرآن الكريم جاءت على وزنه

فقال في الطويل

اطال عذولي فيك كفرانه الهوى ... وآمنت ياذا الظبي فأنس ولا تنفر

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

وقال في المديد يامديد الهجر هل من كتاب ... فيه آيات الشفا للسقيم

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ... تلك آيات الكتاب الحكيم

وقال في البسيط اني بسطت يدي ادعو على فئة ... لاموا عليك عسى تخلو اماكنهم

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن ... فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم

وقال في الوافر غرامي بالاحبة وَفَّرَته ... وشاة في الازقة راكزونا

مفاعلتن مفاعلتن فعولن ... اذا مروا بهم يتغامزونا

وقال في الكامل كملت صفاتك يارشا واولو الهوى ... قد بايعوك وحظهم بك قد نما

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... ان الذين يبايعونك انما

وقال في المجتث لئن تهزج بعشاق ... فهم في عشقهم تاهوا

مفاعيلن مفاعيلن ... وقالوا حسبنا الله

وقال في الرجز يا راجزا باللوم في موسى الذي ... اهوى وعشق فيه كان المبتغى

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ... اذهب الى فرعون انه طغى

وقال في الرمل ان رمتم نحو ظبي نافر فاستميلوه بداعي انسه
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن ولقد راودته عن نفسه

وقال في السريع سارع الى غزلان وادي الحمى وقل ايا غيد ارحموا صبكم
مستفعلن مستفعلن فاعلن يا ايها الناس اتقوا ربكم

وقال في المنسرح تنسرح العين في خديد رشا حيا بكاس وقال خذه بفى
مستفعلن مفعولات مستفعلن هو الذي انزل السكينة في

وقال في الخفيف خف حمل الهوى علينا ولكن ثقلته عواذلٌ تترنمْ
فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وقال في المضارع الى كم تضارعون فتى وجهه منير
مفاعيلن فاع لاتن الم يأتكم نذير

وقال في المقتضب اقتضب وشاة هوى من سناك حاولهم
مفعولات مفتعلن كلما اضاء لهم

وقال في المجتث اجتث من عاب ثغرا فيه الجمان النظيم
مستفع لن فاعلاتن وهو العلىّ العظيم

وقال في المتقارب تقارب وهات اسقني كاس راح وباعد وشاتك بعد السماء
فعولن فعولن فعولن فعولن وان يستغيثوا يغاثوا بماء

وقال في المتدارك دارك قلبي بلى ثغر في مبسمه نظم الجوهر
فعلن فعلن فعلن فعلن انا اعطيناك الكوثر

وقال في المخلع خلعت قلبي بنار عشق تصلى بها مهجتي الحرارة
مستفعلن فاعلن فعولن وقودها الناس والحجارة

وقال في الدوبيت دوبيتُ لنظم فارس ميزان ما خصّصهم بكسبه الامكان

فعلن متفاعلن فعولن فعلن بل ران على قلوبهم ما كانوا

وقال في المواليا لذ بالموالي الاكابر واعتصم بالله يهديك اذا شاوالا لا تزل باللاه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن وما تشاؤن الا ان يشاء الله

﴿ لطائف ﴾

الاولى قيل لا حاجة الى العروض لان الشعر به شاق و يجيء متكلفاً فان العروضيّ ليتأتى له وزن البيت ينظر في اجزائه و يقابل ما فيها من الاوتاد والاسباب على التفاعيل والى ان ينظم بيتاً ينظم الشاعر بالسليقة قصيدة قال ابو فراس

تناهض الناس للمعالي لما رأوا نحوها نهوضي

تكلفوا المكرمات كدا تكلف النظم للعروضي

وقال ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول مسائلٌ كلها فضول

قد كان شعر الورى صحيحاً قبل ان يخلق الخليل

وقال بهاء الدين السبكي

اذا كنت ذا فكر سليم فلا تمل لعلم عروض توقع القلب في كرب

فكل امرىء عانى العروض فانما تعرض للتقطيع وانساق للضرب

الثانية الغز ابن الصائغ في جبل فقال

يا عروضيا له فطن بحرها بالفكر يضطرب

ايما اسم وضعه وتد وهو اذا صحفته سبب

ويرى في الوزن فاصلة ساكن تحريكه عجب

اراد بالوتد الجبل قال تعالى وجعلنا الجبال اوتاداً وهو اذا صحفته جبل وهو

السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة احرف متحركة بعدها ساكن والغز بعضهم في الساقية فقال

يا أيها الحبر الذي علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة فيها بسيط وهزج

وظاهر هذا مشكل لانه ليس في دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من دائرة المجتلب واوهم بالبسيط وهو يريد الماء واوهم بالهزج وهو يريد الصوت المسموع من الساقية حال دورانها اه من الصفدي

الثالثة قال في النفحات الارجية قال الخليل وغيره للعرب نوعان من الشعر المخمس والمسمط قال ابن رشيق (المخمس) ان يؤتى بخمسة اقسام على قافية واحدة ثم بخمسة اخرى على قافية اخرى الى تمام القصيدة هذه اصله وقد يستعمل على اقل من خمسة او اكثر انشد الزجاج

سقى طللا بحزوى هزيم الودق احوى
عهدنا فيه اروى زمانا ثم اقوى
واروى لا كنود ولا فيها صدود
لها طرف صيود ومبتسم برود
لئن شط المزار بها ونأت الديار
فقلبي مستطار وليس له قرار

وهذا الوزن يحتمل ان يكون من مربع الوافر المقطوع او من المضارع المقبوض المكفوف (والمسمط) انه يؤتى ببيت مصرع ثم باربعة اقسام على قافية

واحدة غير قافية البيت الاول ثم يؤتى بشطر واحد متحد في الوزن والقافية مع البيت الاول نحو

توسمت من هندٍ معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابعُ من هندٍ خلت ومطايف يصيح بغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسفٍّ ثم آخر رادف
باسمح من نوء السماكين هطّال

وهذا جرى عليه اسم المخمس غلطاً وربما كان التسميط بالاتيان بثلاثة اشطر متحدة في التقفية ورابعة على قافية اخرى ثم بثلاثة اخرى متحدة في التقفية ورابعة متحدة مع الرابعة السابقة في القافية وهكذا كقوله

خيال هاج لي شجنا فبتّ مكابدا حزنا
عميدَ القلب مرتهنا بذكر اللهو والطرب
سبتني ظبية عطلٌ كأن رضابها عسلُ
ينوء بخصرها كفل كميل روادف الحقب اه بتصرف

واقول التخميس المستعمل الآن بمصر ان يؤتي باربعة اشطر متحدة في التقفية وخامسة مخالفة لها في القافية الا اذا اريد التصريع كقول الشيخ ابراهيم راضي المؤدب في تخميس هذا البيت

(كل من في الوجود يطلب صيداً غير ان الشباك مختلفات)
احترس من سواك قرباً وبعداً وتبصر في الامر عكساً وطرداً
انت للناس لست تعلم قصداً كل من في الوجود يطلب صيداً
غير ان الشباك مختلفات

والتشطير ان تجعل بيتاً بيتين كقوله في البيت السابق

كل من في الوجود يطلب صيداً تتجارى لقنصه الغايات
لو علمنا بسرها لاحترسنا غير ان الشباك مختلفات

ومن الشعر نوع ثالث يسمى القادوسي لم يذكره الخليل وذكره غيره شبه بقواديس الساقية لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في جهة اخرى نحو

كم للدمى الابكار بالحسن من منازلِ
بمهجتي للوجد من تذكارها منازلُ
منازل غيرها سواكب الهواطلِ
لما ناء ساكنها فادمعه هواطلُ

(ب) القافية علم احوال اواخر الابيات وتطلق على مجموع الساكنين اللذين في آخر البيت وما بينهما من المتحركات والمتحرك الذي قبل الساكن الاول كذا قال الخليل وقال الكوفيون انها حرف الروى خاصة ورأيت في رسالة لابن كيسان مطبوعة في ليدن ما يخالف هذا فان فيها ما نصه « قال الخليل القافية الحرف الذي يلزمه الشاعر في آخر كل بيت حتى يفرغ من شعره وكان الخليل يسمي الكلمة التي فيها القافية الضرب والروى » وهذا مخالف للمشهور ولما جاء في لسان العرب وهو « وقال الخليل القافية من آخر حرف البيت الى اول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن كأن القافية على قوله من قول لبيد عفت الديار محلها فمقامها ـ من فتحة القاف الى آخر البيت وقال قطرب القافية الحرف الذي تبني القصيدة عليه وهو المسمى رويا وقال ابن كيسان القافية كل شيء لزمت اعادته في آخر البيت وقد لاذ هذا بنحو قول الخليل لولا خلل فيه » وقال الاخفش انها آخر كلمة في البيت وقال آخرون هي المصراع الأخير قال الخطيب التبريزي والقول قول الاخفش لانا رايناهم اذا قالوا البيت حتى تبقى منه كلمة قالوا بقيت القافية

ولو ان شاعرا قال لك اجمع قوافي لم تجمع له انصاف ابيات وانما كنت تجمع له كلمات اواخرها الحرف الذي تريد ان تجعله روى القصيدة اه والعرب يطلقون القافية على البيت وعلى القصيده قال حسان

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

وقال آخر وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافيـة هجاني

وقالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويهلك من قالها

وقال الشميذر الحارثي

بني عمنا لاتذكروا الشعر بعد ما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

اي دفنتم بصحراء الغمير شاعركم صاحب القصائد

(ويقال) ان مهلهل بن ربيعة اول من اجاد تقفية القصائد الطوال وانه لم يقل احد قبله عشرة ابيات من روىّ واحد وانه اول من يروى له كلمة ثلاثون بيتاً من الشعر قال الفرزدق ــ ومهلهل الشعراء ذاك الاول ــ ولهذا نسبوا اليه وضع القوافي واما علم القافية فالظاهر انه من علم العروض فيكون من وضع الخليل فان تعاريف القافية الاصطلاحية واسماء حروفها وحركاتها وعيوبها وانواعها منسوبة كلها الى الخليل ومن تبعه ولم يؤثر عن زمن الجاهلية وضع علم ولا تدوين فن ولو كان العلم نفسه من وضع المهلهل لما خفى على النابغة الذبياني شاعر العرب المحكّم عيب الاقواء في قصيدته التي اولها

امن آل مية رائح او مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزوّد

فانه خالف فيها مجرى رويها المكسور حيث قال

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغُداف الاسودُ

ولما انكر عليه اهل يثرب ذلك لم يعرف ما انكروا فالقوه على لسان جارية فتغنت فيه فمدت صوتها في (مزودِ) ومدت صوتها في قوله (الاسودُ) فقال النابغة ما ابصركم يا اهل يثرب بمجاري الكلام ورجع عنه فقال

(و بذاك تنعاب الغراب الاسودِ)

وقد اقوى النابغة في موضع آخر من هذه القصيدة فقال

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقدُ

و يؤيد ما ذهبنا اليه قول ابن مرزوق شارح الخزرجية وانما افردت القوافي بالتأليف وان كانت من علم العروض لكثرة مباحثها كما افردت الفرائض بالتآليف وان كانت من علم الفقه وكافراد التصريف بالتاليف وان كان من علم النحو

ولقافية البيت حروف وحركات اذا جاءت للشاعر في مطلع شعره وجب عليه التزامها في بقيته فالحروف ستة نظمها بعضهم فقال

روى ووصل والخروج وردفه ومن قبله التأسيس ثم دخيل

والحركات ست ايضاً نظمها آخر فقال

ان القوافي عندنا حركاتها ست على نسق بهنّ يلاذ
رسّ واشباع وحذو ثمّ تو جيه ومجرى بعده ونفاذ

(١) فالرويّ الحرف الذي ينسب اليه الشعر و يكون ساكنا ومتحركا فالساكن و يسمى مقيدا كالميم الملتزمة اخيرا في قصيدة طرَفة بن العبد التي اولها

سائلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللممْ
يوم تبدي البيض عن اسوقها وتلف الخيلُ اعراج النعمْ

ولذا يقال لها ميمية طرفه والمتحرك ويسمى مطلقاً كالهمزة في معلقة الحارث ابن حلزة التي اولها

آذنتنا ببينها اسماء ... رب ثاوٍ يملُّ منه الثواء (و)
بعد عهد لنا ببرقة شما ... ء فادنى ديارها الخلصاء

ويقال لها همزية الحارث وكالنون في معلقة عمرو بن كلثوم التي اولها

الاهبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقى خمور الاندرينا
مشعشة كأن الحُصّ فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا

ويقال لها المعلقة النونية وكالباء في قصيدة النابغة التي اولها

كليني لهم يا اميمة ناصب ... وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب

وتسمى بالبائية وكالميم في قصيدة عبيد بن الابرص التي اولها

لمن جمال قبيل الصبح مزمومة ... ميممات بلادا غير معلومة
عالَيْنَ رقما وانماطا مظاهرة ... وكلَلاً بعتيق العقل مقرومة

والباء في قصيدة ابي النشناش التي اولها

اذا المرء لم يسرَح سواما ولم يُرحْ ... سواما ولم تعطف عليه اقاربهْ

واللام في قطعة لابن زيابة اولها

نبئتُ عمرا غارزا رأسهُ ... في سنة يوعد اخواله (و)
وتلك منه غير مأمونة ... ان يفعل الشيء اذا قاله

والعين في قول مسكين الدارمي

وفتيانِ صدقٍ لستُ مطلعَ بعضهم ... على سر بعض غير انى جماعها
لكل امرىء شعب من القلب فارغ ... وموضع نجوى لا يرام اطلاعها

يظلون شتى في البلاد وسرهم الى صخرة اعيا الرجال انصداعها

والهمزة في قطعة للهذيل بن مشجعة

انى وان كان بن عمي غائبا لمقاذف (١) من خلفه ووراثه (ى)

ومفيده نصري وان كان امرأ متزحزحا في ارضه وسمائه

ويعاب على الشاعر ان يغير حرف الروى في شعر واحد وسموا هذا العيب اكفاء كقول رؤبة

ازهرُ لم يولد بنجم الشحّ ميمم البيت كريم السخّ

وحركة الروى المطلق تسمى مجرى وحركة ما قبل الروى المقيد توجيهاً وفي اختلاف المجرى عيب الاقواء كما تقدم في شعر النابغة وفي اختلاف التوجيه عيب السناد كقول امرىء القيس

فلا وابيكِ ابنةَ العامريـ ـي لا يدعى القومُ اني افرْ

تميم بن مرٍّ واشياعها وكِندةُ حولي جميعاً صبُرْ

اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الارض واليوم قرْ

(٢) والوصل لين اوهاء تلى الروي المطلق كالواو المتولدة بعد الهمزة في (الثواء) والالف بعد النون في (الاندرينا) والياء بعد الباء في (الكواكب) وهاء التأنيث بعد الميم في (معلومة) وهاء الضمير في (اقاربه) وفي (اخواله) وفي (جماعها) وفي (ورائه) فليست الهاء وصلا في مثل قصيدة الحطيئة التي اولها

الا هبتْ امامةُ بعدهدْء تعاتبني وما قضّت كراها

فقلت لها امامُ ذري عتابي فان النفس مبدية ثناها

(١) المقاذف للرامي يقول اني اذب عنه من قدامه ومن خلفه فوراء بمعنى قدام لانه ذكر معه خلف

بل هي الروي والالف الوصل والوصل لا يتأتى في الروي المقيد واشار الى هذا الورّاق فقال

قلت صلنى فقد تقيدت في الحبّ به والاسار في الحب ذُلُّ
قال يا من يجيد علم القوافي لا تغالط ما للمقيد وَصل

وحركة هاء الوصل تفاد او تفاذ ولم يسمع في شعر اختلافها

(٣) والخروج حرف مديلى هاء الوصل ان ضمة فواو وان فتحة فالف وان كسرة فياء كالواو والالف والياء المتولدة بعد الهاء في (اخوالهُ) و (جماعها) و (ورائهِ)

(٤) والردف حرف لين قبل الروي كالالف قبل الهمزة في (الثواء) والياء قبل النون في (الاندرينا) والواو قبل الميم في (معلومة) والردف اذا كان بالالف انفردت في الشعر كقصيدة بشر بن ابي خازم التى اولها

تعنّى القلبَ من سلمى عناء فما للقلب اذ بانت شفاء
وآذن آل سلمى بارتحال فما للقلب اذ ظعنوا عزاء

واذا كان بالواو او الياء جاز ان يجتمعا في شعر واحد كقول المعلوط بن بدل السعدي

انّ الظعائن يوم جوّ سُوَيقةٍ ابكين عند فراقهن عيونا
غيَّضْنَ من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
بل لو يساعفنا الغيور بداره يوما لقد مات الهوى وحيينا

وحركة ما قبل الردف حذو وفي اختلافها عيب السناد كقول عبيد

فان يك فاتنى اسفاً شبابي واضحى الراس منى كالُلجَيْنِ
وكان اللهو حالفنى زمانا فاضحى اليوم منقطع القَرِين

فقد الج الخباء على عذارى كأن عيونهن عيون عين

وفى ارداف بعض الشعر دون البعض الآخر عيب السناد كقول حسان

اذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

وان باب امر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

(٥) والتأسيس الف سبق الروى بحرف وكان معه في كلمته او في كلمة اخرى بشرط ان يكون الروى ضميرا أو بعض ضمير كقول حفص العليمي

اقول لحلمي لا تزعني عن الصبا وللشيب لا تذعر على الغوانيا (من كلمته)

طلبت الهوى الغوريّ حتى بلغته وسيرت في نجديه ما كفانيا (ضمير)

فيارب ان لم تقضها لي فلا تدع قذورَلهم واقبض قذور كماهيا (بعض ضمير)

ويا ليت ان الله ان لم الاقها قضى بين كل اثنين ان لا تلاقيا

واما اذا كان الالف في كلمة اخرى ولم يكن الروى ضميرا ولا بعضه فلا يكون تأسيساً كقوله الصمة بن عبد الله بن الطفيل

حننْتَ الى ريّا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشَعبا كما معاً

فما حسن ان تأتى الامر طائعاً وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا

وكقول عنترة

ولقد خشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين وان لم القهما دمي

واذا جاء اول الشعر مؤسساً لزم التأسيس في باقيه كقول معدان الكندي

صفا ود ليلى ما صفا ثم لم نُطع عدواً ولم نسمع به قيل صاحبِ

فلما تولى ود ليلى لجانب وقوم تولينا لقوم وجانب

وكل خليل بعد ليلى يخافني على الغدر او يرضى بود مقارب

والا جاء عيب السناد كقول حجر بن حية العبسي

ولا أُدَوِّمُ قدري بعدما نضجت ... بخلا لنمنع ما فيها اثافيها
حتى تقسم شتى بعدُ ما وسعت ... ولا يؤَنِّبُ تحت الليل عافيها
لا احرم الجارة الدنيا اذا اقتربت ... ولا اقوم بها في الحي اخزيها
ولا اكلمها الا علانية ... ولا اخبرها الا اناديها

فالبيت الثالث غير مؤسس والباقي فيه التأسيس

(٦) والدخيل حرف متحرك بين التأسيس والروى كنون (الغوانيا) وحركته اشباع وفي اختلافها عيب السناد كقول النابغة

وهم طردوا منها بليًّا فاصبحت ... بلىً بواد من تهامة غائر
وهم منعوها من قضاعة كلها ... ومن مضرَ الحمراء عند التغاوُر

ومما تقدم يعلم ان القافية باعتبار حروفها تسعة انواع

لانها اما مطلقة اي لها وصل او مقيدة ليس لها وصل وكلتاهما مردوفة او مؤسسة او مجردة من الردف والتأسيس والمطلقة باقسامها الثلاثة اما موصولة بحرف لين واما بهاء

فالمطلقة المردوفة الموصولة كقول امية بن ابي الصلت

كل عيش وان تطاول يوما ... صائر مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي ... في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

الوصل حرف لين

وكقول عنترة يرثي تماضر زوجة الملك زهير

جازت ملمات الزمان حدودَها ... واستفرغت ايامها مجهودَها
وقضت علينا بالمنون فعوضت ... بالكره من بيض الليالي سودَها

الوصل هاء

والمطلقة المؤسسة الموصولة كقول سعد بن ناشب

ساغسل عني العار بالسيف جالبا علىّ قضاء الله ما كان جالبا
واذهل عن داري واجعل هدمها لعرضي من باقي المذمة حاجبا

الوصل حرف لين

وكقول طرفة

فكيف يرجّى المرء دهرا مخلدا واعماله عما قليل تحاسبه
الم تر لقمان بن عادٍ تتابعت عليه النسور ثم غابت كواكبه

الوصل هاء

والمطلقة المجردة الموصولة كقول جليلة بنت مرة

يا ابنة الاقوام ان لمتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبينت الذي يوجب اللوم فلومي واعذلي

الوصل حرف لين

وكقول طرفة

تذكرون اذ نقاتلكم لا يضر معدماً عَدَمُه
انتم نخل نطيف به فاذا ما جز نصطرمه

والمقيدة المردوفة كقول امرىء القيس

تطاول الليل علينا دَمُون دَمُون انا معشر يمانون
وانا لاهلنا محبون

والمقيدة المؤسسة كقول الحطيئة

وغررْتني وزعمت انك لابن في الصيف تامرْ

والمقيدة المجردة كقول طرفة

خالط الناس بخلق واسع لا تكن كلبا على الناس تهر

وان التقى ساكنا القافية فهي المترادف كقول امرىء القيس السابق وان كان بينهما حركة فهي المتواتر كقول حطّان

انزلني الدهر على حكمه من شاهق عال الى خفض

وان كان بينهما حركتان فهي المتدارك كقول المؤمل

وكم من لئيم ودّانى شتمته وان كان شتمي فيه صاب وعلقم
وللكف عن شتم اللئيم تكرماً اضرّ له من شتمه حين يشتم

وان كان ثلاث حركات فالمتراكب

كقول طرفة

ولا اغير على الاشعار اسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا
وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

وان اربعٌ فالمتكاوس كقول العجاج

او يبتغوا الى السماء درَجا

وقافيتا المترادف والمتكاوس نادرتان في الشعر

الى هنا انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني واوله
الباب الخامس في تاريخ النحو والصرف
والاشتقاق والحمد لله على التمام

﴿ تنبيه ﴾

وقع في بعض النسخ تحريف فالمرجو من المطالع اصلاحه من المبين بعد

صحيفة	سطر	تحريف	صواب
١٧	١٧	المخيل	المخبل
٣٤	١٣	ينشأ	ينسأ
٧٧	١٦	المكثيرين	المكثرين
٨٠	١٤	البحثرى	البحترى
٨٠	١٧	السعادة	العادة
٨٦	٠٦	لاخطر	لاحظر
٨٨	١٧	ريش · وأنيث	ريشى · وأنبت
٩١	٠٨	شروري	شرورى
٩١	١٢	من	منه
٩١	٢٢	ثناته	مثناته
٩٢	٠٢	يخيل	يحيل
٩٢	١٤	خشبنان	خشبتان
٩٢	٢١	التاس	الناس
٩٥	٠٧	المزكى	المذكى
٩٥	١٠	حرد	حردا
١٠٣	٠٩	الهوي · الردي	الهوى · الردى

صحيفة	سطر	تحريف	صواب
١٠٣	١٣	الغال	الفال
١٠٤	١٦	حيها	حبها
١٠٥	١٧	اطعنت	طعنت
١٠٥	١٦	اذا	واذا
١٢١	٠١	رباه	رباً
١٣٩	٠٦	دمغوا	دمعو (دمعه)

وغير هذا لم ننبه عليه لعدم خفائه على الاديب الفطن

كتاب

تاريخ أدب اللغة العربية

تأليف

محمد بك دياب

« المفتش الثانى للغة العربية بنظارة المعارف »

العلم شيء حسن * فكن له ذا طلب

المرجو ممن اطلع على نسخة من هذا الكتاب غير مختومة بختم المؤلف ان يردها اليه ويأخذ بدلها خمس نسخ



(الجزء الثانى)

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

فى تاريخ النحو والصرف والاشتقاق

(وفيه فصلان)

الفصل الاول

فى تعريف النحو والصرف والاشتقاق

« النحو » كان يطلق على ما يعم الصرف فكان يبحث فيه عن ابنية الكلم واحوالها مفردة ومركبة وكتب السلف ناطقة بذلك قال ابن جنى فى الخصائص : هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها فى الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رد اليها وهو فى الاصل مصدر شائع اى نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم اه . وقيل النحو علم بأقيسة تعير ذوات الكلم واواخرها بالنسبة الى لغة العرب . ثم عُنِي العلماء بالصرف وافردوه بالتصنيف لتشعب مسائله وخصصوه بعلم ابنية

الكلم واحوالها مفردة فالابنية كبناء اسم الفاعل من الثلاثى على فاعل واسم المفعول على مفعول واسم التفضيل على افعل واسم المكان واسم الزمان على مفعَل او مفعِل والاحوال كالاعلال والادغام والحذف والابدال . وفى الارتشاف لابى حيان : التصريف ينقسم الى قسمين احدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى والآخر تغيير الكلمة لغير معنى طارىء عليها وينحصر فى الزيادة والحذف والابدال والقلب والنقل والادغام اه . وكذا أفردوا النحو بالتأليف واطلقوه على علم احوال الكلم وهى مركبة خاصة كرفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وتقديم المبتدا على الخبر فى حال وتأخيره فى حال وحذف احدهما عند الاقتضاء . والاشتقاق اخذ كلمة من اخرى بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما فى الصيغة أو هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر والاول باعتبار العمل والثانى باعتبار العلم والاشتقاق يكون صغيراً ان كان بين اللفظين تناسب فى الحروف الاصلية وترتيبها نحو جذب من الجذب وكبيراً ان كان بينهما تناسب فى الحروف دون الترتيب نحو جذب من الجبذ واكبر ان كان بينهما تناسب فى نوع بعض الحروف وفى مخارج البعض الآخر كنعق من النهق وثلب من الثلم واذا اطلق الاشتقاق انصرف للصغير . وقال فى كشف الظنون : الاشتقاق علم باحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالاصالة والفرعية باعتبار جوهرها والقيد الاخير يخرج الصرف اذ يبحث فيه ايضاً عن الاصالة والفرعية بين الكلم لكن لابحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة مثلاً يبحث فى الاشتقاق

عن مناسبة نهق ونعق بحسب المادة وفى الصرف عن مناسبته بحسب الهيئة فامتاز احدهما عن الآخر واندفع توهم الاتحاد وموضوعه المفردات من الحيثية المذكورة ومبادئه كثيرة منها قواعد مخارج الحروف ومسائله القواعد التى يعرف منها ان الاصالة والفرعية بين المفردات باى طريق يكون وباى وجه يعلم ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخارج وتتبع مفردات الفاظ العرب واستعمالاتها والغرض منه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب وغايته الاحتراز عن الخلل فى الانتساب واعلم ان مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض الى البعض على وجه كلي ان كان فى الجوهر فالاشتقاق وان كان فى الهيئة فالصرف فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة وان الاشتقاق واسطة بينهما ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة فى التعليم ثم انه كثيراً ما يذكر فى كتب التصريف وقلما يدون مفرداً عنه اما لقلة قواعده او لاشتراكهما فى المبادئ حتى ان هذا من جملة البواعث على اتحادهما والاتحاد فى التدوين لا يستلزم الاتحاد فى نفس الامر قال صاحب الفوائد الخاقانية اعلم ان الاشتقاق يؤخذ تارة باعتبار العلم وتارة باعتبار العمل وتحقيقه ان الضارب مثلاً يوافق الضرب فى الحروف الاصول والمعنى بناء على ان الواضع عين بازاء المعنى حروفاً وفرّع منها الفاظاً كثيرة بازاء المعانى المتفرعة على ما تقتضيه رعاية التناسب فالاشتقاق هو هذا التفريع والاخذ فتحديده بحسب العلم بهذا التفريع الصادر عن الوضع هو ان تجد بين اللفظين تناسباً فى المعنى والتركيب فتعرف رد احدهما الى الآخر واخذه منه وان اعتبرناه من حيث احتياج احد الى عمله عرفناه باعتبار العمل فنقول هو ان تأخذ من اصل

فرعاً يوافقه فى الحروف الاصول وتجعله دالاً على معنى يوافق معناه اه .
والحق ان اعتبار العمل زائد غير محتاج اليه وانما المطلوب العلم باشتقاق الموضوعات اذ الوضع قد حصل وانقضى على ان المشتقات مرويات عن اهل اللسان ولعل ذلك الاعتبار لتوجيه التعريف المنقول عن بعض المحققين ثم ان المعتبر فيهما الموافقة فى الحروف الاصلية ولو تقديراً اذ الحروف الزائدة فى الاستفعال والافتعال لاتمنع وفى المعنى ايضاً اما بزيادة او نقصان فلو اتحدا فى الاصول وترتيبها كضرب من الضرب فالاشتقاق صغير ولو توافقا فى الحروف دون الترتيب كجبذ من الجذب فهو كبير ولو توافقا فى اكثر الحروف مع التناسب فى الباقي كنعق من النهق فهو اكبر اه . وفى الارتشاف الاشتقاق اكبر واصغر فالاكبر هو عقد تقاليب الكلمة كيفما قلبتها على معنى واحد نحو القول والقلو والولق والوقل واللقو واللوق على معنى الخفة والسرعة والكلم والكمل واللكم واللمك والمكل والملك على معنى الشدة والقوة ولم يقل بهذا الاشتقاق الا ابو الفتح والاشتقاق الاصغر انشاء مركب من مادة يدل عليها وعلى معناها كاحمر من الحمرة وهذا الاشتقاق اثبته الجمهور فى ان بعض الكلم قد يشتق من بعض ولا بد من اتحاد فى الحروف الاصلية على ترتيب واحد وفى المعنى ويدل على ان اللفظ فرع دلالته على معنى زائد على ما اشتق منه نحو ضارب وضرب والاصل فى الاشتقاق ان يكون من المصادر واصدق ما يكون فى الافعال المزيدة والصفات منها واسماء المصادر والزمان والمكان ويغلب فى العلم ويقل فى اسماء الاجناس كغراب يمكن ان يشتق من الاغتراب وجرادة من الجرد اه (وكان للاشتقاق باقسامه الثلاثة اهمية

كبرى) فى قياس اللغة واستنباطها وعلى ذلك كان مدار السلف فى تدوينها قال ابن فارس فى فقه اللغة : اجمع اهل اللغة الا من شذ منهم ان للغة العرب قياساً وان العرب تشتق بعض الكلم من بعض وان اسم الجن مشتق من الاجتنان وان الجيم والنون تدلان ابداً على الستر تقول العرب للدرع جنة واجنه الليل وهذا جنين اى هو فى بطن امه وان الانس من الظهور يقولون آنست الشيء ابصرته وعلى هذا سائر كلام العرب اه . وسأل عمرو ابن العلاء اعرابياً عن اشتقاق الخيل فقال الاعرابى استفاد الاسم من فعل السير يريد ان في مشيها خيلاء فاخذ اسمها من ذلك وكان الزجاج يقول الرحل مشتق من الرحيل والثور انما سمى ثوراً لانه يثير الارض والثوب انما سمى ثوباً لانه ثاب لباساً بعد ان كان غزلاً .

الفصل الثانى

فى تاريخ النحو بالمعنى العام

كان العرب يتكلمون كلاماً معرباً بالسليقة والطبع قال اعرابى :

ولست بنحوى يلوك لسانه ولكن سليقى اقول فاعرب

فلما جاء الاسلام وقضى باختلاطهم مع الاعاجم تولد فى لسانهم اللحن واول ما ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى عليه الصلاة والسلام فخوفاً من فساد اللغة وضع الامام على رابع الخلفاء الراشدين اصولاً لذلك اعطاها لابى الاسود الدؤلى وامره بان ينحو منحاها فصار يتبع ما رسمه له

الامام ويزيد فى هذه الاصول ويعرض عليه كل ما عنَّ له فى هذا الشأن فكان ذلك مبدأ علم النحو وصار الامام يرغب فى تعلم هذا العلم . فمما يروى عنه انه قال :

النحو يصلح من لسان الألكن ... والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا اردت من العلوم اجلها ... فاجلها عندى مقيم الالسن
لحن الشريف يحطه عن قدره ... فتراه يسقط من لحاظ الاعين
ماورَّث الآباء فيما ورَّثوا ... ابناءهم مثل العلوم فأتقن

وعلى ما تقدم يظهر ان ذوى العرفان من العرب قبل وضع النحو كانوا يعرفون علم لسانهم بالتلقى والوراثة عن اسلافهم بدون تدوين فى كتاب ولا معرفة للالفاظ الاصطلاحية الحديثة يرشد الى ذلك حكاية الخنساء وحسان فى سوق عكاظ وقد مرت فى الشعر وحكاية النابغة وقينة المدينة السالفة عند الكلام على القافية وما روى عن عمر ثانى الخلفاء انه قال تعلموا العربية فانها تزيد فى العقل والمروءة — ويقال ان السبب فى وضع باب التعجب والاستفهام ان ابا الاسود كان مع ابنته على سطح بيته فرأت السماء ونجومها الزواهر وحسن نظامها البديع الباهر فقالت يا ابت ما احسنُ السماء بضم النون فقال نجومها ظنًّا انها تسأله عن اي شيء احسن مما نظرته فيها فقالت يا أبت انما اردت التعجب من حسنها وبهجتها فقال اذن قولى ما احسنَ السماء وافتحى فاك وقيل انه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا ابت ما اشد الحر متعجبة ورفعت اشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت انما اخبرتك ولم اسألك وان السبب فى وضع باب العطف والنعت انه سمع رجلاً يقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر وتقدَّم فى

الكلام على الخط ان هذا ايضاً كان سبباً فى وضع علامات الاعراب ولما وضع باب ان واخواتها وعرضه على الامام امره بزيادة (لكنّ) وروى عاصم قال جاء ابو الاسود الى زياد وهوامير البصرة فقال انى ارى العرب قد خالطت هـذه الاعاجم وفسدت السنتها أفتأذن لى ان اضع للعرب ما يعرفون به كلامهم فقال له زياد لا تفعل قال فجاء رجل الى زياد فقال اصلح الله الامير توفى ابانا وترك بنونا فدعا زياد ابا الاسود وامره بان يضع ما كان نهاه عنه اه . وكان ابو الاسود يجلس لتعليم النحو والناس يختلفون اليه للاخذ منه وكان يزيد فيما وضعه وكان اعلم الناس بكلام العرب .

يحكى ان غلاماً كان يتعلم منه النحو فقال له يوماً ما فعل ابوك قال اخذته حمى فضختة فضخا وطبخته طبخا وفتحته فتحا فتركته فرخا قال فما فعلت امرأة ابيك التى كانت تشاره وتجاره وتضاره وتزاره وتهاره وتماره قال طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت وبظيت قال وما بظيت يا ابن اخي قال حرف من العربية لم يبلغك قال لا خير لك فيما لم يبلغنى منها ومات ابو الاسود فى خلافة عبدالله بن الزبير (سنة ٦٧) . وكان اخذ عنه النحو اناس نقلوه الى آخرين وهؤلاء الى غيرهم وزادوا فى الاصول وفرعوا وخالطوا عرب البوادى واستنبطوا علوم لغتهم من كلامهم فان لغات الحضر كان عرض لها الاختلال وانقسم القوم فى بعض المسائل الى بصريين وهم اهل البصرة وكوفيين وهم سكان الكوفة مدينتان مشهورتان بالعراق العربى تسميان المصرين فاتسع الادب فى هاتين المدينتين اتساعاً عظيماً وتدونت فيه كتب كثيرة وعنهما انتشر بين اهل العراق والاندلس والمغرب ومصر وغيرهم .

نحاة البصرة

(فمن نحاة البصرة عنبسة بن معدان) ويقال له عنبسة الفيل روى الشعر وتعلم النحو من ابى الاسود وكان ابرع اصحابه

(ومنهم ميمون الاقرن) أخذ عن ابى الاسود وعن عنبسة فرأس الناس وزاد فى الشرح

(ومنهم عبد الله بن ابى اسحق الحضرمى) اخذ عن ميمون وكان اعلم اهل البصرة وهو اول من علل النحو وقاسه وكان يردّ كثيراً على الفرزدق ويكلمه فى شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له ابن ابى اسحق ولقد لحنت ايضاً فى قولك مولى مواليا وكان ينبغى ان تقول مولى موال وتوفى بالبصرة سنة ١١٧ فى خلافة هشام ابن عبد الملك

(ومنهم ابو عمرو بن العلاء المازنى) كان فى عصر بن ابى اسحق وكان اعلم الناس بالعربية والشعر ومذاهب العرب روى انه سئل عن قوله تعالى فعززنا بثالث فقال المعنى شددنا وانشد :

أُجُدٌ اذا ضمرت تعزّز لحمها واذا يشد بنسعها لا تنبس[1]

ويروى عنه قال كنت هارباً من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه علىّ لفظ (فرجة) هل هو با لفتح او بالضم فسمعت قائلاً يقول :

ربما تجزع النفوس من الامـ ـر له فرْجة كحلّ العقال

(١) اجدى ناقة قوية وتعزز اشتد ولا تنبس لا تصوت

بفتح الفاء من فرجة ثم قال الا انه قد مات الحجاج قال ابو عمرو فما ادرى بايهما كنت اشد فرحاً بقوله (فرجة) او بقوله (مات الحجاج) وتوفى ابو عمرو سنة ١٥٤ فى خلافة المنصور

(ومنهم عيسى بن عمر الثقفى) اخذ عن ابى عمرو وكان عالماً متفيقهاً يتقعر فى الكلام ويستعمل غريب الالفاظ الف كتابين فى النحو احدهما مبسوطٌ سماه الجامع والآخر مختصر سماه المكمل وفيهما يقول الخليل :

بطل النحو الذى الفتموه غير ماالف عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر

وتوفى سنة ١٤٩ فى خلافة المنصور

(ومنهم يونس بن حبيب الضبى) اخذ عن ابى عمرو وسمع من العرب وكان من اكابر النحويين له مذاهب واقيسة تفرد بها وكان يقصد حلقاته بالبصرة طلبة العربية وفصحاء الاعراب والبادية وتوفى سنة ١٨٣ فى خلافة الرشيد

(ومنهم ابو خطاب الاخفش) اخذ عن ابى عمرو ايضاً وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها

(ومنهم الامام الخليل بن احمد) اخذ عن ابى عمرو وعيسى بن عمر ولم يكن قبله ولا بعده مثله وكان اعلم الناس واذكاهم وافضلهم قالوا لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ولا اجمع ولا كان فى العجم اذكى من ابن المقفع ولا اجمع قال ابو عمرو التوجى اجتمعنا بمكة ادباء كل افق فتذاكرنا امر العلماء حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق احد الا قال الخليل

اذكى العرب وهو مفتاح العلوم وابدع الخليل بدائع لم يسبق اليها كتأليفه اللغة فى كتاب العين واختراعه العروض توفى سنة ١٦٠

(ومنهم ثلاثة) كانوا فى عصر واحد وكانوا ائمة الناس فى النحو واللغة والشعر منهم اخذ جل ما فى ايدى الناس من هذا العلم وهم (ابو زيد وابو عبيدة والاصمعى) وكلهم اخذوا عن ابى عمرو وعيسى بن عمر وابى الخطاب الاخفش ويونس بن حبيب وعن جماعة من ثقات الاعراب وعلمائهم مثل ابى مالك عمرو بن كركرة صاحب النوادر من بنى نمير

(وابو زيد الانصارى) كان اعلم الثلاثة بالنحو اخذ عنه اكابر الناس منهم سيبويه قال كان يأتى مجلس سيبويه وله ذؤابتان فاذا قال وحدثنى من اثق بعربيته فانما يريدنى ويروى ان اعرابياً وقف على حلقة ابى زيد فظن ابو زيد انه قد جاء يسأل عن مسألة فى النحو فقال له سل يا اعرابى فقال له على البديهة :

لست للنحو جئتكم ... لا ولا فيه ارغب
انا مالى ولامرئ ... ابد الدهر يضرب
خل زيداً لشأنه ... اينما شاء يذهب
واستمع قول عاشق ... قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلة ... فهو فيها يشبب

وكبر سن ابى زيد حتى قارب المائة ومات سنة ٢١٤ فى خلافة المأمون ومن مصنفاته كتاب النوادر فى اللغة وقد طبع فى عصرنا سنة ١٣١٤

(وابو عبيدة) كان اعلمهم بايام العرب واخبارهم وانسابهم وهو اول من الف غريب الحديث واقدمه من البصرة الى بغداد الوزير الفضل بن

الربيع فلما حضر انشده فطرب منه ثم دخل ابراهيم بن اسماعيل من كتّاب الوزير وجلسائه فاجلسه بجانبه وسأله أتعرف هذا قال لا قال ابو عبيدة علامة اهل البصرة اقدمناه لنستفيد من علمه فبعد ان حياه استأذنه فى مسألة فقال هات قال قال الله تعالى (طلعها كانه رؤس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فاجابه بأن الله انما كلم العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن ذلك الفضل وابراهيم وكان هذا سبباً فى ان يضع ابو عبيدة كتاباً فى مجاز القرآن وتوفى سنة ٢٠٧

(والاصمعى) كان اتقن القوم باللغة واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر قال الاخفش ما رأينا احداً اعلم بالشعر من الاصمعى وخلف قيل له ايهما اعلم قال الاصمعى لانه كان نحوياً وكان الامام احمد بن حنبل يقول ان الاصمعى ثقة فى السنة وقال الشافعى ما رأيت بذلك المعسكر اصدق من الاصمعى توفى سنة ٢١٣ فى خلافة المأمون ورثاه ابو العتاهية بقوله :

اسفت لفقد الاصمعى لقد مضى حميداً له فى كل صالحة سهم
تقضت بشاشات المجالس بعده وودعنا اذ ودع الانس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته فلما انقضت ايامه افل النجم

(ومنهم) حماد بن سلمة وابو بشر عمرو المعروف بسيبويه والنضر بن شميل المازنى وابو محمد اليزيدى وكلهم اخذوا عن الخليل وغيره

وكان سيبويه اعلم الجميع بالنحو يروى ان سبب قراءته النحو انه جاء الى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله عليه الصلاة والسلام ليس من اصحابى احد الا ولو شئت لاخذت عليه ليس ابا الدرداء يعنى لعتبت عليه الا ابا الدرداء فقال سيبويه ليس ابو الدرداء فصاح به حماد لحنت ياسيبويه انما هذا استثناء فقال والله لأطلبن علماً لا يلحننى معه احد ثم مضى واخذ النحو عن الخليل وغيره حتى برع فيه وفاق . والف كتابه المشهور وكان يطلق عليه بالبصرة اسم (الكتاب) فقط لشهرته ومكانته وقد اطلعت على نسخة منه بالمكتبة الخديوية مطبوعة بمدينة باريس سنة ١٨٨١ بعد الميلاد[١] فرأيته ٥٧١ باباً منها فى المبدأ (١) هذا باب علم ما الكلم من العربية (٢) هذا باب مجارى اواخر الكلم من العربية (٣) هذا باب المسند والمسند اليه (٤) هذا باب اللفظ للمعانى (٥) هذا باب ما يكون فى اللفظ من الاعراض ومنها فى الآخر (٥٦٧) هذا باب الادغام فى الحروف المتقاربة (٥٦٨) هذا باب الادغام فى حروف طرف اللسان والثنايا (٥٦٩) هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى لا يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه (٥٧٠) هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً فى بعض اللغات (٥٧١) هذا باب ما كان شاذاً مما خففوا على ألسنتهم وليس ذلك بمطرد

(وليتعرف المطلع) لسان المتقدمين فى تآليفهم وسيرهم فيها ذكرت هنا بعض تراجم هذه الابواب واذكر نص باب من اصاغرها وهو «هذا باب اللفظ للمعانى» اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

---

(١) وقد طبع الآن سنة ١٣١٨ بمطبعة بولاق الاميرية

واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين وسنرى ذلك ان شاء الله تعالى فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو جلس وذهب واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو وجدت عليه من الموجدة ووجدت اذا اردت وجدان الضالة واشباه هذا كثير » وتوفى سنة ١٨٠

ويحكى ان النضر بن شميل كان بمجلس المأمون فسأله عن الفرق بين السداد بالفتح والسداد بالكسر فقال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً قال له او تعرف العرب ذلك فاجاب نعم وانشد قول العرجى :

اضاعونى واى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

ويحكى ان النضر لما مرض عاده رجل يكنى ابا صالح فقال له مسح الله ما بك فقال لا تقل (مسح) بل قل (مصح) اى اذهبه الله وفرقه أما سمعت قول الشاعر :

واذا الخمرة فيها ازبدت افل الازباد فيها ومصح

فقال ابو صالح ان السين تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له انت اذاً ابو سالح وتوفى النضر سنة ٢٠٣

وكان ابو محمد اليزيدى يصحب يزيد بن منصور خال المهدى يؤدب ولده فنسب اليه ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون ويروى ان المأمون سأله يوماً عن شىء فقال لا وجعلنى الله فداءك فاستحسن منه زيادة الواو فى هذا الموضع ووصله بعطية سنية والف اليزيدى كتاب النوادر فى اللغة وكتاب المقصور والممدود ومختصراً فى النحو وكتاب النقط

والشكل وتوفى سنة ٢٠٢

(ومنهم قطرب ومحمد بن سلام) والاول اخذ عن يونس بن حبيب وفى الطبقات انه اخذ النحو عن سيبويه وهو الذي سماه قطرباً لانه كان يراه بالاسحار على بابه فيقول له انما انت قطرب ليل والقطرب دُويبَّة تدب ولا تفتر واسمه محمد بن المستنير وله من التصانيف كتاب معانى القرآن وكتاب غريب الحديث وكتاب الصفات وكتاب الاصوات وكتاب الاشتقاق وكتاب النوادر وكتاب الاضداد وكتاب خلق الانسان وكتاب فعل وافعل وكتاب القوافى وكتاب الازمنة وكتاب المثلث وكتاب العلل فى النحو وتوفى سنة ٢٠٦ فى خلافة المأمون

واما محمد بن سلام فاخذ عن يونس وغيره وفى الطبقات انه اخذ عن حماد بن سلمة وانه الف كتاباً فى طبقات الشعراء وروى عنه الامام احمد بن حنبل وابو العباس ثعلب وتوفى سنة ٢٣٢

(ومنهم ابو الحسن سعيد الاخفش) وكان اعلم من اخذ عن سيبويه وكان اكبر منه وهو الذى زاد فى العروض بحر الخبب كما سبق وفى الطبقات ان مروان بن سعيد المهلبى سأل الاخفش عن قوله تعالى « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان » ما الفائدة من هذا الخبر فقال افاد العدد المجرد من الصفة واراد مروان بسؤاله ان الالف فى كانتا تفيد التثنية فلم فسر ضمير المثنى بالاثنتين مع انه لا يجوز ان يقال فان كانتا ثلاثاً او خمساً واراد الاخفش انه كان يجوز ان يقال فان كانتا صغيرتين فلهما كذا وان كانتا كبيرتين فلهما كذا ونحو ذلك فلما قال فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان افاد الخبر ان فرض الثلثين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط فقد حصل من الخبر

فائدة لم يحصل من ضمير المثنى اهـ . وله كتاب الاوسط وكتاب المقاييس فى النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب معانى الشعر وكتاب الملوك وكتاب الاصوات وغير ذلك وتوفى سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢١

(ومنهم ابو عمرو صالح الجرمي) كان فقيهاً عالماً بالنحو واللغة واخذ النحو عن الاخفش وغيره واللغة عن ابى عبيدة وابى زيد والاصمعى . قدم من البصرة الى بغداد وناظر الفراء قال المبرد كان الجرمى اثبت القوم فى كتاب سيبويه وعليه قرأت الجماعة وله كتاب فى السير عجيب وكتاب الابنية وكتاب العروض ومختصر فى النحو وكتاب غريب سيبويه توفى سنة ٢٢٥

(ومنهم ابو عثمان بكر المازنى) كان امام عصره فى النحو والادب اخذ عن ابى عبيدة والاصمعى وابى زيد واخذ عنه ابو العباس المبرد وروى عنه المبرد ان بعض اهل الذمة قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع قال فقلت له جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك فقال له ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا آية من كتاب الله ولست ارى ان امكن منها ذمياً قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجى :

اظلومُ إن مصابكم رجلا اهدى السلام تحيةً ظلم

فاختلف من كان بالحضرة فى اعراب (رجلا) فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه فلما حضر مجلسه سأله عن ذلك فقال انه منصوب على انه مفعول لمصابكم فانه مصدر بمعنى

اصابتكم فعارضه اليزيدى فقال له انه بمنزلة ان ضربك زيداً ظلم والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول (ظلم) فيتم فاستحسنه الواثق وامر له بالف دينار قال فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا ابا العباس رددنا لله مائة فعوضنا الفاً وتوفى المازنى سنة ٢٤٦ بالبصرة

(ومنهم ابو عثمان عمرو الجاحظ) كان عالماً اديباً متفنناً لكنه كان مشوّه الصورة ومن اخباره انه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض اولاده فلما رآنى استبشع منظرى فامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وروى انه كان يأكل مع ابن الزيات فجاؤا بفالوذجة فاسرع الجاحظ فى الاكل حتى خلا ما بين يديه فقال له ابن الزيات تقشعت سماؤك قبل سماء الناس فقال الجاحظ لان غيمها كان رقيقاً ومن احسن تصانيفه كتاب الحيوان والبيان والتبيين وقد طبع هذا سنة ١٣١٣ فى مصر قال ابو القاسم السيرافى حضرنا مجلس الاستاذ ابن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وازرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت سكت ايها الوزير عن هذا الرجل فى قوله مع عادتك فى الرد على امثاله فقال لم اجد فى مقابلته ابلغ من تركه على جهله ولو وافقته وبينت له لنظر فى كتبه وصار بذلك انساناً يا ابا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً ولم استصلحه لذلك وكان الجاحظ من ائمة المعتزلة وكان ابن ابى داود يقول انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه وروى المبرد قال دخلت على الجاحظ فى آخر ايامه وهو عليل فقلت له كيف انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير لما احس به ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه وقد جزت التسعين وانشد :

اترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب خليق كالجديد من الثياب

وتوفى سنة ٢٥٥ بالبصرة

(ومنهم ابو العباس المبرد) نزيل بغداد كان اماماً فى النحو واللغة اخذ عن المازنى وغيره واخذ عنه نفطويه وغيره وكان حسن المحاضرة مليح الاخبار كثير النوادر وكان هو وابو العباس ثعلب الكوفى عالمين متناظرين قد ختم بهما تاريخ الادباء ويروى ان المبرد قال حين بلغه ان ثعلباً تكلم فيه بما لا ينبغى :

رب من يعنيه حالى وهو لا يجرى ببالى
قلبه ملآن منى ونؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلباً ذلك انتهى عن الكلام فى المبرد وللمبرد تآليف فى الادب منها كتاب الكامل وقد طبع طبعاً حسناً فى مصر بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ بعد الهجرة ولما توفى سنة ٢٨٥ فى خلافة المعتضد نظم فيه وفى ثعلب ابن العلاف

ذهب المبرد وانقضت ايامه وليذهبنْ اثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب اضحى نصفه خرباً وباقى النصف منه سيخرب
فابكوا لماسلب الزمان ووطنوا للدهر انفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرد عن قريب يشرب
وارى لكم ان تكتبوا انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

(ومنهم ابو بكر محمد المعروف بابن دريد) ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ ونشأ بها وأخذ عن علمائها ثم انتقل الى عمان وسكن بها ثم عاد الى البصرة

ثم خرج الى فارس وانتقل الى بغداد واقام بها الى حين وفاته سنة ٣٢١ فعمره يقرب من المائة وكان امام عصره فى اللغة والادب والشعر قال المسعودى فى مروج الذهب وكان ابن دريد فى بغداد ممن برع فى زماننا فى الشعر واللغة وقام مقام الخليل واورد اشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين وكان يذهب بالشعر كل مذهب فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة التى مدح بها الشاه بن ميكال وولديه واولها :

امَا ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيضّ فى مسودّه مثل اشتعال النار فى جمر الغضا

وله من المؤلفات المشهورة كتاب الجمهرة فى اللغة وقد تقدم الكلام عليه وله كتاب الاشتقاق وكتاب السرج واللجام وكتاب زوار العرب وكتاب اللغات وكتاب السلاح وغير ذلك

نحاة الكوفة وأدباؤها

(من نحاة الكوفة وادبائها معاذ بن مسلم الهراء) استاذ الكسائى وهو اول من وضع التصريف ولكن لم يظهر له مصنف وكان صديق الكميت الشاعر وقد عاش زمناً طويلاً يتجاوز المائة فانه على الصحيح ولد فى ايام عبد الملك المتوفى سنة ٨٦ وتوفى سنة نكبة البرامكة اى سنة ١٨٧ وفى هذا قال سهل الشاعر قصيدة منها :

ان معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره امد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر واثواب عمره جُدُد
قل لمعاذ اذا مررت به قد ضج من طول عمرك الامد

(ومنهم ابو جعفر محمد الرؤاسى) وهو ابن اخى معاذ الهراء وهو اول من وضع من الكوفيين كتاباً فى النحو سماه الفيصل واخذ عنه الكسائى ايضاً

(ومنهم ابو الحسن على بن حمزة الكسائى) وهو عالم اهل الكوفة كان اماماً فى النحو واللغة والقرآت والسبب فى تعلمه النحو انه قال مرة (عييت) بعد ان مشى طويلاً فرد عليه بان الصواب ان تقول (اعييت) من التعب و (عييت) من الحيرة فى الامر فانف من ذلك واخذ يتعلم على معاذ بن مسلم الهراء ثم ذهب الى البصرة واخذ عن الخليل ثم ذهب الى البوادى وسمع من العرب ثم عاد الى بغداد وجاء سيبويه من البصرة الى بغداد وكان الكسائى يعلم الامين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا وزعم الكسائى ان العرب تقول كنت اظن الزنبور اشد لسعاً من النحلة فاذا هو اياها فقال سيبويه ليس المثل كذا بل فاذا هو هى وتجادلا طويلا واتفقا على مراجعة عربى خالص لا يشوب كلامه شىء من كلام اهل الحضر فاحضروا عربياً فوافق الكسائى بايعاذ من الامين مع ان الحق مع سيبويه وتوفى الكسائى سنة ١٨٩

(ومنهم ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء) كان ابرع الكوفيين واعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب اخذ عن الكسائى وورد بغداد فى خلافة المأمون وعلم ولديه وامره ان يؤلف كتاباً يجمع فيه اصول النحو وما سمع من العربية فصنف كتاب الحدود فى سنتين قال ابن الانبارى لو لم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائى والفراء لكان لهم الافتخار اذ انتهت العلوم اليهما وتوفى الفراء سنة ٢٠٧ فى خلافة المأمون

(ومنهم ابو عبدالله محمد المعروف بابن الاعرابى) كان صاحب لغة اخذ الادب عن الكسائى وغيره واخذ عنه ابو العباس ثعلب وابن السكيت وكان يناقش العلماء ويستدرك عليهم ويخطىء كثيراً من نقلة اللغة وكان يزعم ان ابا عبيدة والاصمعى لا يحسنان شيئاً وكان يقول جائز فى كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هـذه فى موضع تلك وينشد :

الى الله اشكو من خليل اوده ثلاث خلال كلها لى غائض

بالضاد ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب وكان يحضر مجلسه كثير من المستفيدين وله مصنفات كثيرة منها كتاب النوادر وكتاب الانواء وكتاب تاريخ القبائل وكتاب معانى الشعر وكتاب تفسير الامثال وكتاب الالفاظ ولد فى السنة التى توفى فيها الامام ابو حنيفة اى سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١

(ومنهم ابو طالب المفضل بن سلمة الضبى) كان فاضلاً فى الادب اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واستدرك على الخليل فى كتاب العين وصنف فى ذلك كتاباً ومن تصانيفه كتاب التاريخ فى علم اللغة وكتاب المفاخر وكتاب العود والملاهى وكتاب جلاء الشُبه وكتاب الطيف وكتاب الاشتقاق وكتاب المقصور والممدود وكتاب المدخل فى علم النحو وروى عنه ابو بكر الصولى وزعم انه سمع منه سنة ٢٩٠ (انتهى من ابن خلكان فى ترجمة ابى الطيب محمد بن المفضل) والمفضل الضبى هـذا غير (ابى عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبى) الذى جمع للمهدى اشعاراً اختارها سماها بالمفضليات وتزيد وتنقص واصحها التى رواها عنه ابن الاعرابى فابن

الاعرابى متوسط بين المفضلين ناقل الادب من هذا الى ذاك

(ومنهم ابو العباس ثعلب) كان امام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه اخذ عن ابن الاعرابى وغيره واخذ عنه ابو الحسن على الاخفش وابن عرفة وابن الانبارى وغيرهم وكان المبرد يقول اعلم الكوفيين ثعلب حكى ثعلب عن العرب راكب الناقة طليحان اى راكب الناقة والناقة طليحان الا انه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة ومن تصانيفه كتاب الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة وقد طبع فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٥ وتوفى ثعلب ببغداد سنة ٢٩١

من اشتهر بالادب فى بغداد

وكان كثير من علماء المصرين ينتقلون الى بغداد ويسكنونها كما علمت وممن اشتهر بالادب فى بغداد غير من سلفوا (يعقوب بن السكيت) كان يؤدب اولاد الخليفة المتوكل وكتبه جيدة صحيحة منها اصلاح المنطق ويوجد بالمكتبة الخديوية وكتاب الالفاظ وقد طبع فى سنة ١٣١٤ وكتاب فى معانى الشعر وكتاب القلب والابدال قال ابو الحسن الطوسى كنا فى مجلس ابى الحسن على اللحيانى وكان عازماً على ان يملى نوادره فقال تقول العرب مثقل استعان بذقنه فقال له ابن السكيت وهو حدث انما هو مثقل استعان بدفيه يريدون الجمل اذا نهض استعان بجنبيه فقطع الاملاء فلما كان المجلس الثانى املى فقال تقول العرب هو جارى مكاشرى فقال له ابن السكيت وما معنى مكاشرى انما هو مكاسرى كسر بيتى الى كسر بيته فما املى اللحيانى بعد ذلك ومات ابن السكيت ببغداد سنة ٢٤٤

(وابو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى المعروف بابن قتيبة) ولد سنة ٢١٣ ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضياً فنسب اليها ثم سكن بغداد وكان فاضلاً ثقة فى النحو واللغة والشعر متفنناً فى العلوم وله من التصانيف كتاب ادب الكاتب وكتاب المعارف وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك واقرأ كتبه ببغداد ويقال انه الف كتاب ادب الكاتب لابى الحسن وزير المعتمد وقد طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ بمطبعة الوطن وقد شرحه البطليوسى وتوفى ابن قتيبة سنة ٢٧٦

(وابو اسحق الزجاج) كان عالماً ماهراً فى الادب اخذ عن المبرد وثعلب واخذ عنه ابو على الفارسى ومن مصنفاته كتاب الامالى وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض وكتاب القوافى وكتاب مختصر فى النحو وكتاب فعلت وافعلت وكتاب ما ينصرف ومالا ينصرف وكتاب شرح ابيات سيبويه وكتاب النوادر وتوفى سنة ٣١٦ ببغداد

(وابو بكر محمد بن السراج) كان اماماً جليلاً فى النحو والادب اخذ عن المبرد وغيره واخذ عنه ابو سعيد السيرافى ونقل عنه الجوهرى فى صحاحه ومن مصنفاته المشهورة كتاب الاصول فى علم العربية وكتاب جمل الاصول وكتاب الاشتقاق وشرح كتاب سيبويه وكتاب الشعر والشعراء وتوفى سنة ٣١٦

(وابو عبد الله ابراهيم نفطويه النحوى) ولد بواسط وسكن بغداد وتوفى بها سنة ٣٢٣ وكان يتبع طريقة سيبويه ويدرس كتابه

(وابو بكر محمد بن الانبارى) اخذ عن ثعلب وكان علامة وقته فى الادب وله مصنفات كثيرة منها كتاب الكافى فى النحو وكتاب

الاضداد وكتاب الجاهليات وكتاب المذكر والمؤنث وشرح المفضليات والسبع الطوال وتوفى سنة ٣٢٧

(وابو القاسم عبدالرحمن الزجاجى) نشأ ببغداد واخذ النحو عن ابى بكر بن الانبارى وغيره وصحب ابا اسحق الزجاج فنسب اليه وصنف كتابه المشهور بالجمل وانتفع به ناس كثيرون وانتقل الى دمشق وسكنها وتوفى بها سنة ٣٣٧

(وابو محمد عبد الله بن درستويه) اخذ الادب عن المبرد وابن قتيبة وغيرهما ببغداد واخذ عنه جماعة من الافاضل كالدارقطنى وله مصنفات كثيرة منها كتاب المقصور والممدود وكتاب معانى الشعر وكتاب الارشاد فى النحو وكتاب الهجاء وكتاب اخبار النحويين وتوفى ببغداد سنة ٣٤٧ فى خلافة المطيع

(وابو حسن الفارسى) ولد بمدينة فسا ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٧ واخذ عن الزجاج وغيره حتى برع فى النحو ثم اقام بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان وكان بينه وبين المتنبى مجالس ثم انتقل الى فارس وصحب عضد الدولة بن بويه وقد علت منزلته عنده حتى قال انا غلام ابى على الفسوى فى النحو وصنف له كتاب الايضاح والتكملة فى النحو وله تصانيف كثيرة غير ذلك وتوفى سنة ٣٧٧ ببغداد

(وابو سعيد الحسن السيرافى) تولى قضاء بغداد وكان من اعلم الناس بنحو البصريين شرح كتاب سيبويه وله كتاب القات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين وكتاب صنعة الشعر والبلاغة وشرح مقصورة ابن دريد واخذ اللغة عنه والنحو عن ابى بكر بن السراج وكان بينه وبين

ابى الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الاغانى تنافس فقال فيه هذا :

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البكىّ بشاف

لعن الله كل نحو وشعر وعروض يجىء من سيراف

وتوفى السيرافى سنة ٣٦٠ ببغداد

واشتهر من الموصل (ابو الفتح عثمان بن جنى) اخذ الادب عن ابى على الفارسى وكان اماماً فى العربية وله مصنفات كثيرة منها كتاب الخصائص وسر الصناعة والتلقين فى النحو وشرح ديوان المتنبى وكان قد قرأه على صاحبه قال ابن خلكان ورأيت فى شرحه قال سأل شخص ابا الطيب المتنبى عن قوله :

باد هواك صبرت ام لم تصبرا

فقال كيف اثبت الالف فى تصبرا مع وجود لم الجازمة وكان الواجب ان تقول لم تصبر فقال المتنبى لو كان ابو الفتح هنا لاجابك بعنينى وهذه الالف هى بدل من نون التوكيد الخفيفة كان فى الاصل لم تصبرن ونون التوكيد الخفيفة اذا وقف الانسان عليها ابدل منها الفاً قال الاعشى : ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وكان الاصل فاعبدن فلما وقف اتى بالالف بدلاً من النون وتوفى ابن جنى ببغداد سنة ٣٩٢

وكان فى عصر ابن جنى (على بن عيسى الربعى) اخذ فى بغداد عن ابى سعيد السيرافى ثم خرج الى شيراز واخذ عن ابى على الفارسى ثم عاد الى بغداد وشرح كتاب الايضاح لابى على وكتاب الجرمى وصنف كتاب البديع فى النحو وتوفى سنة ٤٢٠ فى بغداد

واشتهر فى هذا العصر بالاندلس (ابو الحجاج يوسف المعروف بالاعلم) من اهل شنتمرية الغرب رحل الى قرطبة سنة ٤٣٣ واقام بها مدة واخذ عن علمائها وشرح الجمل فى النحو لابى القاسم الزجاجى وشرح كتاب ابيات الجمل فى كتاب مفرد وتوفى سنة ٤٧٦ بمدينة اشبيلية من جزيرة الاندلس

واشتهر من المعرّة (ابو العلاء احمد المعرّى) كان اماماً واسع الادب متفنناً قرأ النحو واللغة على ابيه بالمعرّة ثم على محمد بن عبدالله النحوى بحلب وقرأ عليه ابو القاسم على التنوخى والخطيب التبريزى وتصانيفه مشهورة منها ديوان سقط الزند وشرحه ضوء السقط وكتاب اللامع فى شرح شعر المتنبى ولهذا كان يقول وهو اعمى كأن المتنبى ينظر الىّ بلحظ الغيب حيث يقول :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى واسمعتْ كلماتى من به صممُ

وديوان لزوم ما لا يلزم ومنه :

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حد مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا اعزل

واختصر ديوان ابى تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحترى وسماه عبث الوليد وديوان المتنبى وسماه معجز احمد ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم كى لا يذبح الحيوان فيؤلمه والآن توجد طائفة باوربا ترى رأى ابى العلاء وتقتصر على اكل النبات ودخل بغداد سنة ٤٩٨ ثم عاد الى المعرّة وتوفى بها سنة ٤٩٩ واوصى بان يكتب على قبره :

هذا جناه ابى علىّ وما جنيت على احد

واشتهر من تبريز (يحيى الخطيب التبريزى) واخذ عن ابى العلاء وأبى محمد الدهان ودرس الادب بالمدرسة النظامية ببغداد وله شعر حسن ومن تصانيفه كتاب اعراب القرآن وكتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى وشرح اللمع لابن جنى وشرح الحماسة وديوان المتنبى والمعلقات والمفضليات والمقصورة لابن دريد وسقط الزند واخذ عنه ابو منصور موهوب الجواليقى وتوفى سنة ٥٠٢ ببغداد

وكان فى هذا العصر (ابو محمد القاسم الحريرى البصرى) وكان اديباً فاضلاً نحوياً منشئاً ومن مصنفاته درة الغوّاص فى اوهام الخواص وملحة الاعراب وشرحها والمقامات المشهورة وجاء بها الى بغداد وادعاها فلم يصدقه ادباؤها وهذه المصنفات مطبوعة ومشهورة وكان يقول نقلاً عن شيخه اذا قلت ماسود زيداً وما اسمر عمراً وما اصفر هذا الطائر وما ابيض هذه الحمامة وما احمر هذه الفرس فسدت كل مسألة منها من وجه وصحت من وجه فيفسد جميعها اذا اردت التعجب من الالوان وتصح جميعها اذا اردت التعجب من سُوَدَ زيد وسمر عمرو وهو الحديث بالليل خاصة ومن صفير الطائر وكثرة بيض الحمامة ومن حَمَر الفرس وهو ان ينتن فوها ومن شعره :

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد فى انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو العمى ولاغرو ان يحذو الفتى حذو والده

وتوفى سنة ٥١٦ ببنى حرام من البصرة

واشتهر من نيسابور (ابو الفضل احمد الميدانى) صاحب كتاب الامثال المشهورة وكتاب نزهة الطرف فى علم الصرف وهما مطبوعان وله

مؤلفات حسنة غير ذلك وكان ينشد كثيراً :

تنفس صبح الشيب فى ليل عارضى فقلت عساه يكتفى بعذارى
فلما فشا عاتبته فاجابنى أيا هل ترى صبحاً بغير نهار

وتوفى سنة ٥١٨ بنيسابور

واشتهر من هراة احدى مدن خراسان (ابو سعد آدم بن اسد) وكان اديباً فاضلاً ورد بغداد حاجاً سنة ٥٢٠ وقرئ عليه الحديث والادب وجرى بينه وبين ابى منصور الجواليقى ببغداد نوع منافرة فى شىء اختلفا فيه فقال الهروى للجواليقى انت لا تحسن ان تنسب نفسك فان الجواليقى نسبة الى الجمع والنسبة الى الجمع بلفظه لا تصح وفى طبقات الانبارى ان هذا مغالطة فان لفظ الجمع اذا سمى به جاز ان ينسب اليه كمدائنى وانمارى وتوفى سنة ٥٣٦

واشتهر من زمخشر احدى قرى خوارزم (ابو القاسم محمود الزمخشرى) وكان امام عصره فى الادب وله تصانيف جليلة تدل على علو منزلته وان لا يدرك شأوه منها الكشاف فى تفسير القرآن الكريم والفائق فى تفسير الحديث واساس البلاغة فى اللغة والمفصل والانموذج فى النحو والمستقصى فى امثال العرب والقسطاس فى العروض وديوان الرسائل وديوان الشعر وكتاب اسماء الاودية والجبال وغير ذلك وقدم بغداد للحج وجاور بمكة زماناً فلذا يقال له جار الله وتوفى سنة ٥٣٨ بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة

ومن مفاخر بغداد فى هذا العصر (ابو منصور موهوب الجواليقى وهبة الله بن الشجرى وابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان) فالاول كان

اماماً فى فنون الادب اخذ عن الخطيب التبريزى وصنف للامام المقتفى كتاباً لطيفاً فى العروض والف شرح ادب الكاتب والمعرّب وتتمة درة الغواص للحريرى وسماها التكملة فيما يلحن فيه العامة وكان فى اللغة امثل منه فى النحو وتوفى سنة ٥٣٩ ببغداد . والثانى كان اماماً فى النحو واللغة واشعار العرب وايامها وله كتاب الامالى فى فنون الادب وكتاب سماه الحماسة ضاهى به حماسة ابى تمام وتصانيف فى النحو حكى عن المبرد فى بناء حذام انه اجتمع فيه ثلاث علل التعريف والتأنيث والعدل فبعلتين يجب منع الصرف وبالثالثة يجب البناء وتقابل ابن الشجرى والزمخشرى ببغداد وتوفى سنة ٥٤٢ ببغداد . والثالث كان سيبويه عصره ومن تصانيفه المفيدة فى الادب شرح الايضاح والتكملة وشرح اللمع لابن جنى وسماه الغرة وكتاب العروض وكتاب الدروس فى النحو وكتاب الرسالة السعيدية فى المآخذ الكندية يشتمل على سرقات المتنبى والعقود فى المقصور والممدود والغنية فى الاضداد وانتقل من بغداد الى الموصل وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد فسيّر من يحضرها اليه فوجدها قد غرقت ولما حملت اليه على تلك الصورة بخرها باللاذن لتظهر كتابتها فعمى من ذلك واخذ عنه خلق كثير بالموصل وتوفى سنة ٥٦٩

واشتهر من الانبار وهى قرية قديمة على الفرات على عشرة فراسخ من بغداد (عبد الرحمن بن محمد الانبارى) سكن بغداد واخذ عن الجواليقى وابن الشجرى وتفقه بالمدرسة النظامية وتصدر لاقراء النحو بها وتبحر فى علم الادب واخذ عنه علماء كثيرون وله فى النحو كتاب اسرار العربية وكتاب الميزان وكتاب طبقات الادباء وقد اقتطفت منه ومن ابن

خلكان ما انا بصدده الآن ولم يزل مشتغلاً بالعلم حتى مات سنة ٥٧٧ ببغداد

واشتهر بالاندلس ايضاً (ابو الحسن علي المعروف بابن خروف الاشبيلي) تخرج على ابن طاهر النحوي الاندلسي وشرح كتاب سيبويه وكتاب الجمل لابي القاسم الزجاجي وتوفي سنة ٦١٠ باشبيلية

واشتهر من حلب (ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المعروف بابن الصائغ) كان عالماً ماهراً في النحو والصرف واجتمع في دمشق بالشيخ ابي اليمن زيد الكندي وسأله عن مواضع مشكلة في العربية وعن اعراب قول الحريري في المقامة العاشرة « حتى اذا لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان » فاستبهم الجواب على الكندي هل الافق وذنب مرفوعان او منصوبان او احدهما مرفوع والآخر منصوب قالوا ويجوز في ذلك اربعة اوجه والمختار منها نصب الافق ورفع ذنب قال ابن خلكان ولما وصلت حلب سنة ٦٢٦ للاشتغال بالعلم وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان ابن الصائغ شيخ الجماعة في الادب قرأت عليه وابتدأت بقراءة اللمع لابن جني عليه وكان حسن التفهيم لطيف الكلام خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار وشرح كتاب المفصل للزمخشري وتصريف الملوكي لابن جني وتوفي بحلب سنة ٦٤٣

واشتهر بالقاهرة (ابو عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب) تخرج بها وبرع في علوم العربية وغيرها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها قال ابن خلكان وقد سألته عن مواضع في العربية مشكلة فاجاب ابلغ اجابة ومن جملة ذلك ان سألته في بيت المتنبي :

لقد تصبرت حتى لات مصطبري ... فالآن أقحم حتى لات مقتحمِ

عن السبب فى خفض مصطبرٍ ومقتحم ولات ليست من ادوات الجر فاطال الكلام واحسن الجواب اه . ولم يذكر ابن خلكان صورة اجابة ابن الحاجب عن ذلك خوف الاطالة واقول يجوز فى هذا ان يكون الجر بحتى ولات كلا ليست حاجزاً كما جروا بالباء فى قولهم جئت بلا زاد على رأى ونصبوا المضارع بان فى نحو (لئلا يعلم) وفى شرح المتنبى للعكبرى فى هذا الموضع التاء في لات زائدة وقد تزاد فى الحروف كثم وثمت ورب وربت والجر به شاذ وقد جر به العرب وانشدوا :

طلبوا صلحنا ولات اوانٍ فاجبنا ان لات حين بقاء «اه»

ثم عاد ابن الحاجب الى القاهرة واخذ عنه خلق كثير ومن مصنفاته الكافية فى النحو والشافية فى الصرف وتوفى سنة ٦٤٦

وعلى الكافية شروح كثيرة من اشهرها شرح رضى الدين محمد ابن الحسن الاستربادى المتوفى حوالى سنة ٦٩٠

وهذا الشرح جليل الاعتبار كثير الفوائد فيه اشياء لا توجد فى غيره وشواهد هذا الشرح اخذها عبد القادر البغدادى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٣ بنى عليها خزانته المشهورة المسماة خزانة الادب ولب لباب لسان العرب وهى واسعة الارجاء مملوءة بجواهر الادب قل ان يوجد كتاب فى بابها يحاكيها فهى ضالة الاديب وقد طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ فى اربعة اسفار ضخمة

واشتهر بدمشق (محمد بن عبد الله بن مالك) نشأ بمدينة جيان من الاندلس ثم انتقل الى دمشق واقام بها وكان بحراً لا يشق عبابه فى العلوم خصوصاً فى النحو وتصدر بحلب لاقراء العربية وكان يجتمع به قاضى

القضاة ابن خلكان ويحترمه لعلمه ومن تصانيفه منظومة الكافية الشافية في النحو وهي ثلاثة آلاف بيت وشرحوا ثم لخصها في ارجوزة سماها الخلاصة وهي الف بيت ولذا تعرف بالالفية ونثر هذه في كتاب سماه الفوائد النحوية والمقاصد المحوية ولتسهيل هذا الكتاب وتكميله صنف كتاباً سماه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد واشتهر كتاب التسهيل دون كتاب الفوائد ومن تصانيفه ايضاً الاعلام بمثلث الكلام وعمدة اللافظ وعمدة الحافظ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢

هذا وقد اقبل الناس اقبالاً زائداً على الالفية يحفظونها ويتعرفون احكامها ولذا اكثر العلماء من شروحها فمن شرحها محمد بن ناظمها المتوفى سنة ٦٨٦ بدمشق وعبدالله بن عبدالرحمن المشهور بابن عقيل المتوفى بالقاهرة سنة ٦٩٨ وحسن بن قاسم المصري المتوفى سنة ٧٤٩ وقد شرح التسهيل ايضاً وابو زيد عبد الرحمن المكودي المتوفى سنة ٨٠١ وابو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وبدر الدين على الاشمونى المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ وهذا الشرح يسمى منهج السالك الى الفية ابن مالك ويدرس بالازهر بعد شرح ابن عقيل لانه اوسع منه واصعب ودونوا على هذه الشروح حواشى فمن ذلك حاشية احمد بن قاسم العبادى المتوفى سنة ٩٩٢ على شرح بن الناظم وحاشية الشيخ احمد السجاعى المتوفى سنة ١١٩٧ بمصر على شرح ابن عقيل وحاشية الشيخ محمد الخضرى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٨٨ على هذا الشرح وهى اوسع وانفع من حاشية السجاعى وكلاهما يقرأ بالازهر وحاشية الشيخ محمد الحفنى المصري المتوفى سنة ١١٠١ بمصر على شرح الاشمونى وحاشية الشيخ محمد الصبان المصري المتوفى

سنة ١٢١٦ على هذا الشرح ايضاً ويقرأها المنتهون بالازهر

ومن اشبيليه (على بن محمد الكتامي ابو الحسن المعروف بابن الضائع) كان اماماً فى العربية لا يجارى لازم الشلوبين وفاق اصحابه باسرهم املى على ايضاح الفارسى ورد اعتراضات ابن الطراوه على الفارسى واعتراضات على سيبويه واعتراضات البطليوسى على الزجاجى ورد على ابن عصفور معظم اختياراته وله شرح الجمل وشرح كتاب سيبويه جمع فيه بين شرحى السيرافى وابن خروف وله فى مشكلاته عجائب توفى سنة ٦٨٠

وكان من اهل فاس (ابو عبدالله محمد بن محمد بن داود المعروف بابن آجرّوم الصنهاجى) نسبة الى صنهاجة وهى قبيلة بالمغرب المتوفى سنة ٧٢٣ ولا يؤثر عنه الا متن الاجرومية وعليها شروح كثيرة . منها شرح الشيخ خالد الازهرى المتوفى سنة ٩٠٥ وعليه حاشية للسيد محمد ابى النجا من نحاة القرن الثالث عشر . ومنها شرح الشيخ حسن الكفراوى (نسبة الى كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى) الازهرى المتوفى سنة ١٢٠٢ بالقاهرة وعليه حاشية للشيخ اسماعيل الحامدى شيخ رواق الصعائده بالازهر الآن (سنة ١٣١٤) وهذا الشرح اول كتاب يقرأه طالب النحو بالازهر ويقرأ بعده شرح الشيخ خالد السابق ويقرأ بعدهما الازهرية وشرحها للشيخ خالد المذكور وعلى الازهرية حاشية للشيخ محمد الامير المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ حسن العطار المصرى المتوفى سنة ١٢٥٠

واشتهر من الاندلس (ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسى الغرناطى) نزيل مصر كان امام عصره فى فنون الادب اخذ عن ابن الضائع وغيره واخذ عنه كثير من الائمة كتقى الدين السبكى وابن قاسم وابن عقيل

والسمين وكان يقرئ الناس كتاب سيبويه ومصنفات ابن مالك ويرغبهم فيها ويشرح لهم غامضها ومصنفاته فى العربية كثيرة منها التذييل والتكميل فى شرح التسهيل وهو مطول واختصره فى كتاب سماه ارتشاف الضرب من لسان العرب قال الصفدى لم اره قط الا يسمع او يشتغل او يكتب او ينظر فى كتاب وكان ثبتاً فيما عارفاً باللغة واما النحو والصرف فهو الامام المطلق فيهما وخدم العلم اكثر عمره حتى صار لا يدركه احد فى اقطار الارض وله اليد الطولى فى التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة ومن شعره :

عداى لهم فضل علىّ ومنة فلا اذهب الرحمن عنى الاعاديا
هم بحثوا عن ذاتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ومنه

سبق الدمع بالمسير المطايا اذ نوى من احب عنى نقله
واجاد السطور فى صفحة الخدّ ولم لا يجيد وهو ابن مقله

ومات بالقاهرة سنة ٧٤٥

واشتهر من مصر (عبد الله بن هشام الانصارى) خاتمة النحاة ذوى الآراء والمذاهب كان اماماً لا يبارى ومصنفاته فى النحو تشهد له برفعة المكانة ورسوخ القدم وللناس اقبال عليها فمنها قطر الندى وبلّ الصدى وشرحه وشذور الذهب فى معرفة كلام العرب وشرحه ويقرأ القطر والشذور بالازهر قبل شرح ابن عقيل على الالفية وبعد الازهرية ومنها مغنى اللبيب ورتبه على ثمانية ابواب الاول فى تفسير المفردات وفيه يذكر حروف المعانى وما اشبهها والثانى فى تفسير الجملة وذكر اقسامها

واحكامها والثالث فى ذكر احكام ما يشبه الجملة وهو الظرف والجار والمجرور وذكر حكمهما فى التعلق والرابع فى ذكر احكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها والخامس فى ذكر الجهات التى يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها والسادس فى التحذير من امور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها والسابع فى كيفية الاعراب والثامن فى ذكر امور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية وهى احدى عشر قاعدة ويندرج تحت كل باب مواد كثيرة تعرف من الاطلاع على فهرس الكتاب وله ايضاً كتاب اوضح المسالك الى الفية ابن مالك وقد نثرها فيه ويعرف بالتوضيح قال الامير فى حاشيته على المغنى هذا ولد ابن هشام بالقاهرة سنة ٧٠٨ ولم يأخذ عن ابى حيان غير انه سمع منه ديوان زهير بن ابى سلمى ومن شعره :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس فى طلب العلا يسيراً يعش دهراً طويلاً اخا ذل

وتوفى سنة ٧٦١ ورثاه ابن نباته المصرى شاعر الملك المؤيد صاحب مصر وحماه بقوله :

سقى ابن هشام فى الثرى نوء رحمة يجر على مثواه ذيل غمام
سأروى له من سائر المدح سيرةً فما زلت اروى سيرة بن هشام

تورية بعبد الملك بن هشام صاحب السيرة اه

وقد اعتنى العلماء بمصنفات ابن هشام فشرحوها وكتبوا عليها الحواشى فمن ذلك (تحفة القريب فى الكلام على مغنى اللبيب) لمحمد بن ابى بكر المخزومي الاسكندرى المعروف بالدمامينى ولد بالاسكندرية وتوفى بالهند

سنة ٨٢٧ والف هذا الشرح بامر السلطان ابى الفتح ناصر الدين محمد شاه الهندى (والتصريح بمضمون التوضيح) وهو شرح للشيخ خالد الازهرى المتوفى بالقاهرة سنة ٩٠٥ (وبلوغ الارب بشرح شذور الذهب) لابى يحيى زكريا الانصارى المتوفى بمصر سنة ٩٢٦ (وحاشية السجاعى) المتوفى سنة ١١٩٧ على شرح القطر (وحاشية محمد الامير) المتوفى سنة ١٢٣٢ (وحاشية محمد الدسوقى) المتوفى سنة ١٢٣٩ وكلاهما على المغنى

واشتهر من مصر ايضاً (ابو الفضل عبد الرحمن المعروف بجلال الدين السيوطى) كان اماماً مجتهداً فى العلوم كما تشهد بذلك مصنفاته التى تبلغ ثلثمائة كتاب اخذ عن تقى الدين الشمنى ومحيى الدين الكافيجى وغيرهما وقال انه تبحر فى سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبديع واصل الفلسفة وقد وصل فى هذه العلوم الستة سوى الفقه الى درجة لم يصل اليها ولا وقف عليها احد من اشياخه ومن مصنفاته فى فن العربية كتاب الاشباه والنظائر النحوية وهو كتاب جامع للمهمات مرتب على سبعة فنون كل فن مستقل بخطبة ولقب وكتاب الاقتراح فى علم اصول النحو قال فى اوله . هذا كتاب غريب الوضع عجيب الصنع فى علم لم اسبق الى ترتيبه وهو علم اصول النحو الذى هو بالنسبة الى النحو كاصول الفقه بالنسبة الى الفقه . رتبه على مقدمة وسبعة كتب وشرح الالفية والتوضيح والمغنى وشواهده وحشى الشذور وغير ذلك وان اردت الاطلاع على أسماء مصنفاته فعليك بترجمته فى كتابه المسمى بحسن المحاضرة وتوفى سنة ٩١١

وفى القرن السابع الهجرى وما بعده الى وقتنا هذا مال النحاة فى

الغالب عن الابتداع فى الاصول وقصروا همهم على فهم وتفهيم ما دونه السلف فاكثروا من تصنيف الشروح والحواشى على متونهم كما رأيتهم فعلوا فى مصنفات ابن مالك ومصنفات ابن هشام . وقد تغالوا فى هذا الامر حتى كتبوا كتباً على الحواشى سموها التقارير كتقارير شمس الدين محمد الانبابى من اكابر علماء القرن الرابع عشر على حاشية ابى النجاء على شرح الشيخ خالد على متن الاجرومية وعلى حاشية العطار على شرح الازهرية وعلى حواشى القطر وعلى حواشى الشذور وعلى حواشى ابن عقيل وعلى حواشى الصبان وقد توفى الشيخ الانبابى سنة ١٣١٣

دراسة النحو فى الازهر

قبل الخوض فى ذلك نذكر لمعة من تاريخ هذا الجامع الشهير فنقول :

الازهر مدرسة جامعة واسعة الارجاء انشأها جوهر قائد الخليفة المعز الفاطمى بعد ان فتح مصر سنة ٣٥٨ واختط مدينة القاهرة وكان الشروع فى بنائه سنة ٣٥٩ وكمل بناؤه سنة ٣٦١ وترتب المتصدرون لقراءة العلم به سنة ٣٨٠ فى عهد العزيز بن المعز ولقد اخذ الازهر شهرة واسعة ملات طباق الارض فهرعت اليه الناس افواجاً من اقاصى مصر والشام والمغرب والترك والكرد واليمن والهند وغيرها طلباً للعلم والاخذ عن علمائه وبه لكل طائفة ممتازة منزل يعرف بالرواق او جهة تعرف بالحارة بها خزائن من خشب يضع فيها الطلاب بعض مختصاتهم الخفيفة ويبلغ عدد ما به من الاروقة نحو ٢٢ رواقاً ومن الحارات ١٥ حارة ولكل رواق او حارة شيخ يرجع اليه فيما يختص بطائفته وللجامع رحبة سماوية واسعة جداً

تعرف بالصحن بها اربعة صهاريج وله ست منارات للأذان وسبع مزاول لمعرفة الوقت وثمانية ابواب بعد كل باب ذى فرجتين بابين ومازال ملوك مصر وامراؤها بعد الخليفة المعز يعتنون بالازهر ويجددون فى بنائه ويوقفون الارزاق على علمائه وطلابه الى وقتنا هذا ففي سنة ١١٩٠ الامير عبدالرحمن كتخدا زاد فى اتساعه طولاً وعرضاً قسماً عظيماً وهو القسم المرتفعة ارضه قليلاً من جهة الشرق ويشتمل هذا القسم على ٥٠ عموداً من الرخام تحمل مثلها من البواكى وانشأ به محراباً ومنبراً جديدين وفى جهته الجنوبية بنى مدفناً له ورواقاً للصعائده وكتاباً باعلاه وباباً كبيراً ذا فرجتين واسعتين بجوار الرواق ومنارة بجانب الباب وبالجهة الغربية من الجامع جدد مدرسة الطيبرسية (١) ومدرسة الاقبغاوية (٢) وبين المدرستين ممشى ينتهى الى باب كالسابق وبنى فوق الباب كتاباً وله منشآت بالجامع غير ذلك

وفى هذا العصر امر مولانا الخديو الافخم عزيز مصر عباس باشا حلمى الثانى الاكرم بشراء الاملاك التى تتاخم الجامع من جنوبه الغربى وادخالها فيه وبناء عمارة ضخمة فى موضعها تشتمل على رواق عظيم ومحل رفيع للمشيخة فاقيمت العمارة وشيد الرواق فجاء افخم وابدع رواق فى الازهر وسمى بالرواق العباسى وكذا امر حفظه الله بانشاء مكتبة نفيسة فى محل المدرسة الاقبغاوية وبتشكيل مجلس لادارة شؤون الازهر يتركب من رئيس وخمسة اعضاء الرئيس شيخ الجامع والاعضاء ثلاثة من افاضل علماء الازهر واثنان من العلماء الموظفين فى الحكومة ورئيس المجلس الآن سنة ١٣١٤ صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى واعضاؤه ارباب

الفضل والعرفان الشيخ محمد عبده القاضي بمحكمة الاستئناف الاهلية والشيخ عبد الكريم سلمان وكيل قلم الوقائع المصرية بديوان الداخلية والشيخ سليم البشرى شيخ المالكية والشيخ مصطفى عز الشافعى والشيخ يوسف النابلسي شيخ الحنابلة

ويبلغ عدد علماء ومدرسى الازهر الآن نحو ١٩٠ وعدد الطلبة به يتجاوز ثمانية آلاف وعليهم ضابطٌ عام يفصل فى وقائعهم كما يأمره شيخ الجامع والضابط الآن هو السيد احمد الجندى

والعلوم التى تدرس بالازهر هى تفسير القرآن والحديث والفقه واصوله وعلم الكلام (الالهيات) والمنطق والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والعروض والقافية وغير ذلك

ولنرجع الى ما نحن بصدده الآن فنقول :

يدرسون فى الازهر من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوى على متن الاجرومية ثم حاشية ابى النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الازهرية ثم حاشية السجاعى على شرح القطر ثم شرح الشذور وحواشيه ثم حاشية السجاعى او الخضرى على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ثم حاشية الصبان عل شرح الاشمونى على الالفية ثم المغنى وشروحه وحواشيه وذلك فى نحو ست سنوات وهذا كله بعد حفظ الطلاب متن الاجرومية ومنظومة الالفية وغيرهما وكيفية الدراسة ان يعين المدرس لطلبته جزءا من اول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده او بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون فى اليوم التالى ويجلسون بين يدى شيخهم بهيئة حلقة ويسمعون منه توضيح ما عينه لهم ويناقشونه

فيه هذا يسأل وهذا يعترض على المصنف وثالث يجيب عنه وهكذا وكل منهم يجتهد فى اظهار علمه فى مناقشاته وربما طالع لهذا الغرض حواشى غير المقرر قراءتها ولا يزال الطلبة فى اخذ ورد وتصويب وتخطئة الى ان ينتهى الدرس فى نحو ساعتين وربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءا آخر ويحصل فيه ما حصل فى سابقه وهكذا الى ان يفرغ الكتاب وهذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل والبحث

دراسة النحو في المدارس

نتقدم اولا بذكر نبذة من تاريخ المدارس فى مصر فنقول :

قبل استيلاء محمد على باشا رأس الاسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها قاصرة على معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التى انشأها سلاطين المماليك وامراؤهم وعلى التخرج من علوم الازهر السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية والازهر بمنزلة مدارس ثانوية وعليا فلما استقام الامر للباشا بهذه الديار انشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بابى زعبل ومدرسة للهندسة ببولاق ومدرسة للالسن ومدرسة للزراعة ببلد نبروه ومدرسة للصناعات وثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى اثره فى ذلك من خلفه من امراء هذه الاسرة الخديوية وكذا حكوماتهم واشراف الامة فزادوا فى المدارس وشيدوا فى اركانها وفرضوا لها النفقات الى ان وصلت الى ما هى عليه فى وقتنا الحاضر من التقدم والنظام يدير شؤونها ديوان عال يرأسه وزير كبير من وزراء الحكومة وله وكيل من كبار الامراء

واعالمهم ومفتشون ماهرون وكتّاب امائل وهذا الديوان يسمى ديوان المعارف ويرأسه الآن (سنة ١٣١٤) صاحبا العطوفة والعرفان حسين باشا فخرى ويعقوب باشا ارتين ويتبع هذا الديوان نحو اربعين مدرسة ابتدائية تعلم فيها القراءة والكتابة والقرآن والنحو والحساب ومبادى الهندسة والخط ورسم الحروف ورسم الاشكال وصور الارض وتقويم البلدان والتاريخ والاخلاق واللغات الانكليزية والفرنساوية والتركية وذلك فى مدة اربع سنين . وثلاث مدارس تجهيزية تعلم فيها العلوم السابقة مع الاتساع فى مسائلها والزيادة فى فروعها ويزاد عليها المعانى والبيان والبديع والانشا والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيميا والهيئة وهذا فى مدة خمس سنين . ومدرسة للحقوق ومدرسة للهندسة ومدرسة للطب ومدرسة للصيدلة ومدرسة للولادة ومدرستان للصنائع احداهما ببولاق والاخرى بالمنصورة ومدرسة للزراعة بالجيزة وثلاث مدارس لتخريج معلمين اكفاء

وفى هذه المدارس الآن ما بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف متعلم وفيها وفى الديوان ٤٤٣ موظفاً بين رئيس ووكيل ومفتشين وكتّاب ونظّار مدارس ومدرسين وضبّاط وينفق فى ذلك كله ما يتجاوز مائة الف جنيه مصرى . وايضاً توجد مدرسة لتخريج ضباط فى الجيش تابعة لديوان الحربية . وللاهالى والاجانب مدارس اخرى لا تقل عن مدارس الحكومة فى العدد . وهذه وتلك خلاف الكتاتيب المنتظمة وغيرها وهى كثيرة جداً يزيد عدد ما بها من المتعلمين هى والازهر وجوامع العلم الاخرى عما فى المدارس السابقة كلها

« عود الى ما نحن بصدده »

كان المقرر تدريسه فى النحو بالمدارس الابتدائية الاميرية هو كتاب الفصول الفكرية تأليف المرحوم عبد الله باشا فكرى من علماء وأمراء القرن الرابع عشر المتوفى سنة ١٣٠٧ وكتاب القواعد الاولية للشيخ محمد حسين من علماء الازهر وأساتذة المدارس — وللمدارس التجهيزية وما فوقها شرح ملحة الحريرى للشيخ حسين والى وشرح انموذج الزمخشرى للشيخ محمد عسكر وشرح الالفية للسيوطى وانوار الربيع فى النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع للشيخ محمود العالم . وكان تعليم النحو فى هذه المدارس لا يأتى بالثمرة المطلوبة لأن هذه الكتب وان كانت صحيحة فى ذاتها الا انها ليست منسوقة فى تصنيفها على حسب اعمار الناشئة المتعلمين ولأن معلمى هذا العلم وان كانوا عارفين به لا يحسنون طريقة أدائه الى اذهان الاحداث ولا يراعون طاقاتهم فكان هؤلاء يهملونه بسبب ما يعترضهم من الصعوبات فى طريق تعلمهم . فلما اخذ بزمام المعارف صاحب السعادة والدراية يعقوب باشا ارتين سنة ١٨٨٤ للميلاد وشرع فى اصلاح شؤونها والسير بها فى طرق النجاح أمر كثيراً من ذوى الفضل بتصنيف مؤلفات جديدة فى علوم المدارس موافقة للناشئين وقد أمرنى أنا وحفنى بك ناصف ومحمد بك صالح القاضيين الآن بالمحاكم الاهلية والشيخ مصطفى طموم المدرس بالمدرسة الخديوية بتأليف ثلاثة كتب سهلة المأخذ فى النحو مدرجة على حسب اعمار تلامذة المدارس الابتدائية فألفنا هذه الكتب وقدمناها الى سعادته فعرضها على لجنة من افاضل العلماء فأثنوا عليها وحلت لديه محل القبول وأمر بطبعها فطبعت

بمطبعة بولاق وانتشرت بين ابناء المدارس وانتفعوا بها انتفاعاً زائداً وأخذت شهرة واسعة وأجازنا عليها بمائة ليرة مصرية ثم امرنا بعد ذلك بتصنيف كتاب رابع فى النحو أوسع من الثلاثة المتقدمة وكتاب خامس فى علوم البلاغة للمدارس التجهيزية فصنفناهما وطبعا وعمّ نفعهما وأجازنا عليهما بمائة اخرى وكان معنا فى الكتاب الرابع محمود افندى عمر بدلاً من محمد بك صالح وفى الكتاب الخامس محمد افندى سلطان استاذ اللغة العربية بمدرسة الحقوق بدلاً منهما

وليست طريقة تعليم النحو فى المدارس كطريقته فى الازهر فان المعلم فيها لا يحدد جزأ من الكتاب تطالعه التلامذة من قبل بل يعطى الدرس أوّلاً فى وقته المحدد له والتلامذة يفهمونه منه بدون كبير مناقشة يضيع معها الزمن سدى ويسألهم اسئلة تثبت ما اخذوه فى اذهانهم ثم يكلفهم بواجب على يؤدونه فى منازلهم تطبيقاً على الدرس الذى سمعوه وفى اليوم التالى يعيد سؤال البعض فى بعض مسائل الدرس السابق ثم يعطى درساً آخر وهكذا وفى خلال كل ثلاثة اشهر ما عدا اشهر المسامحة يختبرهم فيما حصلوه من العلم ويعطيهم درجات على حسب اجاباتهم فيه وقبل الاختبار يجتهدون فى مذاكرته رغبة فى الحصول على الدرجات العلى .

﴿ تم الباب الخامس — ويليه الباب السادس ﴾

الباب السادس

﴿ فى تاريخ علوم البلاغة ﴾

المعانى والبيان والبديع

بعد مانظر علماء السلف فى كلام العرب من جهة صحته ودونوا لذلك النحو تتبعوا كلام البلغاء منهم فرأوا ان تراكيبه تتفاوت بهيآت وخواصّ تدل على معان ثانوية زائدة عن اصل المعنى فاستنبطوا من ذلك اصولاً دوّنوها ونوّعوها الى ثلاثة علوم الاول يبحث فيه عن الخواص والهيآت التى تقتضيها المقامات والاحوال وسموه علم البلاغة اوالمعانى والثانى يعرف به ايراد المعنى الواحد بعبارات مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وسموه علم البيان وان شئت قلت هو علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية والثالث يبحث فيه عن وجوه تكسو الكلام حسناً وسموه البديع وقد سموا العلوم الثلاثة تارة بالبديع وتارة بالبيان وتارة بعلوم البلاغة ومسائل هذه الفنون لم تجئ دفعة واحدة بل تلاحقت واحدة بعد اخرى ثم رتبت اخيراً

ويظهران ابا عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هو اول من صنف فى المجاز فانه لماسئل بمجلس الفضل بن الربيع عن التشبيه فى قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين واجاب بانه كقول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب اغوال

كان هذا سبباً فى ان يضع كتاباً فى مجاز القرآن وقد سبق بسط ذلك فى تاريخ النحو

وعبدالله بن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ اول من كتب فى البديع فانه جمع من وجوهه سبعة عشر نوعاً وقال فى كتابه وما جمع قبلى فنون البلاغة احد ولا سبقنى اليه مؤلف ومن احب ان يقتدى بى ويقتصر على ما اخترعناه فليفعل ومن رأى اضافة شىء من المحاسن اليه فله اختياره وعاصره قدامة الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها وسلم له ثلاثة عشر فتكامل لهما ثلاثون ثم جمع ابو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ سبعة وثلاثين فى كتابه المسمى بالصناعتين ثم جمع مثلها ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦ فى كتابه المسمى بالعمدة ثم اوصلها عبدالعظيم ابن ابى الاصبع العدوانى المصرى المتوفى سنة ٦٥٤ الى التسعين فى كتاب سماه تحرير التحبير فى علم البديع . ثم جاء صفي الدين عبد العزيز الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ ونظم قصيدة طويلة فيها ١٤٠ نوعاً باعتبار اصناف التجنيس نوعاً واحداً وجعل كل بيت منها مثالاً لنوع وذكر اسم النوع البديعى الى جانب البيت وسماها الكافية البديعية ثم شرحها شرحاً لطيفاً ثم حذا الناس حذوه ونظموا بديعيات . منها بديعية عز الدين الموصلى المتوفى فى حدود سنة ٨٠٠ ملتزماً فى البيت ذكر اسم النوع وشرحها شرحاً وافياً وتسمى بالفتح الآلى فى مطارحة الحلى . ومنها بديعية شرف الدين اسمعيل اليمنى المعروف بابن المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ جمع فيها ١٥٠ نوعاً من انواع البديع . وبديعية الشيخ ابى بكر على المعروف بابن حجة

الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وتعرف بخزانة الادب وشرحها والمولى الناصر هو الذى رسم له بنظمها ملتزماً فيها تسمية النوع ومجارياً فيها الصفى الحلى وكان يشيد البيت فيرسم له بهدمه ويقول له بيت الصفى اصفى مورداً فيعيد النظم الى ان يحكم له بالسبق كذا ذكر فى خطبة الشرح . ومنها بديعية عائشة الباعونية الدمشقية المتوفاة سنة ٩٢٢ وتسمى بالفتح المبين وقد شرحتها شرحاً مختصراً والشرح مطبوع مع شرح بديعية ابن حجة سنة ١٣٠٤ فى المطبعة الخيرية بالقاهرة . ومنها بديعية عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣ المسماة نسمات الاسحار وقد شرحها شرحاً جليلاً متقناً سماه نفحات الازهار اتى فى خطبته على ذكر البديعيات الاربع السابقة وعاب بديعيتى الموصلى وابن حجة وقد طبع الشرح بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٩

(والشيخ عبد القاهر الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ألف كتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة فى المعانى والبيان ومن كلامه : ان الكلام الذى يدق فيه النظر ويقع به التفاضل هو الذى تدل بلفظه على معناه اللغوى ثم تجد لذلك اللفظ دلالة ثانية على المعنى المقصود فهناك ألفاظ ومعان أُوَل ومعان ثوان

(وابو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ ألف كتاب مفتاح العلوم قال فى مقدمته . « اعلم ان علم الادب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الاوضاع وشىء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام أما اذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطإ فى العربية وسلوك جادّة الصواب فيها اعترض دونك منه انواع تلقى لأدناها عرق القربة لا سيما اذا انضم الى همتك الشغف بالتلقى لمراد

الله تعالى من كلامه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهناك يستقبلك منها ما لا يبعد ان يرجعك القهقرى وكأنى بك وليس معك من هذا العلم الا ذكر النحو واللغة قد ذهب بك الوهم الى ان ما قرع سمعك هو شيء قد افترعته عصبية الصناعة لا تحقيق له والا فمن لصاحب علم الادب بانواع تعظم تلك العظمة لكنك اذا اطلعت على ما نحن مستودعوه كتابنا هذا مشيرين فيه الى ما تجب الاشارة اليه ولن يتم لك ذلك الا بعد ان تركب له من التأمل كل صعب وذلول علمت اذ ذاك ان صوغ الحديث ليس الا من عين التحقيق وجوهر السداد »

وقد قسم المفتاح الى ثلاثة اقسام الاول فى الصرف والثانى فى النحو والثالث فى علوم المعانى والبيان والبديع وعرف المعانى بانه تتبع خواص تراكيب الكلام فى الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره قال واعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهى تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها فى صناعة البلاغة واعنى بخاصية التركيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب وعرف البيان بأنه معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة عليه او بالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه وقد طبع بالمطبعة الادبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ للهجرة .

وقد شرح القسم الثالث من المفتاح العلامة محمود بن مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ وسمى شرحه مفتاح المفتاح . وشرحه ايضاً

السيد الشريف على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ولخص هذا القسم محمد ابن عبد الرحمن القزوينى خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ وسمى كتابه تلخيص المفتاح ثم وضحه فى كتاب سماه ايضاح المعانى والبيان وضم اليه ما خلا عنه مما تضمنه المفتاح مع زيادات من دلائل الاعجاز واسرار البلاغة وقد شرح التلخيص مسعود بن عمر التفتازانى المدعو بسعد المتوفى سنة ٧٩١ شرحاً واسعاً سماه المطول ثم اختصر المطول فى شرح يعرف بمختصر السعد . وقد شرح التلخيص ايضاً عصام الدين ابراهيم الاسفرايينى المتوفى بسمرقند سنة ٩٥١ وقيل سنة ٩٤٥ وسمى شرحه بالاطول . وقد اخذ شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ وبنى عليها كتاباً جليلاً فى الادب يشبه خزانة الادب للبغدادى وسماه معاهد التنصيص . وشروح التلخيص الثلاثة السابقة تقرأ بالازهر بعد كتب النحو وقد اكثر العلماء من الحواشى على شرحى التفتازانى . فمنها على المطول حاشية السيد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ . وحاشية حسن چلبى الفنارى المتوفى سنة ٨٨٦ وحاشية عبد الحكيم الهندى المتوفى سنة ١٠٦٧ ومنها على المختصر حاشية احمد بن يحيى حفيد السعد المتوفى سنة ٩٠٦ وحاشية محمد الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ محمد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠

وابو الليث السمرقندى من علماء النصف الثانى من القرن التاسع صنف متناً فى الاستعارات يعرف بالسمرقندية يقرأه الطلاب المبتدئون وقد كتب عليه كثير من العلماء . فمن ذلك شرح العصام وشرح احمد الملوى المتوفى سنة ١١٨١ وحاشية الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ وحاشية الشيخ ابراهيم الباجورى المتوفى سنة ١٢٦٧ . وعلى شرح العصام

حاشية لحفيده الشيخ على المتوفى بمكة سنة ١٠٠٧ وحاشية للشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ وعلى شرح الملوى حاشية للشيخ محمد الامير المصرى المتوفى سنة ١٢٣٢ وحاشية للشيخ محمد الدمنهورى فرغ من تأليفها سنة ١٢٣٣ وحاشية للشيخ محمد الخضرى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٨٨

ومحمد بن الشحنه التركى المتوفى سنة ٨١٥ يحاب له منظومة فى المعانى والبيان والبديع وهى مائة بيت ولذا يقال لها مائية المعانى والبيان . ولمحمد ابن عبد الحق الطرابلسى شرح عليها سماه درر الفوائد المستحسنة فرغ من تأليفه سنة ١١٠٩ ولمحمد بن العزى شرح عليها ايضاً سماه مواهب الرحمن فرغ من تأليفه سنة ١١٣٤

وجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ له أرجوزة سماها عقود الجمان فى علم المعانى والبيان قال فيها :

وهذه ارجوزة مثل الجمان ضمنتها علم المعانى والبيان
لخصت فيها ماحوى التلخيص مع ضم زيادات كامثال اللمع

وقد شرحها شرحاً حسناً

والشيخ عبد الرحمن الاخضرى له منظومة ايضاً سماها الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون فرغ من نظمها سنة ٩٥٠ وعليها شرح حلية اللب المصون تأليف الشيخ احمد الدمنهورى المتوفى سنة ١١٩٢ والشيخ مخلوف حاشية على هذا الشرح فرغ من تأليفها سنة ١٢٦٥

والشيخ محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ له كتاب فى البيان يعرف بالرسالة البيانية . وللشيخ محمد عليش المصرى المتوفى سنة ١٢٩٩ حاشية

عليها وكذا للشيخ مخلوف حاشية عليها وقد طبعت سنة ١٢٨٥ بالمطبعة الوهبية بمصر وايضاً للشيخ محمد الانبابى حاشية كبيرة عليها طبعت ببولاق سنة ١٣١٥

والشيخ حسين المرصفي من اساتذة المدارس المصرية له كتاب جليل فى فنون الادب يسمى بالوسيلة الادبية وقد طبع سنة ١٢٨٩ بمطبعة المدارس الملكية وكان رحمه الله مع كونه بصيراً واسع الاطلاع فى الادب حسن المحاضرة والنوادر قرأت عليه كتابه هذا بمدرسة دار العلوم وقد جاء فى مقدمته ما نصه « اعلم ان هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما تحصلت لباذلى هممهم فى تحصيلها بتتبع الكلم العربى يسمعونه منهم ويروونه عنهم واول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتخاذها معياراً لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وابو تمام حبيب بن أوس الطائى ولكن لم يدوناها وانما كانا يتحدثان بها ويسميانها البديع ولما اكثرا من استعمال مقتضياتها وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر غالب ميلهم مع زخرفة الالفاظ اخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء اذ ذاك كانوا يقولون قد افسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء الذى يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث فى ذلك الى ان جاء عبدالله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعاً لطيفاً ثم اتسع القول فيه بعد واقبل عليه كتاب الانشاء وسموه البيان وهذا انموذج تأليف الاوائل فى هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله : «البلاغة على عشرة اقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان» ثم اخذ فى بيان كل

منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول فى العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى افضى بهم التكلم فى تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه عنها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون فى معرفة اعجاز القرآن الذى هو برهان الدين الحق فصارت من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس واكثروا فيها من التآليف واولهم الشيخ عبدالقاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهى ثلاثه فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة فى معانيها التى وضعت لها او فيما يناسبها اعتماداً على المناسبات وسموه فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وسموه فن المعانى وفن يبحث عن احوال تعرض للكلام فتكسبه حسناً وسموه البديع » اه

والشيخ محمد البسيونى من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب فى العلوم الثلاثة سماه حسن الصنيع وقد طبع بمطبعة ديوان المعارف سنة ١٣٠١ وكان يقرأ بمدرسة الحقوق

والشيخ محمود العالم المنزلى من علماء الازهر واساتذة المدارس المتوفى حوالى سنة ١٣١٠ له كتاب جمع فيه خمسة علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وسماه انوار الربيع وقد طبع فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢ وكان يقرأ بالمدارس التجهيزية

والشيخ الفاضل هارون عبد الرزاق من علماء الازهر واساتذة المدارس له كتاب حسن الصياغة فى فنون البلاغة طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٨٨٩ للميلاد وهو رسالة صغيرة كانت تقرأ بالمدارس

وقد الفنا انا وحفنى بك ناصف ومحمد افندى سلطان والشيخ مصطفى طموم كتاب دروس البلاغة لتلامذة المدارس التجهيزية يقرأ بعد كتبنا النحوية السابقة وقد طبع بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٠

الباب السابع

« فى تاريخ المحاضرات »

كانت سوق الادب رائجة فى عهد خلفاء بنى امية فى الشام والاندلس وخلفاء بنى العباس فى العراق اذ كانوا يقربون من مجالسهم أدباء عصرهم ليحادثوهم بما يروح نفوسهم ويشرح صدورهم من قَصِّ نوادر غريبة واخبار عجيبة وانشاد اشعار رقيقه وعلى سنهم جرى عُمَّالهم فى الامصار فكان الاديب يبذل وسعه فى تعرّف انباء السالفين والحاضرين وحفظ اشعارهم واستحضار ملحهم ولطائفهم ليكون ذا اطلاع واسع واقتدار بارع على ان يحضره بداهة فى مجلس الخليفة او الامير ما يقتضى الحال ذكره لينال منه كذا جائزة وقد دونوا لهذا الغرض مصنفات تجمع نوادر واخباراً وملحاً واشعاراً وغيرها وسموا معرفة ذلك بعلم المحاضرات وهو لاريب نوع خاص من علم التاريخ

واساس هذا العلم على ما يقال كتاب (كليلة ودمنة) الذى ترجمه الى العربية عبدالله بن المقفع كاتب الخليفة ابى جعفر المنصور العباسى المتولى

الخلافة سنة ١٣٧ للهجرة وهو كتاب يشتمل على حكايات موضوعة على السنة الحيوانات متضمنة حكماً وسياسات تهذب الاخلاق والنفوس وضعه الفيلسوف بيدبا لملك الهند فى القرن الرابع قبل الميلاد وقد طبع هذا الكتاب احد علماء الافرنج الشهير بسلفستر دساسى (Sylvestre de Sacy) سنة ١٨١٦ وطبع ايضاً فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٩٧ للهجرة وفى مطبعة بولاق وفى بيروت سنة ١٨٨٤ وفى عصر الخليفة المنصور هذا صنف محمد بن اسحق كتاب المغازى والسير

ومما دوّن فى المحاضرات كتاب العقد الفريد لشهاب الدين احمد بن محمد الاندلسى المعروف بابن عبد ربه المتوفى بقرطبة سنة ٣٢٨ قال فى خطبته « وبعد فان اهل كل طبقة وجهابذة كل امة قد تكاموا في الادب وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان ومع كل زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده فى اختصار بديع معانى المتقدمين واختيار جواهر الفاظ السالفين واكثروا فى ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى اختيار ثم انى رأيت آخر كل طبقة وواضعى كل حكمة ومؤلفى كل أدب اعذب الفاظاً واسهل بنية وأحكم مذهباً واوضح طريقة من الاول لانه ناقض متعقب والاول باد متقدم فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين انصاف ثم يجعل عقله حكماً عادلاً قاطعاً فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت زكية التربة يانعة الثمرة فمن أخذ بنصيبه منها كان على ارثٍ من النبوّة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسك به وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر

وأباب اللباب وانما لى فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وماسواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء.

وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة فى فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها وتوافقها فى مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزأ فى خمسة وعشرين كتاباً قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد فاولها كتاب اللؤلؤة فى السلطان ثم كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها ثم كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد ثم كتاب الجمانة فى الوفود ثم كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك ثم كتاب الياقوتة فى العلم والادب ثم كتاب الجوهرة فى الامثال ثم كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ثم كتاب الدرّة فى التعازى والمراثى ثم كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ثم كتاب العسجدة فى كلام الاعراب ثم كتاب المجنبة فى الاجوبة ثم كتاب الواسطة فى الخطب ثم كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ثم كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ثم كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ثم كتاب الدرّة الثانية فى ايام العرب ووقائعهم ثم كتاب

الزمردة الثانيـة فى فضـائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ثم كتاب الجوهرة الثانية فى اعاريض الشعر وعلل القوافى ثم كتاب الياقوتة الثانية فى الالحان واختلاف الناس فيه ثم كتاب المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن ثم كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والموسومين والبخلاء والطفيليين ثم كتاب الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ثم كتاب الفريدة الثانية فى الطعام والشراب ثم كتاب اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح اهـ . وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٣

وكتاب الاغانى لابى الفرج علي الاصفهانى المتوفى ببغداد سنة ٣٥٦ وهو كتاب جامع لكثير من السير والنوادر والاشعار وايام العرب وأخبارهم وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام وقد بنى كل ذلك على المائة صوت المختارة للخليفة هارون الرشيد العباسى وهذا الكتاب قلّ ان يوجد له مثيل وقد طبع فى عشرين سفراً بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٨٥ وطبع السفر الحادى والعشرون من هذا الكتاب فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٥

وكتاب نثر الدرر لابى سعد منصور بن الحسين وزير مجد الدولة رستم بن بويه من أدباء القرن الرابع اختصره من كتاب نزهة الادب

وكتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهانى كان فى أوائل المائة الخامسة وهو كتاب نفيس فى سفرين طبعته جمعية المعارف المصرية سنة ١٢٨٧ بمطبعة السيد ابراهيم المويلحي

وكتاب زهر الآداب وثمر الالباب لابى اسحق ابراهيم المعروف

بالحصرى القيروانى المتوفى بالقيروان سنة ٤٥٣ وقد طبع على هامش كتاب العقد الفريد المتقدم

وكتاب الغرر والدرر للشريف المرتضى ابى القاسم على بن الطاهر المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ وهو ذو ثلاثة اسفار

وكتاب ربيع الابرار ونصوص الاخبار لابى القاسم محمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨

وكتاب زاد الرفاق لابى المظفر محمد الابيوردى المتوفى باصبهان سنة ٥٥٧

وابو قماش لشرف الدين مبارك بن احمد الاربلى المتوفى سنة ٦٣٧ فى الموصل جمع فيه من النوادر ما لا يحصى

وكتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار فى الادبيات والنوادر والاخبار لمحيي الدين ابى بكر محمد المعروف بابن الدربى المتوفى بدمشق سنة ٦٣٨

وكتاب العدد المعدود تأليف ابى يحيى زكريا المراغى من علماء النصف الثانى من القرن السادس فيه مائة باب ثمانون منها فى خمس مقالات وعشرون منفردة

وريحانة الادب لابى الحسن على بن موسى الاندلسى المتوفى سنة ٦٧٣ جمع فيه بين عيون الاخبار ومستحسنات الاشعار

وكتاب تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون التى كتب بها الى ابن جهور لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤

والتذكرة لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي أيضاً وهى ثلاثون

سفراً جمع فيها نوادر الاشعار ولطائف الادبيات نظماً ونثراً

وثمرات الاوراق لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ وقد طبع منفرداً سنة ١٣٠٠ بالمطبعة الوهبية وطبع أيضاً على هامش محاضرات الراغب السابقة

وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لشهاب الدين احمد الدمشقى المعروف بابن عرب شاه المتوفى بالخانقاه الصالحية من القاهرة سنة ٨٥٤ وقد نحا منحى كتاب كليلة ودمنة وقد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٦

وروض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار لمحيي الدين محمد بن الخطيب المتوفى سنة ٩٤٠ قال فى اوله « لما كان علم المحاضرات علماً نافعاً لا تدرك غايته استخرجت من بحث فوائده على وجه الاختصار ما عثرت عليه فى كتب الادباء » اه واسم الكتاب يدل على انتخابه من كتاب الزمخشرى والمستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين احمد الابشيهي من علماء القرن التاسع وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٨٥

وكتاب طراز المجالس لاحمد بن محمد الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ وله أيضاً كتاب ريحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا ذكر فيه من عاصرهم من الشعراء والادباء فى الشام والمغرب وجزيرة العرب ومصر قد طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٣

وكتاب نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن لاحمد بن محمد الانصارى اليمنى من علماء النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى

الباب الثامن

﴿ فى تاريخ الانشاء ﴾

« وفيه أربعة فصول »

الفصل الاول

فى تعريف الانشاء ووجه تعلمه وانواعه

الانشاء فى اللغة الشروع والايجاد والوضع تقول انشأ الغلام يمشى اذا شرع فى المشى وانشأ الله العالم اوجدهم وانشأ فلان الحديث وضعه

وفى اصطلاح الادباء هو صناعة النثر ويعرف بفن الكتابة فهو يقابل قرض الشعر ويكون سجعاً وموازن الفواصل ومرسلا (فالسجع) يكون ذا فقر متحدة فواصلها فى الحرف الاخير نحو سرر مرفوعة واكواب موضوعة فان الفاصلتين مرفوعة وموضوعة اتحدتا فى العين فان كانت الفاظ الفقرة او اكثرها مثل ما يقابلها من الفاظ قرينتها وزناً وتقفية كان السجع مرصعاً نحو «يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه» (والموازن) كالسجع لكن فواصله تتحد فى الوزن دون الحرف الاخير نحو نمارق مصفوفة وزرابىّ مبثوثة فان مصفوفة ومبثوثة اتحدتا فى الوزن دون التقفية اذ الاولى على الفاء والثانية على الثاء ولا عبرة بتاء التأنيث وان كانت الفاظ احدى القرينتين او اكثرها مثل ما يقابلها من الاخرى فى

الوزن كان الموازن مماثلاً نحو «وآتيناه الكتاب المستبين وهديناه الصراط المستقيم» (والمرسل) ما جاء من غير توخى تقفية أو وزن وقد جاء بالثلاثة القرآن واحسنها المرسل فانه يمضى مع النفس واسرع الى الافهام فى أداء المعنى فان منشئ السجع قد يضطر الى تقديم لفظ وحقه التأخير أو الاتيان بلفظ لا يوافق موضعه كى يتيسر له التقفية أو الوزن وقد يحذف ما تضيق عبارته عنه فيأتى الكلام معقوداً ركيكا فان جاءت الالفاظ فيهما على ترتيب المعانى بحيث لا يظهر على الكلام غبار التكلف او القلاقة فقد امتازا عن المرسل بحسن وقعهما فى الاسماع وهما لا يوجدان فى غير العربية

قال ابن خلدون « السجع هو الكلام الذى يؤتى به قطعاً ويلتزم فى كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يطلق الكلام فيه اطلاقاً ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الاغراض وصار هذا المنثور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا الا فى الوزن واستمروا على هذه الطريقة واستعملوها فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى المنثور كله على هذا الفن الذى ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذى اشرنا اليه وهو على صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطِب والمخاطَب ويجب ان تنزه هذه المخاطبات عن هذا المنثور المقفى اذ أساليب الشعر تنافيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب

فى الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك فى الخطاب والمحمود فى المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا فى الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالاً من غير تكلف له اما اجراؤها على هذا النحو الذى هو من اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الاَّ استيلاء العجمة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل واولعوا بهذا المسجع يلفقون به مانقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك حتى انهم يخلون بالاعراب والتصريف فى الكلمات اذا دخلت لهم فى تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان مع صحتها » اه بتصرف . وأحسن السجع ما تساوت فيه القرائن وقصرت نحو « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » ويليه ماطالت فيه القرينة الثانية عن الاولى طولا لا يخرجها عن الاعتدال وعكسه غير حسن فان السمع يكون متوقعاً طول الثانية كالاولى فاذا قصرت نبا عنها ولم يصل الى غايته المنتظرة

وعلى من يريد ان يبرع فى صناعة الانشاء ان يتزود من فنون الادب لاسيما اللغة والمحاضرات ثم يطالع بامعان نظر منشآت من اشتهروا بالبراعة فى هذه الصناعة ثم ينثر ابياتاً شعرية او يدرس فصولاً من كتاب ممتاز كمقدمة ابن خلدون ويلخص هذه الفصول او يطوى الكتاب ويكتب من تلقاء نفسه ماعلق بذهنه منها أو يأخذ مثلاً سائراً ويبنى عليه موضوعاً واسعاً او يكتب قصة سمعها او بصف منظراً رآه وفى كل هذا يعرض ما

كتبه على منشىء ماهر كى يرشده الى الصواب وبالجملة هذه الصناعة لا تصير ملكة الا بالمرانة والدربة

(والانشاء انواع) منها الترسل اى انشاء الرسائل وتسمى الكتب ايضاً . ومنها التحرير اى كتابة دواوين الحكومات وصحف الاخبار المعروفة بالجرائد ومنها التأليف اى تصنيف كتب العلوم . ومنها القصص اى وضع القصص او الحكايات . ومنها الخطابة اى وضع الخطب ومنها الوصف

الفصل الثانى

« فى تاريخ الانشاء »

(كانت الرسائل) تفتتح فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين بكتابة « من فلان الى فلان » سواء كانت الكتابة من اعلى الى ادنى او من ادنى الى اعلى او بين متساويين وقد يسبق ذلك « بسم الله الرحمن الرحيم » ويليه « السلام عليك او السلام على من اتبع الهدى » وبعد هذا « اما بعد فان الامر كيت وكيت » او « اما بعد فانى احمد اليك الله وان الامر كذا وكذا » . وقد يؤخر السلام فى آخر الكتاب

(وكانت عبارة الرسائل) سهلة لا يتوخى فيها السجع ولا تزيين الالفاظ الا اذا جاء ذلك عفواً

ولما اراد عليه الصلاة والسلام ان يكتب للملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤن كتاباً الا اذا كان مختوماً فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من

فضة منقوشاً عليه ثلاثة اسطر « محمد » فى سطر و « رسول » فى الوسط و « الله » فوق ذلك وصار يختم به كتبه وقد اتخذ هذا سنة من بعده قال ابن عبد ربه فى عقده ما نصه « كان رسول الله يكتب الى الصحابة وامراء جنوده من محمد رسول الله الى فلان وكذا كانوا يكتبون اليه يبدؤن بانفسهم فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ابو بكر والعلاء بن الحضرمى وغيرهما وكذلك كتب الصحابة والتابعين ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك فعظم الكتاب وامر ان لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضاً فجرت به سنة الوليد الى يومنا هذا الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل فانهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الامر الى رأى الوليد والقوم عليه الى اليوم » اه

ولما ارتفع شأن الخلافة الاسلامية وبلغت مبلغها من العظمة والفخار واتسع مجال الادب اصطلحوا على ديباجات يصدرون بها كتبهم المقدمة الى ديوان الخلافة اوما يتبعها فكانوا يكتبون الى الخليفة فى اول الكتاب « ادام الله بقاء الديوان العزيز أو خلد سلطانه أو نحو ذلك » والى الملك « اطال الله بقاء الملك او خلد الله ملكه او ما اشبه » والى الامير « اعز الله انصار الجانب الشريف او اعز الله نصره او نحوه » والى الوزير « ادام الله سعادة الوزير اوخلد مجده او اسبغ عليه نعمه او ما شاكله » ويدعون للقضاة والحكام بعز الاحكام وتأيدها ثم بعد هذا الدعاء كانوا يمدحون المكتوب اليه بعدة اوصاف تليق بمقامه ثم يدخلون فى اغراضهم المقصودة لهم بمثل هذه العبارات الآتية « العبد او المملوك يقبل الارض او الاعتاب الشريفة وينهى ماهو كذا وكذا » او « الخادم المطيع يقبل الايدى

الكريمة وينهى ... » او « صنيعتكم يتشرف بعرض ما هو كيت وكيت » او « الداعى ينهى ما هو . . . » وبعد بيان الغرض من الرسالة يختمونها بالدعاء ويؤرخونها ان كانت فى اول ليلة من الشهر بكتابة « كتب لاول ليلة منه اولغرته اومستهله » وفى الليلة الثانية « كتب لليلة الثانية » وعلى هذا القياس الى آخر الشهر ويكتب فى الليلة الاخيرة « لآخر ليلة منه او سلخه او انسلاخه » وان كتب فى اليوم الاول يؤرخون بكتابة « كتب لليلة خلت او اول الشهر او غرة الشهر » وفى الثانى « لليلتين خلتا » وفى الثالث « لثلاث خلون اوخلت » وكذا الى عشر ليال خلون او خلت وفى الحادى عشر « لاحدى عشرة ليلة خلت او خلون » الى الرابع عشر فيكتبون « لاربع عشرة ليلة خلت او خلون » وفى الخامس عشر « للنصف من كذا » وفى السادس عشر « لاربع عشرة ليلة بقيت اوبقين » الى التاسع عشر فيكتبون « لاحدى عشرة ليلة بقيت او بقين » وفى العشرين « لعشر ليال بقين او بقيت » وهكذا الى الثامن والعشرين فيكتبون فيه « لليلتين بقيتا » وفى التاسع والعشرين « لليلة بقيت » وفى اليوم الاخير « لآخر يوم من كذا او سلخه او انسلاخه » فالليل عندهم سابق النهار واول الشهر اول ليلة يرون فيها الهلال قال ابن عبد ربه فى عقده « لا بد من تاريخ الكتاب لانه لا يدل على تحقيق الاخبار وقرب عهد الكتاب وبعده الا بالتاريخ فان اردت ان تؤرخ كتابك فانظر الى ما مضى من الشهر وما بقى منه فان كان ما بقى اكثر من نصف الشهر كتبت لكذا او كذا ليلة مضت من شهر كذا وان كان الباقى اقل من النصف جعلت مكان مضت بقيت وقد قال بعض

الكتاب لا تكتب اذا ارخت الا بما مضى من الشهر لانه معروف وما بقى منه مجهول» اه (وبعد التاريخ) يكتبون على الرسائل اسماءهم او يطبعون خواتمهم (فاذا عرض) الكاتب على الخليفة او السلطان او الامير الرسالة المرفوعة اليه وامره ان يكتب على حاشيتها بما يفصل فى شأنها فما كتبه كانوا يسمونه توقيعاً[1] ومثل هذا فى عصرنا يسمى شرحاً (قال ابن خلدون) «ومن خطط الكتابة التوقيع وهو ان يجلس الكاتب بين يدى السلطان فى مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان تصدر كذلك واما ان يحذو الكاتب على مثالها فى سجل يكون بيد صاحب القصة» اه (وقال ايضاً) ان الرسائل وغيرها فى سالف العصر الى عهد خلافة بنى العباس كانت تكتب فى الرق المهيأ بالصناعة من الجلد ثم طمى بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة فى صناعته ما شاءت اه (وقال فى موضع آخر) وكانت صناعة الكتابة عند بنى العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس فى طين احمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرف

---

(١) معناه فى كلام العرب التأثير القليل يقال ناقة موقعة الجنب اذا اثرت فيه حبال الاحمال ويحتمل ان يكون مأخوذاً من قولهم وقع الامر اذا حق ولزم كما فى قوله تعالى « ووقع القول عليهم بما ظلموا » أي حق ووجب

السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولاً وآخراً اهـ (وقال ايضاً) «واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت فى الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يكتب الى قيصر فقيل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الا ان يكون مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات فى ثلاثة أسطر وختم به وقال لاينقش احد مثله قال وتختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان فى بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله. وفى كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الآلة التى تجعل فى الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاوانى والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى «ختامه مسك» وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر ما يجدونه فى شرابهم ريح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها فى الدن سداد الطين اوالقار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ فى وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو اطيب عرفاً وذوقاً من القار والطين المعهودين فى الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على أثرها الناشىء عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت به كلمات أو اشكال ثم غمس فى مداف من الطين او مداد ووضع على صفح القرطاس بقي اثر الكلمات

فى ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط فى الصفح عما كان فى النقش من يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه فى المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام . . . »

(واما الرسائل التى كانت سائرة بينهم) فكانوا يبتدئونها بما يعنّ لهم مع مراعاة حال المكتوب اليه فبعضهم كان يبتدىء بنحو « كتابى الى فلان اطال الله بقاءه » او « كتابى الى ولدى العزيز امتع الله به » او « الى فلان التاجر ادام الله اقباله » ثم يقول « وبعد فكيت وكيت » ثم ينهى الرسالة بقوله « والسلام » وبعضهم كان يبتدئ بالسلام والتحية ويبالغ فى وصفها ثم يقول « نخص بذلك فلان » ويمدحه ويدعو له ثم يقول « وبعد فالامر ماهو كذا وكذا » ثم يتم الكتاب بما يشعر بالانتهاء ويؤرخون الرسائل ويوقعون عليها كما سبق (وكانوا) يتوخون فى هذه الرسائل السجع وتحسين الالفاظ لكن بعضهم كان يطنب فى صدور الكتب ويبالغ فى مدح المكتوب اليه ويوجز فى الغرض المقصود وهذا غير حسن فى زماننا (ولهذا اختاروا الآن) فى صدور الكتب الرسمية والاهلية ديباجات مختصرة يتلوها الغرض المقصود

اما الكتب الرسمية فى مصر وان شئت قلت الرسائل بين موظفى

الحكومة او كما يقولون الافادات او الجوابات فديباجاتها عربية مشوبة بالتركية مع ان عبارات الرسائل نفسها عربية محضة فيكتبون

لجلالة السلطان : شوكتلو ولى النعم افندمز حضرتلريناه

وللحضرة الفخيمة الخديوية : دولتلو فخامتلو خديو مصر افندمز حضرتلرى

وللصدر الاعظم : دولتلو فخامتلو صدراعظم افندم حضرتلرى

ولشيخ الاسلام : دولتلو سماحتلو افندم حضرتلرى

وللسر عسكر : دولتلو عطوفتلو افندم حضرتلرى

وللمشير : دولتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الاولى من الصنف الاول : عطوفتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الاولى من الصنف الثانى : سعادتلو افندم حضرتلرى

ولذى الرتبة الثانية من الصنف الاول : عزتلو افندم

ولذى الرتبة الثانية من الصنف الثاني : عزتلو افندى او بك

ولذى الرتبة الثالثة : رفعتلو افندى او بك

ولذى الرتبة الرابعة : فتوتلو افندى

ولذى الرتبة الخامسة : حميتلو افندى

وجاء هذا من دخول مصر فى حوزة الاتراك ويمكن الاصطلاح على ديباجات عربية خالصة توازى هذه وقد اخذ بعض الناس فى ذلك الآن فكتبوا بدل (دولتلو فخامتلو) صاحب الدولة والفخامة (وبدل افندمز) مولانا وغير ذلك (وبعد هذه الديباجات) يدخلون على المقاصد بعبارات وجيزة تليق بالمكتوب اليه مثل « يرفع هذا للسدة الكريمة العبد الخاضع فلان وينهى . . . » او « اتشرف برفع هذا للمقام العالى وانهى . . . » او « اعرض

على مسامع دولتكم ماهو . . .» او « احيط عطوفتكم علماً بما هو . . . » او «اقدم هذا لسعادتكم راجياً كذا » او « التمس من عزتكم كيت وكيت » او «ابدى لحضرتكم كذا » وعلامة الانتهاء كلمة « افندم »

(ويؤرخونها) بالتاريخ العربى والافرنجى معاً ويضعونه اسفل الرسالة والمستعمل الآن فى التاريخ ان يكتب عدد ما مضى من ايام الشهر بالرقم وبعده اسم الشهر ثم اسم السنة وفوقها ما يدل عليها من الارقام فيكتب مثلاً « ٢٥ شعبان سنة ١٣١٤ » (ثم يكتبون) اسماء وظائفهم ويختمون تحتها وان اقتصر المرسل على كتابة الاسم سموا ذلك امضاء ويسمون آلة طبع الاسم ختماً لا خاتماً (وان كانت الرسائل) الرسمية جواباً عن اخرى ابتدؤها بعد الديباجات بنحو « طبقاً للامر الصادر فى كذا نمرة كذا او امر دولتكم » او « بناء على امر عطوفتكم او سعادتكم » او « بناء على ما ورد الينا من عزتكم » او « حيث ان حضرتكم طلبتم كذا »

(واما الرسائل الاهلية) الآن فيكتبون فى صدورها مثل « حضرة الفاضل او الكامل او الاديب او المحترم او العزيز او الاخ او صديقنا او السيد فلان دام بقاؤه او لا زال ملحوظاً بعين العناية او نحو ذلك » وقد يجمع الكاتب بين وصفين او ثلاثة ثم بعد ذلك يذكرون عبارات تفيد اهداء التحية والسلام الى المكتوب اليه ثم يدخلون فى الاغراض ويتمون الكتاب بنحو « اقبلوا فائق احترامى والسلام » ويؤرخونها بالتاريخ العربى او الافرنجى وبعضهم يكتبه اسفل الرسالة وبعضهم يكتبه اعلاها كعادة الافرنج . ويمضونها بكتابة « عبدكم فلان او الخاضع المطيع او محسوبكم او صديقكم او المحب المخلص او والدكم او اخوكم او الفقير اليه تعالى او الحقير

اونحو ذلك» ومع هذا قد مال اغلب الناس الى ترك مثل ذلك واقتصروا على كتابة الاسم مجرداً او ختمه

(وبعد انهاء) الرسالة رسمية او أهلية توضع فى غلاف يسمى ظرفاً مصنوعاً على صورتها بعد طيها واطراف الظروف مصمغة فتبل ويلصق بعضها ببعض ويكتب عليه عنوان المكتوب اليه وهو الديباجة المصدرة بها الرسالة

(وعبارة الرسائل) الرسمية والاهلية سهلة لا يتوخى فيها السجع الا ان ادباء عصرنا يحذون فى رسائلهم حذو ادباء السلف ليظهروا فضل ادبهم

(ومن اشهر ما كتب فى الرسائل) رسائل ابى الفضل احمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٣ وقد طبعت بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٨ وقد كتب عليها شرحاً مفيداً الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسى وطبع هذا الشرح سنة ١٨٩٠ للميلاد فى بيروت . ورسائل ابى بكر الخوارزمى وكان معاصراً للبديع وقد طبعت بمطبعة الجوائب سنة ١٢٩٧ ورسالة ابى الوليد احمد المعروف بابن زيدون الاندلسى المتوفى باشبيلية سنة ٤٦٣ وقد انشأها على لسان ولادة بنت المستكفى فى هجاء الوزير ابى عامر بن عبدوس الملقب بالفار وعليها شرح جليل لابى بكر محمد بن نباته المتوفى سنة ٧٦٨ يعرف بسرح العيون

(ومما ساعد) على تقدم صناعة الانشاء فى عصرنا هذا (سنة ١٣١٤ للهجرة) صحف الاخبار الحاضرة المعروفة بالجرائد وانشاؤها فى الجملة مرسل حسن يفهمه العوام ويرضاه الخواص واقدم الجرائد العربية المنتشرة الان فى مصر الجريدة الرسمية المعروفة بالوقائع المصرية فان انشاءها كان منذ ست وستين سنة فى

عهد المغفور له محمد على باشا ثم جريدة الاهرام التى انشئت من نحو ٢٢ سنة وصاحبها الفاضل تقلا باشا ثم جريدة الوطن ومحررها الفاضل ميخائيل افندى عبد السيد وكلتاهما ظهرت فى عهد المغفور له اسمعيل باشا خديو مصر ثم جريدة المقطم التى انشئت منذ تسع سنين ومنشئوها الافاضل يعقوب افندى صروف وفارس افندى نمر وجاهين افندى مكاريوس ثم جريدة المؤيد وصاحبها الفاضل الشيخ على يوسف وعمرها نحو ثمانى سنين وكلتاهما ظهرت فى عهد المغفور له محمد باشا توفيق خديو مصر

(واما كتب العلوم) فسير التأليف فيها لم يتغير عما كان عليه فى العصر السالف اللهم الا من جهة حسن الوضع والترتيب والتقريب الى الاذهان ومن عاداتهم ان يبتدئوها بخطب مفتتحة بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم ثم يقولون وبعد فكذا وكذا ويبينون الغرض من تأليف الكتاب وقد يذكرون فيه اسم الخليفة او الملك او الامير الذى الف فى عصره هذا الكتاب (وبعض معاصرينا) لا يستحسنون ذلك وفاتهم ان هذا مفيد فى تاريخ العلوم . وفى هذه الخطب المؤلفون يظهرون براعتهم فى الانشاء ويتوخون فيها تهذيب الكلام وتحسينه بانواع البديع كبراعة الاستهلال والسجع والجناس ولهذا افرد العلماء بعض خطب المصنفات بالشروح

(واما القصص) فمنها ماله خارج يطابقه فيكون من علم التاريخ ومنها ما هو حكايات مخترعة وضعت لتسلية النفوس وقت الفراغ ككتاب الف ليلة وليلة وهذا النوع يعرف الآن بالروايات وقد اكثر من التصنيف فيه معاصرونا اقتداء بالافرنج فانهم فى هذا الفن قد حازوا قصبات السبق (ومن الحكايات الموضوعة) المقامات الادبية التى قصد بها منشئوها جمع

موادّ لغوية فى حكايات لطيفة حسنة الاسلوب يرغب فيها طالب الادب ويسهل عليه حفظها ويتعرف منها اساليب الانشاء كمقامات ابى الفضل احمد بن الحسين الهمذانى المعروف ببديع الزمان المتوفى سنة ٣٩٣ نسب روايتها الى عيسى بن هشام ومبنى حديثها الى ابى الفتح الاسكندرى وكلاهما اخترعه وهمه وخياله وقدطبعت هذه المقامات سنة ١٢٩٣ بمطبعة الجوائب وهى احدى وخمسون مقامة وقد شرحها شرحاً لطيفاً الفاضل الشيخ محمد عبده وقدطبع هذا الشرح فى بيروت سنة ١٨٨٩ للميلاد

ومقامات ابى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى المتوفى سنة ٥١٦ بالبصرة قال فى خطبتها « وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التى ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا الى ابى الفتح الاسكندري نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم الى ان انشىء مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو الضليع .... الى ان قال وانشأت خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الادب ونوادره الى ماوشحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف الادبية والاحاجى النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما امليت جميعه على لسان ابى زيد السروجي واسندت روايته الى الحارث بن همام البصرى ... الى ان قال ومن نقد الاشياء بعين المعقول وانعم النظر فى مبانى الاصول نظم هذه

المقامات فى سلك الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نباسمعه عن تلك الحكايات او انّم رواتها فى وقت من الاوقات . . . فاى حرج على من انشأ ملحاً للتنبيه لا للتمويه ونحابها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو فى ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم اوهدى الى صراط مستقيم . » اهـ وقد طبعت فى بولاق سنة ١٣٠٠ للهجرة وكثير من طلاب الادب يحفظونها او بعضها . وقد علق الادباء عليها شروحاً كثيرة من اشهرها الشروح الثلاثة لابى العباس احمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى المتوفى سنة ٦١٩ وقد طبع منها الشرح الكبير فى سفرين بمطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ (ومقامات) جمال الدين ابى الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي المعروف بابن الاشتركونى المتوفى سنة ٥٣٨ وهى خمسون مقامة انشأها بقرطبة على منوال مقامات الحريرى والتزم فيها ما لا يلزم ولذا تعرف بالمقامات اللزومية وحدث فيها المنذر بن حمام عن السائب بن تمام (والمقامات الزينبية) لشمس الدين ابى الندى ممد بن ابى الفتح المعروف بابن صيقل الجزرى المتوفى سنة ٧٠١ وهى خمسون مقامة على منوال مقامات الحريرى نسبها الى ابى نصر المصري وعزا روايتها الى القاسم بن جربال الدمشقى (ومجمع البحرين) وهو ستون مقامة على منوال مقامات الحريرى انشأها الشيخ ناصيف اليازجى المتوفى سنة ١٢٨٧ وقد طبعت ببيروت سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٧٢ للميلاد (وفى كتابى قلائد الذهب فى فصيح لغة العرب) انشأت فى الفاظ مادة (جلل) مقامة على منوال مقامات الحريرى التزمت فى كل سجعة منها ان آتى بكلمة من هذه المادة وتعرف بالمقامة الجلالية وسيأتى ذكرها في الفصل الثالث

(واما الخطب) فلا تزال احوال الناس فى كل عصر تدعو الى قيام نبلائهم ليخطبوا فيهم بما يقوّم معوجهم او يرشدهم الى ما فيه صلاحهم او يعظهم الموعظة الحسنة او يستفزهم الى خير او يثبطهم عن ضير او نحو ذلك وكان الخطباء فى العصر السالف يخطبون ارتجالاً فى الاحوال القائمة بينهم وقبل الاسلام كانت لهم اسواق يلقون فيها الخطب وبعده كانوا يلقونها فى المحافل والمساجد وفى عصرنا هذا الخطب الدينية مدونة يحفظها الخطباء ويلقونها كما هى ايام الجمع على المصلين وقت الظهر وهذه الخطب تسمى بالمنبرية لانهم يلقونها وهم على المنابر وكثير من العلماء صنف لكل جمعة من كل شهر خطبة خاصة بها ومصنفات الخطب تعرف بالدواوين فاذا اتبع خطيب مسجد ديوان خطب خاصّ تكررت الخطبة الواحدة قدر سنى الخطابة

هذا وقد جمع السيد المرتضى ابو القاسم على بن الطاهر المتوفى سنة ٤٣٦ ببغداد المختار من كلام امير المؤمنين على بن ابى طالب فى الخطب والرسائل والحكم فى كتاب سماه (نهج البلاغة) قال فى خطبته « وقد رايت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ » وعلى هذا النهج شرح لطيف للقاضى الفاضل الشيخ محمد عبده طبع فى بيروت سنة ١٨٨٥ للميلاد (ولابى يحيى) عبد الرحيم المعروف بابن نباتة خطيب حلب المتوفى سنة ٣٧٤ بميافارقين (ديوان خطب ادبية) عليه شروح كثيرة منها شرح لعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ ومنها شرح الشيخ طاهر افندى الجزائرى من افاضل هذا العصر وقد طبع هذا الشرح مع الخطب فى

بيروت سنة ١٣١١ وابن نباتة هذا اجتمع مع المتنبي فى خدمة سيف الدولة ابن حمدان (وينخرط فى سلك الخطب) مقالات الزمخشرى المعروفة باطواق الذهب فى المواعظ والخطب طبعت فى بيروت فى مطبعة جمعية الفنون سنة ١٢٩٣ وعليها شرح لطيف للشيخ الفاضل يوسف افندى الاسير (ومقامات الزمخشرى) الوعظية وقدطبعت بالمطبعة العباسية بمصر سنة ١٣١٢ وعليها شرح له (ومقالات عبد المؤمن) المغربى الاصفهانى المعروفة بأطباق الذهب قد سلك فيها مسلك الزمخشرى فى اطواقه وقد طبعت بدار الطباعة ببولاق سنة ١٢٨٠ للهجرة (ومن دواوين الخطب المنبرية) ديوان شيخ الاسلام ابى يحيى زكريا الانصارى المتوفى سنة ٩٢٦ ويسمى بالتحفة العلية فى الخطب المنبرية (وديوان الشيخ ابراهيم السقا) الازهرى المتوفى سنة ١٢٩٨ ويسمى غاية الامنية فى الخطب المنبرية (وديوان الفاضل السيد محمد البيلاوى) وكيل المكتبة الخديوية وقدطبع هذه السنة (سنة ١٣١٤) بمطبعة بولاق

(واما الوصف) فطريقة كتابة السلف والخلف فيه كطريقتهم فى غيره من حيث ابتكار المعانى وحسنها وتسجيع الكلام وارساله الا أن تجدّد المرئيات المبتدعة مع العصور المتوالية والامكنة المختلفة جعلت صور الانشاء فيها بديعة الآن عما كانت عليه قبل فالحضارة والاقليم لهما تأثير عظيم على الوصف الكتابى كتأثيرهما على الشعر وهذا النوع من اهم انواع الانشاء وفيه تتفاوت اقدار المنشئين وقد عنى به الافرنج كثيرا تبعا لمدنيتهم

الفصل الثالث

« فى شذرات من منشآت السلف والخلف »

(١) خطب ابو طالب فى محفل زواج النبى صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد فقال « الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا امناء بيته وسوّاس حرمه وجعلنا حكاماً على الناس وان ابن اخى محمد بن عبدالله من قد علمتم قرابته وهو لا يوزن به احد الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل »

(٢) وكتب عليه الصلاة والسلام الى خالد بن الوليد جواباً عن كتابه له باسلام بنى الحارث وقد أُرسل اليهم وهو « من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك يخبرنى بان بنى الحارث قد اسلموا قبل ان تقاتلهم واجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

(٣) رسالة معزوّة الى ابى بكر وعمر بعثا بها كما قيل الى على

روى عن أبى عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لابى بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرّها ويسر خيرها وازاح ضيرها وردّ كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابا بكر الصديق رضى الله عنه عن على بن ابى طالب رضى الله عنه تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتمادى الحال وتبدو العداوة وتنفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عائل ذى دهاء اوصاحب سلامة ضعيف القلب خوّار العنان دعانى فحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر تبساً له ظهيراً معه يستضئ برأيه ويستملى على لسانه فقال لى يا أبا عبيدة ما ايمن ناصيتك وابين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط والمحل المغبوط ولقد قال فيك في يوم مشهود ابوعبيدة امين هذه الامة وطال ما اعز الله بك الاسلام واصلح فساده على يديك ولم تزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولاهلك ركناً ولاخوانك رداً قد اردتك لامر له مابعده خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبرك ولم تستجب حيته لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ماهو امرّ من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يديك فتأنّ له يا ابا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصابة غير آل جهداً ولا قال جداً والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق امض الى على واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلالة ابى طالب ومكانه ممن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه وقل له

«البحر مغرقة والبر مفرقة والجوّ اكلف والليل اغلف والسماء جلّواء والارض صلّعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحقّ رؤف عطوف

والباطل شنوف عنوف والعجب قادح الشرار والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقعة ثقوب العداوة وهذا الشيطان متكئ على شماله متحبل بيمينه نافج حضنيه لاهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه ثالبا يوسوس بالفجور ويُدلى بالغرور ويمنّى اهل الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأبا له مذ كان على عهد ابينا آدم صلى الله عليه وسلم وعادة منه منذ أهانه الله عز وجل فى سالف الدهر لا يُنْجى منه الا بعضّ النواجذ على الحق وغضّ الطرف عن الباطل ووطء هامة عدوّ الله وعدوّ الدين بالاشدّ فالاشدّ والاحدّ فالاحدّ واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه وجنّب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبّه ولقد ارشدك من أفاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من آثر البقاء معك ما هذا الذى تسوّل لك نفسك ويدوى به قلبك ويلتوى به عليك رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك ويترادّ معه نَفَسُك وتكثر معه صُعداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد افصاح أتلبيس بعد ايضاح أدين غير دين الله عز وجل أخلُق غير خلق القرآن أهدى غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أمثلى يدب له الضّراء او يمشى اليه الخَمَر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف فى عينه القمر ماهذه القمقعة بالشنان وماهذه الوعوعة باللسان انك جدّ عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن اوطاننا واموالنا واولادنا واحبتنا هجرة الى الله تعالى عزّ ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فى زمان انت فيه فى كنّ الصبي وخِدْر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد ولا تحصل ما يساق

ويقاد سوى ما انت جار عليه الى غايتك التى اليها عدّى بك وعندها حط رحلك غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل ونحن فى اثناء ذلك نعانى احوالاً تزيل الرواسى ونقاسى اهوالاً تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين تيّارها نتجرع صابها ونُشرِج عيابها ونسوغ عُبابها ونحكم اساسها ونبرم امراسها والعيون تُحدّج بالحسد والانوف تعطس بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والاعناق تتطاول بالفخر والشفار تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف ولا ننتظر عند المساء صباحاً ولا عند الصباح مساء ولا ندفع فى نحر امرلنا الا بعد ان نحسو الموت دونه ولا نبلغ الى شىء الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوّم مُنآداً الا بعد الياس من الحياة عنده فادين فى كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاب والام والخال والعم والنشب والسبد واللبد والهلّة والبلّة بطيب نفس وقرورعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة اوجه وذلاقة ألسن هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلاً ولولا حداثة سنك لم تكن عنها ناكلاً كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والقول فيك كثير والآن قدبلغ الله بك وارهص الخيرلك وجعل مرادك بين يديك وعن علم اقول ماتسمع فارتقب زمانك وفلّص اليه أردانك ودع التجسس والتعسس لمن لا يضلع اليك اذا خطا ولا يتزحزح عنك اذا عطا فالامر غض والنفوس فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجاً وسيفها العضب فلا تَنْبُ اعوجاجاً وماؤها العذب فلا تحل اجاجاً والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر فقال لى يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب فيه ويجاحش عليه ولمن تضاءل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن

يقول هو لك لالمن يقول هو لى والله لقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصهر فذكر فتياناً من قريش فقلت اين انت من على فقال انى لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عنك ورغبته فيك وما كنت عرفت منك فى ذلك حوْجاء ولا لوْجاء فقلت ما قلت وانا ارى مكان غيرك واجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيراً منك الآن لى ولئن كان عرّض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت عن سواك وان يختلج فى نفسك شىء فهلمّ فالحكم مرضىّ والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل وهو عن هذه العصابة راض وعليها حدِب يسرّه مايسرّها ويكيده ما كادها ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم انه لم يدع احداً من اصحابه وخلطائه واقاربه وشجرائه الا ابانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بخلالة لو اصفقت الامة عليه لكان عنده ابالتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أتظن انه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشرا سدى بدَدا عدى عباهل مباهل طلاحاً مفتونة بالباطل مغبونة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساق ولا واق ولا هادى ولا حادى كلاً والله ما اشتاق الى ربه تعالى ولا سأله المصير الى رضوانه حتى ضرب الصُّوى واوضح الهدى وامّن المهالك والمطاوح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جدُّه وجدع انف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل

وبعد فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك فى دار واحدة وبقعة جامعة ان استقالونى لك وأشاروا عندى بك فانا واضع يدى فى يدك وصائر الى رأيهم فيك وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد لضالهم والرادع لغاويهم فقد امر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب الى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغلّ ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمامة فارفق بهم واحنُ عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غُلقا فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير . »

قال ابو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن لدى الباب هنية فلى معك نصيب من القول فوقفت ولا ادرى ما كان بعدى الا انه لحقنى ووجهه يندى تهللاً وقال قل لعلى

« الرقاد محلمه واللجاج ملحمه والهوى مفحمه وما منا احد الا وله مقام معلوم وحق مشاع او مقسوم ونبأ ظاهر او مكتوم وان اكيس الكيسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تلطفاً ووزن كل امرئ بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خيره مكان شره ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ولا فى علم معتمل فى جهل ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان وبين الذنب وكل صال فبناره وكل سبيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعىّ وشىّ وكلامها اليوم لفتق او رتق فدجدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم انف كل ذى كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب

فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخُنْزُوانة التى فى فراش رأسك وما هذا الشجا المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شراسيفك والقذاة التى اعشت ناظرك وماهذا الدخس والدسّ اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع وما هـذا الذى لبست بسببه جلدة النمر واشتملت عليه بالشحناء والنكر لَشَدَّ ما استسعيت اليها وسريت سرى ابن انقد اليها ان العوان لا تعلّم الخِمْره وان الحَصان لا تكلم خبرة وما احوج الفرعاء الى فال وما افقر الصلعاء الى حال لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر مُحْبَس ليس لاحد فيه ملس ... ولم يسـير فيك قولاً ولم يسـتنزل فيك قرآناً ولم يجزم فى شأنك حكماً ولسنا فى كسروية كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لأخدان فارس وابناء الاصفر قومٌ جعلهم الله جَزَراً لسيوفنا وخَرَزاً لرماحنا ومرمى لطعاننا وتبعاً لسـلطاننا بل نحن فى نور نبوّة وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الفتق والرتق لهـا من الله عز وجل قلب ابىّ وساعد قوىّ ويد ناصرة وعين باصرة أتظن ان أبا بكر الصـديق وثب على هـذا الامر مفتاتاً على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أتراه امتلخ احلامها وأزاغ ابصارها وحلّ عقدها واحال عقولها واستل من صدورها حميّتها وانتزع من اكبادها عصبيّتها ونكث رشاءها وأنضب ماءها واضلّها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظتها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين وان كيده لمتين كلاّ والله بأىّ خيل ورجل وباى سنان ونصل وباى

قوة ومنّة وباى ذخر وعُدّة وباى ايد وشدة وباى عشيرة واسرة وباى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لها فلصقت به ومال عنها فمالت اليه واشتمل دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سربله الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله به لها ولطال ما حلّقت فوقه فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت لفتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوّة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة ولا يجحد حقك فيما آتاك ربك ولكن لك من يزاحمك بمنكب اضخم من منكبك وقرب امسّ من قربك وسنّ اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها عرق من الجاهلية وفرع فى الاسلام والشريعة ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة ولا تذكر منها فى مقدمة ولا ساقة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا تخرج منها ببازل ولا هُبع فان عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعذرنا فيما تسمع منا فى لين وسكون مما لا تبعده منه ولا تناضله عليه ولئن حدثت بهذا نفسك ليتنخشن عليك ما ينسيك الاولى ويلهيك عن الاخرى ولو علم من عرضنا به بما فى انفسنا له وعليه لما سكت ولاتخذت انت وليجة الى بعض الارب . فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه

ولعمرى انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا فرق قدعرفه المؤمنون وكذلك صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلاتشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غداً والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك وانفث سخيمة صدرك عن ثفالك فان يكن فى الامد طول وفى الاجل فسحة فستأكله مريئاً او غير مرئ وستشربه هنيئاً او غير هنئ حين لا رادّ لقولك الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك يمضّ إهابك ويفرى قادمتك ويزرى على هديك هناك تقرع السنّ من ندم وتجرع الماء ممزوجاً بدم وحينئذ تأسى على مامضى من عمرك ودرج من قومك فتودّ ان لو سقيت بالكاس التى ابيتها ورددت للحال التى استبريتها ولله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو شاهده وعاقبة هو المرجوّ لضرّائها وسرّائها وهو الولى الحميد الغفور الودود »

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فمشيت متزملاً أتوجّى كأنما اخطو على أم رأسى فرَقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصلت الى علىّ فى خلاء فأبثته بثى كله وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت فى اوصاله حمياها قال حلت معلوّطة وولت مخروّطة حَلِ لاحليتِ التعس أدنى لها من ان اقول لعا

احدى لياليك فهيى هيس لاتنعمى الليلة بالتعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا فى انفس القوم يحتبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة فقلت لاجواب لك عندى انما أنا قاض حقّ الدين وراتق فتق الاسلام للمسلمين وسادّ ثلمة الامة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبي وقرارة نفسى قال على رضى الله عنه والله ما كان تعودى فى كسر هذا البيت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله صلى الله عليه

وسلم بفراقه واودعنى من الحزن بفقده وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جدد لى حزناً وذكرنى شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معدّ لمن اخلص عمله وسلم لعلمه ومشيئة ربه على انى ماعلمت ان التظاهر علىّ واقع ولا عن الحق الذى سبق الى دافع واذ قد أفعم الوادى بى وحشد النادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وخضت لجته بأخمصى ومفرقى لكنى ملجم الى ان ألقى الله عز وجل وعنده احتسب مانزل بى وانا غادٍ الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءنى وسركم ليقضى الله امراً كان مفعولا وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة فعدت الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غرّه ولم اختزل شيئاً من حلوه ومره وذكرت غدوّه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى على نخرق الى ابى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلاً وجلس زَميتاً واستأذن للقيام ونهض فشيعه عمر تكرمة له واستثارة لما عنده فقال له على ماقعدت عن صاحبكم كارهاً له ولا اتيته فرقاً منه وما اقول ما اقول لعلة وانى لأعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى قد ازمت على فأسى ثقة بالله فى الابالة فى الدنيا والآخرة . فقال له عمر كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها والدلاء برشائها فانا من خلفها ووراثها ان قدحنا اورينا وان متحنا اروينا وان جرحنا ادمينا وان نصحنا ارينا ولقد سمعت اماثيلك التى لغوت بها عن صدر أكلٍ بالجوى ولو شئت لقلت على مقالتك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته زعمت انك قعدت فى كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعزّ من ذلك فان من حق مصابه ان لايصدع شمل الجماعة بكلمة لاعصام لها ولا يزرى على اخيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان فى عقباها هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا فى مصبح يوم لم نلتق فى ممساه وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده ومعاونتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ماتبدد منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقة على خلقه وبذل ما يصلحون به

ويرشدون اليه وزعمت انك لم تعلم ان التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذى سبق اليك دافع فاى تظاهر وقع عليك واى حق لك ليط دونك وقد علمت ما قالت الانصار لك بالامس سراً وجهراً وما تقلبت عليه بطناً وظهراً فهل ذكرتك او اشارت بك او وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذى قال بلسانه تصلح لهذا الامر او اومأ بعينه اوهمهم في نفسه اتظن ان الناس قد ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحى وتتوكف مناجاة الملك لك ذلك امر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الامر معقوداً بانشوطه او مشدوداً باطراف ليطه كلا والله ان الغيابة لمحلقة وان الشجرة لمورقه ولا محجماء بعد حمد الله الا وقد فصحت ولا عجفاء الا وقد سمنت ولا بلهاء الا وقد فطنت ولا شوكاء الا وقد نقحت ومن اعجب شأنك قولك لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى وهل ترك الدين لاحد من اهله ان يشفى غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع جرثومتها وهور ليلها وغور سيلها وابدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت انك ملجم فلعمرى ان من اتقى الله عز وجل و آثر رضاه وطلب ما عنده امسك لسانه واطبق فاه وجعل سعيه لما وراءه قال على رضى الله عنه والله ما بذلت مابذلت وانا اريد نكثه ولا اقررت بما اقررت وانا اريد حولا عنه وان أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل فى كل الحوادث ارجع يا ابا حفص ناقع القلب فسيح البال مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ماسمعته وقلته الا مايشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة ويرفع الكلفة ويوقع الزُلفة بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه

(٤) وخطب عمر بن الخطاب فقال : « ايها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل احدهم على موضعه يخرقه فنظر اليه اصحابه فمنعوه فقال هو موضعى ولى ان احكم عليه فان اخذوا على يده سلم وسلموا وان تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله واياكم »

(٥) وكتب الى ابى موسى الاشعرى « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرّم حلالا او أحلّ حراماً ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عند ما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبىّ صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقاً غائباً او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى وأبلغ فى العذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حدّ او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيناً فى ولاء او قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم اياك القلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك »

(٦) ووقع فى اسفل كتاب كتبه اليه سعد بن ابى وقاص فى بنيان يبنيه بما صورته « ابن مايكنك من الهواجر واذى المطر »

(٧) وكتب عثمان بن عفان الى على بن ابى طالب وكان خرج الى الينبع وقد احاط الناس بعثمان « اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وطمع فىّ كل من كان يضعف عن نفسه ولم يغلبك مثل مغلّب فأقبل الىّ صديقاً كنت او عدواً

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركنى ولما امزق »

(٨) وخطب على بن ابى طالب عليه السلام لما خاطبه العباس وابو سفيان بن حرب فى ان يبايعا له بالخلافة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم خطبة منها « ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة . وعرجوا عن طريق المنافرة . وضعوا عن تيجان المفاخرة . افلح من نهض بجناح . او استسلم فاراح . هذا ماء آجن . ولقمة يغص بها آكلها . ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه . فان اقل يقولوا حرص على الملك . وان اسكت يقولوا جزع من الموت . هيهات بعد اللتيا والتى . والله لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امه . بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية فى الطوى البعيدة »

(٩) وكتب للاشتر النخعى لما ولاّه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن وهو « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فى عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به فى كتابه من فرائضه وسننه التى لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من

نصره واعزاز من اعزه . وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله . ثم اعلم يا مالك انى قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت او كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين او نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم فى العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن انى مؤمّر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفىء اليك بما عزب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمته والتشبه به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال . انصف

الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور اليك اوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس احد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم . وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان فى الناس عيوباً الوالى احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ماغاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين . ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله . ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيراً ومن شركهم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة

فانهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على اثمه أولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة واحنى عليك عطفاً واقل لغيرك الفاً فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعاً من هواك حيث وقع . والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة . ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيداً لاهل الاحسان فى الاحسان وتدريباً لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . واعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك فى ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده . ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضى تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء . ومناقثة الحكماء فى تثبيت ماصلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك . واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق

ومنها أهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة فى كتابه او سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً . فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواصّ الامور وعوامّها ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم . ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل . فولّ من جنودك انصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولامامك وانقاهم جيباً وافضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف . ثم الصق بذوى الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن فى نفسك شىء

قويتهم به ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالاً على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه . وليكن آثر رؤس جندك عندك من واساهم فى معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل فى البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح فى آمالهم وواصل فى حسن الثناء عليهم وتمديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيراً ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيماً واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول » فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة . ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى فى الزلة ولا يحصر من الفئ الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بأدنى

فهم دون اقصاه أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لايزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدى الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا . ثم انظر فى امور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل فى المطامع اشرافاً وأبلغ فى عواقب الامور نظراً ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك فى السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة . وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك فى عمارة الارض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب

الخراج بغير عمارة أخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب أو باله او احالة أرض اغتمرها غرق أو اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حمّلته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر . ثم انظر فى حال كتّابك فولّ على امورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجود صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقتصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان فى العامة أثراً وأعرفهم بالامانة وجهاً فان ذلك دليل على نصيحتك لله

ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل امر من امورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته . ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم موادّ المنافع واسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك واعلم مع ذلك ان فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وذلك باب مضرة العامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب فى غير اسراف . ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافى الاسلام فى كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذى للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله فى تأدية حقه

اليه وتعهد اهل اليتم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم . واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فى غير موطن « لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع » ثم احتمل الخرق منهم والعىّ ونحّ عنهم الضيق والانَف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئاً وامنع فى اجمال واعذار . ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك . ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية . وليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فأعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ووفّ ما تقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً فان فى الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهنى الى اليمن كيف اصلى بهم فقال « صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما » . اما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان

احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف فى معاملة . ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة . وان ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق . ولا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا فان فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم فى ذلك حسن الظن وان

عقدت بينك وبين عدوك عقدة او ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشدّ عليه اجتماعاً مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته أمناً افضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك . اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء أدعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد لأن فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك او سيفك او يدك بعقوبة فان فى الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدى الى اولياء المقتول حقهم . واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما

يكون من احسان المحسنين . واياك والمنّ على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المنّ يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله تعالى « كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » . واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل أمر موقعه. واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابى عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم . املك حميّة انفك وسَوْرة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وانا اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقنى واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الاثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

(١٠) وخطب معاوية على منبر المدينة فحمد الله واثنى عليه ثم قال « يا اهل المدينة انى لست أحبّ ان تكونوا خلقاً نخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه . كل امرئ منهم شيعة نفسه . واقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم . وان معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى . ومنكر زماننا هذا معروف زمان لم يأت . ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق وفى كل بلاغ ولا مقام على الرزية

(١١) وخطب الحجاج حين ولاّه عبد الملك العراق وأمره أن يحشر الناس الى المهلب فى حرب الازارقه

انا ابن جلا وطلاّع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفونى
صليب العود من سلفَىْ نزارٍ ... كنصل السيف وضّاح الجبين
وما ذا تبتغى الشعراء منى ... وقد جاوزت حدّ الاربعين
أخو خمسين مجتمع أشدّى ... وتنجدنى مداورة الشؤن

أما والله انى لأحمل الشر بحمله وأحذوه بفعله وأجزيه بمثله وانى لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وانى لأنظر الدماء بين العمائم واللحى تترقرق

قد شمّرَتْ عن ساقها فشمّرى ... هذا أوان الحرب فاشتدّى زِيَمْ
قد لفّها الليلُ بسوّاق حُطَمْ ... ليس براعى إبلٍ ولا غنمْ
ولا بجزّارٍ على ظهرِ وضَمْ
قد لفّها الليل بعصابيّ ... اروعَ جرّاحٍ من الدَّوِيّ
مُهاجر ليس باعرابيّ
قد شمّرَت عن ساقها فشدّوا ... ما علتى وانا شيخ جلْدُ

والقوس فيها وتر عِرِدُّ مثل ذراع البكر او أشدّ

انى والله ياأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق لا يغمز جانبى كتغماز التنّين ولا يقعقع لى بالشنّان ولقد فُرِرْت عن ذكاء وفتشت عن تجربة واجريت مع الغاية وان امير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى امرّها عوداً واشدها مكسراً فوجهنى اليكم ورماكم بى فانه طالما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن البغى وسعيتم فى الضلاله وايم الله لألحونكم لحو العصا ولاقرعنكم قرع المَرْوة ولاعصبنكم عصب السَّلَمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل اما والله لا اعد الا وفيت ولا أخلُق الا فريت واياى وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يقولون وفيم انتم والله لتستقيمن على طريق الحق او لأدعن لكل رجل منكم شغلاً فى جسده . من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله »

(١٢) وله ايضاً « يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والمسامع والاطراف والاعضاد والشفاه ثم مضى الى الاسخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرّخ فخشاكم شقاقاً ونفاقاً وان اشعركم خلافاً اتخذتموه دليلاً تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه وكيف تنفعكم تجربة اوتعظكم وقعة او يحجزكم اسلام او يردكم ايمان ألستم اصحابى بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وانا ارميكم بطرفى وانتم تنسلون لواذاً وتنهزمون سراعاً يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليه عنكم اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها النوازع

الى اعطانها لا يسأل المرء منكم عن اخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضّكم السلاح وقصمتكم الرماح يوم دير الجماجم وما دير الجماجم به كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يااهل العراق اهل الكفرات والفجرات والغدرات بعد الختر ات والثورة بعد الثورات ان ابعثكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان امنتكم ارجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون نقمة ولا تشكرون نعمة يااهل العراق هل استخفكم ناكث او استغواكم غاو او استفزكم عاص او استنصركم ظالم او استعضدكم خالع الا وثقتموه وآويتموه وعززتموه ونصرتموه ورضيتموه وارضيتموه يا اهل العراق هل شغبَ شاغب او نعبَ ناعب او نعق ناعق او زفر زافر الا كنتم اتباعه وانصاره يا اهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع يااهل الشأم انما انا لكم كالظليم الذابّ عن فراخه ينفى عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا اهل الشأم انتم الجبّة والرداء وانتم العدّة والحذاء

(١٣) وكتب عبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية رسالة لكتّاب اوصاهم فيها بمحاسن الآداب وهى « اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرّفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتّاب فى اشرف الجهات أهل الأدب والمروآت والعلم والرزانة

بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لايستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على مايأتى في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به فى مهمات اموره ان يكون حليماً فى موضع الحلم فهيماً فى موضع الحكم مقداماً فى موضع الاقدام محجاماً فى موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار وفياً عند الشدائد عالماً بما يأتى من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق فى اماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته مايرد عليه قبل وروده وعاقبة مايصدر عنه قبل صدوره فيُعِدّ لكل أمر عدته وعتاده ويهيّئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يامعشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيَرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتّاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها فانها

مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة واربؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة ومافيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابّوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احد منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده واخيه فان عرضت فى الشغل محمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من نفسه مايجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير امره ماهو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه والاضطرار الى مالديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسرّاء والضرّاء فنعمت الشيمة هذه من وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب الله عز وجلّ وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكماً وللاشراف مكرماً وللفيء موفراً وللبلاد عامراً وللرعية متألفاً وعن اذاهم متخلفاً وليكن فى مجلسه

متواضعاً حليماً وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على مايوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوباً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً قمع برفق هواها فى طرقها فان استمرت عطفها يسيراً فيساس له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرّبهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التى لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر واعملوا ما امكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النَبْوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزنّ الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه ونباله وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلهما ولا

سيما الكتاب وارباب الآداب وللامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم فى مجلسه قصد الكافى من منطقه وليوجز فى ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله فى صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه فى الغلط المضر ببدنه وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظانٌ او قال قائل ان الذى برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور واجمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته (وانا اقول) فى كتابى هذا ماسبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام

عليكم ورحمة الله وبركاته »

(١٤) وكتب وصاية على شخص الى بعض الرؤساء فقال « حقُّ موصل كتابى هـذا عليك كحقه علىّ اذ رآك موضعاً لامله ورآنى اهلاً لحاجته وقد انجزت الحاجة فصدق امله »

(١٥) وكتب وهومنهزم مع مروان « أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضّته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحلبناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والأيام تزيدنا منكم بعداً واليكم وجداً فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظُفُرٌ جارح من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذى يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء أن يهب لنا ولكم أُلفة جامعة فى دار آمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان فانه رب العالمين وأرحم الراحمين »

(١٦) ووقع جعفر بن يحيى الى رجل شكاه بعض عماله « قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت واما اعتزلت »

(١٧) وكتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق له يدعوه « نحن فى مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك حسناً قد باتت السماء تعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوارها فاحضرنا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض (فكتب اليه) هـذه صفة لو كانت فى أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطى فى ابتغائها فكيف فى موضع انت

تسكنه وتجمع الى أنيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب

(١٨) وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون « كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من قواده وسائر اجناده فى الانقياد والطاعة على احسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم واختلت لذلك احوالهم والتاثت معه أمورهم » فلما قرأه المأمون استحسنه وأمر للجند بعطائهم لسبعة أشهر »

(١٩) وكتب طاهر بن الحسين لابنه أبى العباس عبدالله المعروف بابن طاهر حين ولاه المأمون من الرقه الى مصر كتاباً جمع فيه كل ما تحتاج اليه الأمراء من الآداب والسياسة وهو « بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك فى الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسئول عنه والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذبّ عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والأمن لسبيلهم وادخال الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس امرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه أفعالك المواظبة على ما افترض الله عزوجل

عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس وعلى سننها من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل فى قراءتك وتمكن فى ركوعك وسجودك وتشهدك وتصدق فيها لربك ونبيك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل فى كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه واتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق لله عز وجل عليك ولا تمل عن العدل فيما أحببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهي عن المعاصى والموبقات كلها وبه مع توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالاً له ودركاً للدرجات العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والأنس بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الأمور كلها فليس شىء أبين نفعاً ولا أخصَّ أمناً ولا اجمع فضلاً منه والقصد داعٍ الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد وأثره فى دنياك كلها ولا تقصر فى طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية لاستكثار البر

والسعى له اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته . واعلم ان القصد فى شأن الدنيا يورث العزّ ويحصّن من الذنوب وانك ان تحوط نفسك ومرتبتك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمنّ احداً من الناس فيما توليه من عملك قبل ان تستكشف امره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدوّ الله الشيطان فى امرك مغمزاً فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينقص لذاذة عيشك . واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما احببت كفايته من امورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك ان تستعمل المسألة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا للسنة . واخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك تفرّدَ من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزيٌ بما احسن ومأخوذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزًا ورفع من اتبعه وعزّزه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل

ذلك ولا تهاون فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً فأوف به واذا وعدت خيراً فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة فان اول فساد أمورك فى عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لمطيعها أمر وأحبب اهل الصلاح والصدق وأعز الاشراف بالحق وواس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وأنم بالعدل فى سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيش والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انا مسلَّط افعل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة

بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة للهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادّخرت فى الخزائن لاتنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وتزينت بها الولاة وطاب بها الزمان واعتقد فيها العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام واهله وفرّق منه على اولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك واطيب نفساً بكل ما اردت فاجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ولتعظم خشيتك فيه وانما يبقى من المال ما انفق فى سبيل الله واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد اسبغ عليك نعمته فى الدنيا واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً واحساناً فان الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنباً ولا تمالئن حاسداً ولا ترحمن فاجراً ولا تصلن كفوراً ولا تداهنَنَّ عدواً ولا تصدق نماماً ولا تأمننَّ غدّاراً ولا توالين فاسقاً ولا تتبعن غاوياً ولا تحمدن مرائياً ولا تحقرن انساناً ولا تردن سائلا فقيراً ولا تحسّنن باطلا ولا تلاحظن مضحكاً ولا تخلفن وعداً ولا تزهون فخراً ولا تظهرن غضباً ولا تأتين ندماً ولا تمشين مرحاً

ولا تزكين سفيهاً ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفعنّ الايام عتاباً ولا تغمضنّ عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تطلبنّ ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن اهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم اكثر من منفعتهم وليس شىء أسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح . واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم امرك الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صافاك من أوليائك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصى بمنزلة الحرىّ وهو قول الله عز وجل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم من فيئك حظاً ونصيباً وأيقن ان الجود من افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقاً وارض به عملا ومذهباً وتفقد الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وادرر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم ليذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك وامرك خلوصاً وانشراحاً وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته ذا رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزايل مكروه احد البابين باستشعار فضيلة الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحاً وفلاحاً واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس يعدل به شىء من الامور لانه ميزان الله الذى تعدّل عليه احوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح احوال

الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها بتنجيز الحق والعدل فى القضاء. واشتدّ فى امر الله عز وجل وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وليسكن ريحك ويقرّ حدّك وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك واسدد فى منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجة ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأنّ وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكاً لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوه وعدوهم كبتاً وغيظاً ولاهل الكفر من معاهدتهم ذلاً وصغاراً فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال ولا تكلفن امراً فيه شطط واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لالفتهم وألزم لرضا العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً وانما سمى اهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيّمهم وخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة

لك فيما تقلدت وأُسند اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثة فى عملك واستجررت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب فى كُورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتياض جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فى هذا ولا تقدم عليه شيئاً تحمد فيه مغبة امرك ان شاء الله تعالى . واجعل فى كل كُورة من عملك اميناً يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لاموره كلها فان اردت ان تأمرهم فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمر من اموره وقد اتاه على مايهوى فأغواه على ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم فى كل ماأردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك فى جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغد فانّ لغدٍ اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت امور سلطانك . وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم ممن بلوت صفاء طويتهم وشهدت

مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مساً وأفرد نفسك بالنظر فى امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه احق مسئلة ووكل بأمثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتامام وارامليهم واجعل لهم ارزاقاً من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للاضراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجراية على غيرهم . وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم وقوّاماً يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى اسراف فى بيت المال . واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل امانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعاً فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما يبرم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره منها ماينالله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن اموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل كالذى يستفزّ بما يقربه الى الله تعالى ويلتمس به رحمته وأكثر الاذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن لهم حراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسألة والمنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر من غير تكدر ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة

مربحة ان شاء الله تعالى . واعتبر بما ترى من امور الدنيا ومن مضى قبلك من اهل السلطان والرئاسة فى القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم فى احوالك كلها بأمر الله والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب مافارق ذلك وخالف ما دعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سر واعلامك مافيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقّت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتاً يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرّر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقاً للحق والحزم فأمضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسألة عنه ولا تمنّ على رعيتك ولا غيرهم بمعروف توتيه اليهم ولا تقبل من احد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون فى امور المسلمين ولا تصنعن المعروف الا على ذلك . وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع امورك فان الله عز وجل مع الصلاح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاماً ولاهله عزاً وتمكيناً وللملّة والذمّة عدلاً وصلاحاً . وانا اسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام

(٢٠) ومن نثر ابى الفضل محمد المشهور بابن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه « خير القول ما اغناك جدّه وألهاك هزله المرء اشبه شيء بزمانه وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه اجتنب سلطان الهوى وشيطان الميل المرح والهزل بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد العسر وخلان اذا القحا لم ينتجا غير الشر »

(٢١) وكتب ابو على عبد الرحيم المصرى المعروف بالقاضى الفاضل وزير صلاح الدين الايوبى فى صفة قلعة شاهقة « وهذه القلعة عقاب فى عقاب ونجم فى سحاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة »

(٢٢) وكتب الى عبد الله الطبرى « وصل كتابك فصادفنى قريب العهد بالانطلاق من عنَت الفراق ووافقنى مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الاحوال ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الاشكال واعتقنى من مخالبك اعتاقاً لا تستحق به ولاء وأبرأنى من عهدتك براءة لا تستوجب معها دَرَكاً ولا استثناء ونزع من عنق ربقة الذل فى اخائك بيدَىْ جفائك ورشّ على ما كان يضرم فى ضميرى من نيران الشوق بالسلو وشنّ على ما كان يلتهب فى صدرى من الوجد ماء اليأس ومسح اعشار قلبى فلأم فطورى بجميل الصبر وشعب افلاذ كبدى فلاحم صدوعها بحسن العزاء وتغلغل فى مسالك انفاسى فعوّض عن النزاع اليك نزوعاً عنك ومن الذهاب فيك رجوعاً دونك وكشف عن عينىّ ضبابات ما ألقاه الهوى على بصرى ورفع عنها غيابات ما سدله الشك دون نظرى حتى حدرَ

النقاب عن صفحات شيمك وسفر عن وجوه خليقتك فاذهبْ فقد ألقيتَ حبلَك على غاربك ورددْتُ اليك ذِمَم عهدك »

(٢٣) وكتب ولد ابن العميد ابو الفتح علىّ كتاباً الى بعض اصدقائه يستهديه شراباً وهو « قد اغتنمت الليلة اطال الله بقاءك ياسيدى ومولاى رقدة من عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع اصحابى فى سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام »

(٢٤) وكتب الصاحب بن عباد الى صديق له « نحن يا سيدى فى مجلس غنى الا عنك شاكر الا منك قد تفتحت فيه عيون النَرْجِس وتوردت خدود البَنَفْسَج وفاحت مجامر الأُتْرُج وفُتِقَتْ فأَراتُ النارَنج وانطلقت ألسن العيدان وقامت خطباء الاطيار وهبت رياح الاقداح ونفقت سوق الانس وقام منادى الطرب وامتد سحاب النَدَ فبحياتى الاماحضرت فقد أبَتْ راحُ مجلسنا أن تصفو الا أن تتناولها يمناك وأقسم غناؤه ان لا يطيب حتى تعيه اذناك فخدودُ نارَنجه قد احمرت خجلاً لابطائك وعيون نرجسه قد حدقت تأميلاً للقائك »

(٢٥) وكتب البديع الهمذانى الى ابى نصر بن المرزبان « كنت اطال الله بقاء سيدى ومولاى فى قديم الزمان اتمنى للكتّاب الخير واسأل الله ان يدر عليهم أخلاف الرزق ويمد لهم اكناف العيش ويوطئهم اعراف المجد ويؤتيهم اصناف الفضل ويركبهم اكتاف العز وقصارای ان ارغب الى الله تعالى فى ان لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يمد لهم فى حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسَرْعَ ما ينظرون

من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم ايام اللدونة اوقات الخشونة وازمان العذوبة ساعات الصعوبة وللكتاب مزية فى هذا الباب فبينما هم فى العطلة اخوان كما انتظم السمط وفى العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة أوصك جعالة فيعود عامر ودّهم خراباً وينقلب شراب عهدهم سراباً فما غلت امورهم حتى اسبلت ستورهم ولاعلت قدورهم الا خلت بدورهم ولااتسعت دورهم الاّ ضاقت صدورهم ولا اوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تجلت عتاقهم الا فظعت اخلاقهم ولا صلحت احوالهم الا فسدت افعالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت حدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت ايديهم الا قصرت اياديهم وقصارى احدهم من المجد ان ينصب تحته تحته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه امامه ونائبه من الكرم دار يصهرج ارضها ويزبرج بعضها ويُزوّق سقوفها ويعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان تحمل الغاشية قدامه وتعدو الحاشية امامه وناهيه من الشرف الفاظ فقاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوماً ويحشوها لوماً ولُوماً وهذه صفة فاضلهم ومنهم من يحتمل الود ايام خُشْكاره حتى اذا أيسر جعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله وأليفه رغيفه وانيسه كيسه وامينه يمينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عمدة

خاتمه الا يوم مأتمه فهو يجمع لحادث حياته او وارث مماته يسلك في الغدر كل طريق ويبيع بالدرهم الف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبي سعيد ايده الله انه اذا اخصب آوانا كنفاً من ظله وحبانا من فضله فمن لنا الآن بعدله انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان في صدر الايوان افتضّ عذرة السياسة ببعض المختلفة الىّ وجعل يعرضه للهلاك ويسبّب عليه بمال الاتراك ويشحن داره بالدجّاله ويكدّه بالفرسان والرجّاله وجعلت اكاتبه مرة واقصده اخرى فاذكر له ان الراكب ربما استنزل والوالى ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة في الصدر فما زاده قولى الا غلوًّا في تهكمه وعلوًّا في تحكمه وجعل يمسني الجمر في ظلمه ويبرأ الى من علمه وأقول اذا رأيت ذلة السؤال وعزّه الرّد منه :

قل لى متى فرزنت سر عة ما أرى يابيدق

وما اضيع وقتاً بذكره قطعته هلمّ الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف اكاد اصف شوقاً لايفرع الدهر فروة حاله ولا ينقض عروة انحلاله فما اولانى ان اذكره مجملاً واتركه مفصلاً »

(٢٦) وكتب ايضاً الى القاسم الكرجي « يعز علىّ اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب في خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة

وعلىّ ان اسمى وليـ س علىّ ادراك النجاح

وقد حضرت داره وقبلت جداره ومابى حب الحيطان ولكن

شغفاً بالقطان ولا عشق الجدران ولكن شوقاً الى السكان وحين عدت العوادى عنه امليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول :

ان يكن تركى لقصدك ذنباً فكفى ان لا اراك عقابا

(٢٧) وكتب الى ابى عامر الضبى يعزيه

اذا ماالدهر جر على اناس حوادثه اناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا افيقوا سيلق الشامتون كما لقينا

احسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه أثراً فى نفسه ام لتدبيره عوناً على تصويره أم لعمله تقديماً لامله ام لحيله تأخيراً لأجله كلاً بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا وليتأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم اصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليُذْهب ما ضرّ بما نفع وان احب ان لايحزن فلينظر يمنة هل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فأعد لنعمتها صدراً لايملأه فرحاً ولبؤسها قلباً لا يطيره جزعاً وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمتعة حدّا وللعارية ردّا ولقد نُعى الىّ ابو قبيصة قدس الله روحه وبرّد ضريحه فعرضت على آمالى قعوداً

وامانى سوداً وبكيت والسخى بما يملك وضحكت وشر الشدائد مايضحك وعضضت الاصبع حتى افنيته وذممت الموت حتى تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وامر قد خشن حتى لان ونكر قد عم حتى صار عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر غيوبها وابهمت حتى صار اظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانتها وأزكى ما فى خزانتها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه فى الجزيل وهو الاجر فلير فيهما رأيه ان شاء الله »

(٢٨) وكتب ابو بكر الخوارزمى الى ابن سهل سعيد « وصل كتاب سيدى المنتظر المؤتلف والمستبطأ المتشوف بعد ان عاتبت الدهر على تأخره ولمته وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالاً ورأيته فى النوم خيالاً وبعد ان عددت له الليالى والايام عدّا وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضرباً وعقدا وبعد ان ظننت الظنون بسيدى وبوده وتوهمت الايام فى وفائه وعهده وحسبت وانا استغفر الله انه قد أثبت اسمه فى جريدة الغدر وجانس ابناء الدهر وبعد أن انشدت فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى علمتك الايام كيف تخون

فويلى ان لم يعف سيدى عنى ولم يغفر لى مابدر منى ولم يجعلنى فى حل من سوء ظنى وفهمته ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته ثم تزودت فى ذلك حتى حفظت غاية باآته وصارت روايته تقطع على صلاتى وتستهلك اكثر اوقاتى ثم عرضته على اصدقائى واصدقاء ولائى فمامنهم الا من

سألنيه ونافسني فيه واستعارنيه ونيته ان لا يرد العارية ولا يؤدى الامانة ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه ذكر سيدى من شوقى اليه مالم يتكلم فيه الا عن لسانى ولم يترجم الا عن شانى ولقد طويت بعده بساط المدام ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا وفارقت الغناء بثاثا حتى جفت الاقداح واستخصتنى الراح ونسى بنانى الاترج والتفاح ولقد ترك سيدى بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه وآثار الفرح والأنس طامسه وديار المنادمة والمجالسة مقفره واطلال المحادثة والمساعدة متنكره قدهبت عليها بغتة ريح الادبار وطلع عليها نجم البلاء والاقفار ونفذ فيها حكم الفناء ولمستها يد العفاء سألنى سيدى عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه وان كان لايلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضاً منه وكيف يغبّ ذكره من لا يفتح عينيه على اكرم منه عليه واحب منه اليه وقد عرفته انّا هجرْنا الشراب واغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا فى كل فترة نبوة او بيعة خلافة فلا نقل الا تذكاره ولا تحية الا اذكاره ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن ولا اقتراح على المغنى الاشعر فى اوّله ذكر غيبته وفى آخره تمنى او بته رد الله تعالى سيدى الى اخوانه الذين انا اولهم فى المحبة وان كنت آخرهم فى الرتبة على حالة يقع الشكر وراء حقها وتكل مطايا التعديد والبشر فى مسافات طرقها والناس يقولون ردّك الله سالماً الى سالمين وانا اقول ردّك تعالى غانماً الى غانمين فان من سعد بلقياك فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعتك فهو غارم وارجو ان يتقدم سيدى بوصوله عند الفطر فيجتمع لى عيدان وفطران

كما اجتمع عليّ بغيبته صومان على ان صوم العين أشد من صوم البطن فان مسافة صوم العين مجهولة الأمد والعدد مخوفة الزيادة والمدد ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة قريب العشية من الغدوة فحصتى من صوم هذه السنة المباركة حصتان ويومى منه يومان وتأبى صروف الدهر ان تأتينى الا مزدوجة فى قران وذلك انى صمت عن النظر الى طلعة سيدى شهرى رجب وشعبان وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان وقد قال الخليع الشامي :

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران

وانا أقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة فمتى يعيش فتى له صومان

(٢٩) وكتب الى تلميذ له « وصل كتابك يا سيدى فسرّنى نظرى اليه ثم غمنى اطلاعى عليه لما تضمنه من ذكر علتك جعل الله اولها كفارة وآخرها عافية ولا اعدمك على الاولى اجرا وعلى الاخرى شكرا وبودى لو قرب على متناول عيادتك فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك فلقد خصنى من هذه العلة قسم كقسمك ومرض قلبي لمرض جسمك واظن انى لو لقيتك عليلاً لانصرفت عنك وانا أعلّ منك فانى بحمد الله تعالى جَلْدٌ على اوجاع اعضائى غير جلد على اوجاع اصدقائى ينبوعنى سهم الدهر اذا رمانى وينفذ فىّ اذا رمى اخوانى فأقرب سهامه منى أبعد سهامه عنى كما ان ابعدها عنى اقربها منى شفاك الله وعافاك وكفانى فيك المحذور وكفاك ورفع جنبك وغفر ذنبك وآمن سربك وشرح قلبك واعلى كعبك

(٣٠) وكتب الى صديق « الايام ايدك الله بيني وبينك تراجمة لي عن صحة وفائك وشهود عندي على صدق اخائك واقل حقوقك عليّ يُلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك ولا قلبي الا بذكرك ولو تجاوز طبقات اهل مودتك في ميدان المقة وتنازعوا خصل الانس والثقة رجوت ان اكون سابقاً ليس له سابق ولا يذكر معه لاحق وان تجلى الغاية مني عن محبة مربّاة بالوفاء وعن شكر مُرْضَع بالدعاء وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره وان كان فوق اعمال عصره فشكرتك عنه وان كان بشكرك اوفى واملى وبايفائك حقك احق واولى واردت ان اكل شكرك اليه ولا اتطفل فيه عليه فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها اسم وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم فذكرته لك وانت له اذكر وشكرتك عنه وهو لك مني اشكر على اني ارغب بذلك الحُرّ عن التلطخ باوضار الاعمال فانها مزالق اقدام الرجال ضناً به عن تخاليط الايام وصيانة لمحله عن مدانسة الاوهام ونعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه بل اكثرها لي دونه فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين وتستعبدك حرين وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك ورفرفت حوله اجنحة رعايتك ان ينبو عنه سيف الزمان مثلوما ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل أسأل أن لا يحرمك نعمة يُمدُّ بها اليك عنقُ ودود ومنة تفقأ عنك عين حسود اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتي وانه ليسرني ان اخطر ببالك ويسوءني ان اصير زيادة في اشغالك ولا تجشم نفسك فان خيالك في كل ليلة نائب عندي عنك وان لم يكن

فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك »

(٣١) ومن مقامات الحريرى « المقامة السادسة المراغية . روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان البراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غرّاء او يفترع رسالة عذراء وان المنلق من كتّاب هذا الاوان المتمكن من ازمّة البيان كالعيال على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس فى الحاشية عند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم فى شوْطهم ونثروا العجوة والنجوة من نوْطهم ينبىء تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبرى النبال ورابض يبغى النضال فلما نثلث الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت الزماجر وسكت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئاً إدّا وجرتم عن القصد جدّا وعظمتم العظام الرّفات وافتتم فى الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودّات أنسيتم ياجهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرائح وبرّز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدماء اذا أنعم النظر من حضرَ غير المعانى المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد وانى لأعرف الآن من اذا أنشا وشّى واذا عبّر حبّر وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز وان

بَدَه شَدَه ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الاعيان من قارع هذى الصفاة وقريع هذه الصفات فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذاشئت ذاك فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتميز عندنا بين الفضة والقَضّة متيسر وفلّ من استهدف للنضال تخلص من الداء العضال او استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه وسيتفرّى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعمد فيه تقليبه فقال احدهم ذروه فى حصّتى لأرميه بحجر قصتى فانها عضلة العُقَد ومحك المنتقد فقلدوه فى هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نَعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أنى أوالى هـذا الوالى وأرقّح حالى بالبيان الحالى وكنت استعين على تقويم اودى فى بلدى بسعة ذات يدى مع قلة عددى فلما ثقل حاذى ونفذ رذاذى امتحه من ارجائى برجائى ودعوته لاعادة روائى وإروائى فهش للوفادة وراح وغدا بالافادة وراح فلما استأذنته فى المِراح الى المُراح على كاهل المِراح قال قد ازمعت ان لا ازوّدك بتاتاً ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ لى امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن قط وقد استأنيت بيانى حولا فما احار قولا ونبهت فكرى سنة فما ازداد الا سِنة واستعنت بقاطبة الكُتّاب فكل منهم قطّب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية ان كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعيوبا واستسقيت

أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأسكنت الدار بانيها ثم فكّر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته وقال ألقِ دواتك واقرب وخذ أداتك واكتب

الكرم ثبّت الله جيش سعودك يزين واللؤم غضّ الدهر جفن حسودك يشين والاروع يثيب والمُعْوِر يخيب والخلاحل يُضيف والماحل يخيف والسمح يغذِي والمحك يقذى والعطاء ينجى والمطال يُشجِي والدعاء يقى والمدح يتقى والحر يجزى والالطاط يخزى واطراح ذى الحرمة غىّ ومحرمة بنى الآمال بغْى وما ضن إلاّ غبين ولا غبن الا ضنين ولا خزن الاّ شقى ولا قبض راحه نقى وما فتئ وعدك بنى وآراؤك تشفى وهلالك يضى وحلمك يغضى وآلاؤك تغنى وأعداؤك تثنى وحُسامك يفنى وسُودَدُك يقنى ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى وسماحك يُغيث وسماؤك تَغيث ودَرُّك يفيض ورِدُّك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فئ ولم يبق له شيء أمَكَ بظنّ حرصه يثب ومدحك بنخب مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف واطراؤه يجتذب وملامه يجتنب ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم جنف وعمهم قشف وهو فى دمع يجيب ووله يذيب وهمّ تضيف وكمد نيف لمأمول خيب واهمال شيب وعدوّ نيب وهدوّ تغيب ولم يزغ وده فيغضب ولا خبث عوده فيقضب ولا نفث صدره فينفض ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضى كرمك نبذ حرمه فبيضْ امله بتخفيف ألمه ينثُّ حمدك بين عالمه بقيت لاماطة شجبْ واعطاء نشبْ ومداواة شجنْ ومراعاة يفنْ موصولا بخفض وسرور غض ما غشِي معهد غنيّ او خشِى وهمُ غبي والسلام فلما فرغ من املاء رسالته وجلى فى هيجاء البلاغة عن بسالته

ارضته الجماعة فعلاً وقولا واوسعته حفاوة وطَوْلا ثم سئل من اى الشعوب نجاره وفى اى الشعاب وجاره فقال :

غسّان اسرتى الصميمه وسروج تربتى القديمه
فالبيت مثل الشمس اشـ ـراقاً ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مط يبةً ومنزهة وقيمه
واهاً لعيش كان لى فيها ولذاتٍ عميمه
ايامَ اسحب مُطرفى فى روضها ماضى العزيمه
اختال فى برد الشبا ب وأجتلى النعم الوسيمه
لا اتقى نوبَ الزما ن ولا حوادثه المليمه
فلو أنّ كَرْباً متلف لتلفت من كُربى المقيمه
او يُفتدَى عيش مضى لفدته مهجتى الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه
تقتاده بُرَةُ الصغا ر الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها ايدى الضباع المستضيمه
والذنب للايام لو لا شؤمها لم تَنْبُ شيمه
ولو استقامت كانت الـ احوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نما الى الوالى فملأ فاه باللآلى وسامه ان ينضوى الى احشائه ويلي ديوان انشائه فأحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء (قال الراوى) وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبّه على علوّ قدره قبل استنارة بدره فأوحى الىّ بايماض جفنه أن لا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزاً بالفلج

شيعته قاضياً حق الرعاية ولاحياً له على رفض الولاية فأعرض متبسما وانشد مترنما :

لجَوْب البلاد مع المتربه احبّ الى من المرتبه
لان الولاة لهم نَبْوة ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيّد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السراب ولا تأت أمراً اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلْمه وأدركه الروع لما انتبه

(٣٢) ومن اطواق الذهب (المقامة الثامنة) « ما اسعدك لو كنت فى سلامة الضمير كسلاسة الماء النمير وفى النقاء عن الريبة كمرآة الغريبة وفى نفاذ الطيّة كصدر الخَطِيّة وفى اخذ الاهبة كالواقع فى النُهْبَة لكنك ذو تكدير كرجرجة الغدير ومتلطخ بالخبائث كخرقة الطامث وذو عَجْز وتوانى كمكْسال الغوانى وتارك للاستعداد كالشاكّ فى المَعاد

(٣٣) ومن اطباق الذهب (المقالة السابعة والعشرون) « اشرف الانفاس أحرُّها وأفضل الاذكار اسرُّها وراء الجهر بالدعاء لام والذى يحسن افشاؤه سلام ترك الذكر يشبه الكبرياء واعلانه يوجب الرياء واخفاؤه سنة زكرياء فاذا دعوت الله فمِمّ ولا تجهر فانك لا تنادى الصمّ انه لا يسمع بالنضروف ولا يحتاج منك الى الاصوات والحروف هو راحم النمال العمش ورازق النعاب فى العش يعلم خطرات الاوهام كما يحصر قطرات الرهام فيا ايها الملح فى الدعاء ويا جهورى النداء أتسترزق بالالحاح والارهاق وتقتضى القضيم

بالنهاق للعجول اذا حرص جؤار وللعجول اذا نهم خوار وللاتان على الأرى نهيق وللضفدع فى الأدى نقيق والحريص سريع السغب كثير الشغب والقانع لا يستنبط الماء بنقرات المعول والمخلص يدعو بسره لا بحركات المقول والصبر من الهلع اجمل والنية ابلغ واعمل والصمت من الصراخ انفع والقيل من العصفور اشبع والحوت الصموت اقنع وزعاق الضفادع اشنع ولسان الحال افصح وبساط الرحمة افسح فسبح تسبيح الحيتان فى النهر واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر وأقل من سؤالك فهو فعال لما يريد واخفض من ندائك فهو اقرب اليك من حبل الوريد

(٣٤) وكتب محمد بن حبيب الحلبى صاحب كتاب نسيم الصبا المتوفى سنة ٧٧٩ فى وصف السماء وزينتها « ايقظتنى ليلة دواعى الهموم فنظرت نظرة فى النجوم فاذا السماء كأنها روضة مزهرة او صرح كنس جواريه مسفرة أو غدير تطفو عليه الفواقع أو بنفسج نور اقاحه لامع أو مسح القى عليه درر غوّاص او ستر به لعين كل نجم وصواص او جمر فى خلال رماد او كما قال من أجاد :

بساط زمرد نثرت عليه دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة يجرى فى سندسها ويسرى ليسقى ذابل نرجسها يا له من نهر صفا ماؤه وعقد على الافق لواؤه يتقلب القلب اليه ويقف طرف الطرف عليه ويقبل نحوه الدبران وينصب على شطه الميزان ويحوم حوله النسران ويعوم فيه الحوت والسرطان

والثريا كاكرة او لجام او بنان او طائر او وشاح

او باقة من نرجس اوكأس يدار فى المجلس او شمع يتوقد او شمس من عسجد او شذر منضود او كرم او عنقود او عقد لؤلؤ حسن الاتساق او اقراط خود ترتعد فرقاً من الفراق

وسهيل كوجنة الحب فى اللو ن وقلب المحب فى الخفقان

او كمصباح تلعب به ايدى الرياح او ظامىء يريد ان يرد او فارس فى حمى الحمى مجتهد او مشوق يتبع الآثار او غريب لا يزور ولا يزار او غريق يدعى قوة السباحة او ماجد انف من الذل فالف السياحة او مغاضب يدعى فلا يجيب او محب يغض الطرف ويفتحه خوف الرقيب والجوزاء النيرة كالشجرة المنوّرة

كانها منطقة من ذهب قد عقدت على قباء ازرق

والفرقدان الهاديان المرشدان

كانهما القان قال كلاهما لشخص اخيه قل فانى سامع

والذراع يذرع شقة الافق والجبهة تسجد على مفارق الطرق والعيوق يعوق عن السير اذا سار والعواء اعينها نشاوى قد تغشاها خمار والسماك معتقل رمحه والنثرة منتظمة كالسبحة والنعائم تحدوها النعامى وزهرة الزهرة تضىء بين الحزامى وبهرام يخجل البهرمان والاكليل ليس يكل من مسايرة الاظعان والمقدم لا يتأخر عن الاعناق والايجاف والصرفة قد همت مع العسكر بالانصراف

تمر بواديا ليلاً وتطوى نهاراً مثل ما طوى الازار

فكم بصقالها صدى البرايا وما يصدى لها ابداً غرار

فبينما انا اسرح فى درر الدرارى نظرى واروّض فى رياضها جواد فكرى واقدس من هى مسخرات بامره وانزه من هدى خلقه فى بره وبحره اذ هب نسيم السحر يروى عن اهل نجد اطيب الخبر فعطر الكون بعرفه وملك الرق برقته ولطفه واهدى الروح الى الارواح واطرب السمع باحاديثه الصحاح

فهو حياة لكل حىّ كأن انفاسه نفوس

فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده وسربمناجاته سرّى وقلت له والدموع تجرى

اعد ذكر من حل الغضى يامحدثى وان اضرموه بالاضالع والصدر

ولا تنس سكان العقيق وان هم على وجنتى اجروه فى مدة الهجر

فلما اتممت الانشاء والانشاد وشرعت فى طلب الاسعاف والاسعاد تبسم الفجر ضاحكاً من شرقه ونصب اعلامه على منازل أفقه فانطوى نشر الليل وكف من غمره الذيل وارتفت الحجب وتأججت نار الشهب واقتنص بازى الضوء غراب الظلام وفض كافور النور عن الغسق مسك الختام

وشرد الصبح عناالليل فاتضحت سطوره البيض فى الواحه السود وفلت جيوش الدجا وحرك النهار منه ما سجا وجنح جنحه الى الرحيل وتلالسان حال التحويل يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار

(٣٥) وله أيضاً فى وصف الشمس والقمر « بكرت يوماً بعد اداء الفرض اتفكر فى خلق السموات والارض فلمحت المشرق بالنظر واذا

قرن الغزالة قد ظهر كأنه جذوة نار أو قطعة من دينار او كأس ستر بعضه بالحباب أوحسناء غطت وجهها بنقاب ثم كشفت استارها وألقت على الافق أنوارها وبرزت كانها كرة فى ميدان او مجن دولاب ضمخ بالزعفران أومرآة لم تصقل ولم تطرق او وجه المليحة فى خمار ازرق أو سبيكة زجاج منتفخة الجوانب او بودقة يحرك فيها ذهب ذائب

وكأنها عند انبساط شعاعها تبر يذوب على فروع المشرق

فقلت اهلا بالجارية التى فى طلعتها ما يغنى عن الجارية والعين التى تغار منها العين والجونة التى وضح منها الجبين والسراج الوهاج التى تبرجت بها الابراج انت المخصوصة بالشرف والرفعة أنت واسطة عقد الكواكب السبعة انت للحكمة برهان وللفلك معيار وميزان انت الناطقة فى صمتها التى قصر البليغ عن وصفها ونعتها انت ملك مقدم انت النير الاعظم انت يوح التى تغدو فى مصالح العالم وتروح انت ذكا التى ذكت نارها انت الضحى التى علا منارها انت الشمس التى بها تعرف الاوقات الخمس بك ينشر الظل ويطوى ويشتد النبات بعد ضعفه ويقوى ويستدل على طريق الصواب ويعلم عدد السنين والحساب لما سفرت رافلة فى الحلل المعصفرة محيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة وناهيك بها منزلة وحسبك ان صفاتك فى الكتاب منزلة ثم تمشت على بساطها وخطرت في وشيها ورياطها وسبحت فى فلكها مرشدة الى الحقائق مظهرة اسرار الساعات والدرج والدقائق

تسمو الى كبد السماء كأنها تبغى هناك دفاع امر معضل

واستمرت سائرة يحدوها مرّ النسيم والشمس تجرى لمستقر لها

ذلك تقدير العزيز العليم فلم يزل فكري يصاحبها وطرفي يرعاها ويراقبها

حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وقفت كوقفة سائل عن منزل

ثم انثنت تبغي الخدور كانها طير هفا لمخافة من أجدل

فلما حجبت عن العيون شخصها وخطف المغرب من يد المشرق

قرصها واكتحلت جفون الافق بالنار وطرد زنجيّ الليل رومي النهار

بزغ الهلال بأمر ذي الجلال كانه قوس موتور او زورق منحدر

في بحر الديجور اوشطر سوار او منجل معد لحصاد الاعمار او خنجر

مرهف النصلين او نون مرسومة من لجين او شفة كاس مائلة او

مخلب عقاب صائلة او قطعة من قيد او فخ نصب للصيد او حرف

جيم أو عرجون قديم او حاجب شيخ ادركه الشمط او نعل من

حافر ادهم الدجا سقط او ذباب سيف خرج من جفنه او راكع يعبد

من لا يحدث امر الا باذنه وفي معناه من قصيدة

وترى الهلال يلوح في افق السما يبدو كقوس بالمنى يرميني

او شبه فخ او كدملج غادة وكجانب المرآة والعرجون

وجبين حب بالعمامة قد زها وكوجه خود بالنقاب مصون

وكناب فيل او قلامة انمل وكزورق وكحاجب مقرون

اوكالسوار ازيل منه البعض أو قربوس سرج مذهب اونون

وكشأفة الكاس المخبأ بعضه ضمن الشفاه ومنجل مسنون

هو منجل الاعمار للحصد الذي يفني اولي التزيين والتحسين

واذا مضى سبع تراه كأنه نصف لتعويذ بدا لعيون

واذا تكامل صار جاماً صافياً وكأنه من لؤلؤ مكنون

اوغادة فداسفرت عن وجهها غنيت عن التحسين والتزيين

هذا هو المشهور فى تشبيهه قدما وذلك جمعه يكفينى

فقلت مرحبا بمن ثياب مناوئه رثاث قرّ عينا ستعود قراً بعد ثلاث ثم تصير بدرا ان فى ذلك لذكرى

واذا رأيت من الهلال نموّه أيقنت ان سيكون بدرا كاملا

أنت الزمهرير الذى ليس له فى نضارته نظير انت الزبرقان الذي له فى كل شهر مهرجان ايها القمر كم محب طاب له فيك السمر ايها الواضح الباهر ما أنت الا مثل سائر أيها البدر الكامل الذى فضله للبرية شامل لاتأس على ما فاتك من الدرج ولا يكن فى صدرك من الغزالة حرج

فقد تخمد الشمس الصباح بضوئها تفاوتت الانوار والكل رائق منازلك معروفة ومحاسنك موصوفة وشرفك باذخ وقدمك راسخ وآياتك ظاهرة وسفارتك سافرة كم اوضحت من طريق وهديت الرفيق الى الفريق وذكرت محبوباً لمحبوبه وبلّغت طالباً غاية مطلوبه أحسن بضوء ذبالتك وحسبى مثلاً بهالتك جعلك البارى فى السموات نورا وكان امر الله قدراً مقدورا فسبحان من جلا بمحياك حندس الغسق واقسم بك فى قوله والقمر اذا اتسق قدرك أثيث أثيل ومحبك نبيه نبيل ووجهك يابثينة الحسن جميل

على رسل فمالك من مجار الى رتب العلاء ولا رسيل

فتبارك اسم من ألبسكما احسن الحبر وتعالى جد من جعلكما مصباحين لاهل النظر ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم لم

يبرح يسرى وانا لا ابرح وينجلى وانا اشاهد وجهه الاصبح الى ان غاب واختفى وحسبنا الله وكفى

(٣٦) وله أيضاً فى وصف البحر والنهر «هزتنى رياح الامل البسيط الى امتطاء ثبج البحر المحيط فأتيت سفينة يطيب للسفر مثواها وركبت فيها باسم الله مجراها ومرساها موقنا بان المقدور صائر معرضاً عن قول الشاعر

لا اركب البحر اخشى على منه المعاطب
طين انا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

يا لها سفينة على الاموال امينة ذات دسر والواح تجرى مع الرياح وتطير بغير جناح وتتعاض عن الحادى بالملاّح تخوض وتلعب وترد ولا تشرب لها قلاع كالقلاع وشراع يحجب الشعاع وسكينة وسكان ومكانة وامكان وجؤجؤ وفقار واضلاع محكمة بالقار وجسم عار من الفؤاد وهو فى عين الماء بمنزلة السواد بعيدة ما بين السحر والنحر من احسن الجوارى المنشآت فى البحر معقوداً بنواصيها الخير كالخيل لا تمل من سير النهار ولا من سُرى الليل

ما رأى الناس من قصور على الما ء سواها تسير سير القداح

كأنها وعل ينحط من شاهق او عرباض سابق يحثه سائق او عقرب شائلة اوعقاب صائلة او غراب اعصم او تمساح او ارقم او ظليم نفر فى الظلام او جواد فر مستنكفاً من صحبة الانام حاكمها عادل فى حكمه عارف بنقض امرها وبرمه يهتدى بالنجوم ويبتدى باسم الحى القيوم يبرز من نواتيها فى جنود يشمل احسانهم اهلها ايقاظاً وهم رقود يتأنقون فيما يعمرون ويفعلون ما يؤمرون

يكثرون الصياح حتى كان السـ فمن تجرى من خوف ذاك الصياح

فبينما نحن من البحر فى قاموسه كتب الجو حروف الغيم فى طروسه وثارت ريح عاصف يتبعها رعد قاصف فمالت بنا الفلك واضطربت ودنت شفتها من رشف الماء واقتربت واستمرت ترفع وتخفض وتقرب وترفض وتعلو على الاوتاد وتهيم فى كل واد وتحوم وتحول وتجود وتجول وتضرم فى الكبود نار ناجر الى ان بلغت القلوب الحناجر

الا فارجه واخشه انه هو البحر فيه الغنى والغرق

ثم نظر الينا من لا تخفى عليه السرائر وامر الجارية بحمل العبيد الى بعض الجزائر فلم ندر الا ونحن تجاه جزيرة تسر النفوس بمحاسنها الغزيرة فانحدرت ماضياً الى بنيها نائباً عن السفينة وساكنيها فوجدتها مخضرة الافنان مخضلة الكثبان بها من الياقوت ما يرجع خاسئاً مناويه ومن الاشجار ما يحمل الفواكه والافاويه وبين رياضها نهر شديد الخضر ارضه ذهب وحصباؤه درر ومواجه عكن وداراته سرر

عذب اذا ما عبَّ منه ناهل فكأنه من ريق خود ينهل

لين الاديم مزاجه من تسنيم يصقله الصبا ويفركه النسيم فكأنه دروع موضونة او مبارد مسنونة او دمع يتسلسل او افاع تتململ او ذوب فضة يسيل او صفحة سيف صقيل او لوح بلور مرقوم او رحيق بالمسك مختوم

وكان الطير اذ وردته من صفاء به تزق فراخا

ان مالت اليه الغصون فالشخوص ترقص فى الخيال وان كرعت منه الظباء فالغيد يرشفن من ثغور اترابهن الزلال وان أشرقت عليه النجوم

خلت الفلك يدور فى ارجائه وان تجلى له البدر حسبته قلباً خافقاً بين احشائه

قال مؤيد الدين الطغرائى :

والشمس ان وافته راد الضحى حسناء فى مرآته ناظره

انموذج الماء الذى جاءنا الـ وعد بان نسقاه فى الآخره

فلبثت فيها مدة مفكراً فيما رأيت من الفرج بعد الشدة مؤمنا بالقدر خيره وشره وحلوه ومره واقفاً على شكر من تجرى الفلك فى البحر بأمره

ربما تجزع النفوس لامر ولها فرجة كحل العقال

ولم أزل بها فى أحسن حال وأرغد عيش وأنعم بال الى أن حرك الله منى ما كان ساكنا وأدخلنى مصر بمشيئته آمنا

(٣٧) وكتب المغفور له عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ عن الحضرة الخديوية الى ملك دارفور « حمدا لمن الف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخواناً فى الدين وصلاة وسلاما على رسول جنابه وسيد احبابه وعلى آله واصحابه من كافل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوة السادة الأماجد الجامع ماتفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقرة عين المجد الأعلى بحر الفضل الزاخر وبدر سماء المحاسن والمفاخر وفخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدى سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما فى صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر

عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحف بطوالع السعد أيامه ولياليه بينما نحن فى انتظار مايرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل ورد لنا خطابكم الكريم فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحتكم وما أبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحة ويلحظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جناته كان قد جعل فلاناً وكيلا فى رؤية اموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضاً قررناه فى هذه الوظيفة وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفة وسيجد منا فى ذلك حسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاضدة ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ما هو موضح بالبطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو ان تتصل بيننا روابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال .

(٣٨) ولما سافر رحمه الله الى مؤتمر المستشرقين بمدينة استُكهلم عاصمة مملكة السويد أرسل كتاباً الى صاحب الدولة رياض باشا صورته :

« دولنلو افندم حضرتلرى »

« اقدم من تحايا التبجيل والتكريم مايليق بذلك المقام الكريم داعياً بدوام ظلال الاقبال وجمال الاحوال وكمال الآمال اعطر الارجاء

بأريج الثناء وأستقبل قبلة الاجابة بخير الدعاء وقبل هذا حررت لسيدى الباشا على الهمم مبارك الطلعة المحترم وذكرت بعض الجهات التى وردناها فى طريق الوجهة التى قصدناها وكتبت ايضاً لبعض الاجلاء من السادة الاخلاء ولبثت انتظر أن يجيبنى احد بسطر أو بعض سطر ولو بقدر قلامة ظفر فما جاءنى عن الدار ولا غيرها خبر حتى حررت بالتلغراف لبعض الاصدقاء فلم يظهر قبل وصولنا الى السويد أثر اللهم الا انى كتبت من باريس يوم العيد بالتلغراف للمعية السنية قياماً بواجب العبودية من التعييد والتبريك لجناب ولى النعم الخديو الاعظم السعيد ابقاه الله ممتعاً بأنجاله وجميع آله بعمر مديد وحظ مزيد مهنأ بالاعياد والمواسم وثغور المسرة له كمحياه السعيد بواسم يشيع الماضى مبرورا ويستقبل الآتى مسرورا ويكسوها من نوره نورا فجاءنى الجواب فى بياض اليوم لم يتأخر مبشرا بالقبول والممنونية وذلك لدينا عيد اكبر وحظ اوفر وسجدنا لله داعين ومؤمنين ومسرين ومعلنين ولم يزل دأبنا فى كل موضع حللناه وموقع نزلناه نؤدى وظيفة الدعاء أحسن الاداء وننشر الوية مدائحه الجليلة عاطرة النشر ونخلد فى المسامع والمجامع طيب الذكر ونعدد مانعلم من المآثر الغراء والمفاخر الحسناء تربو على الاحصاء ونستتبعها بذكر محاسن امراء رجاله الامناء الموازرين له فى اعماله الناسجين على منواله فى محاسن خلاله وأقمنا فى باريس نحو عشرين يوماً نراجع ما كتبناه بمصر من المواضيع التى حررناها للعرض على المؤتمر السويدى ونعيد عليها النظر وفى خلال ذلك نتردد على معرض باريس العام وغيره من المواضع الشهيرة فشاهدنا من الصنائع والبضائع وأنواع البدائع والنظام والاتقان والاحكام مايحتاج فى ايضاحه

من البيان وتقريبه للأفهام الى مجلدات ضخام واستخدام اعوام وسنذكر في الرحلة ان شاء الله مما رأيناهُ في هذه العاصمة وغيرها ما يبلغه الجهد ويساعد عليه الحال وفي اثناء تلك المدة اردنا معاينة المدارس الموجودة هنا فصادفنا الوقت وقت عطلة فكانت كلها مقفلة معطلة فلم احصل على الغرض من ذلك الا اني لم آل جهدا في تحصيل قدر كاف من پروجراماتها وقوانينها وترتيباتها عن انواع متنوعة من ابتدائية وثانوية وخصوصية بعضها بالشراء وبعضها بالاستهداء واحضرت جملة جداول وبيانات عن بعض ادوات التعليم واثمانها ومحلات بيعها وشاهدنا جملة من المدارس المذكورة مختلفة الانواع الا انها خالية من الدروس والمدرسين والتلامذة ليس بها الا البواب وبعض الخدم فرأينا محلات التدريس وبعض ادوات التعليم وكان من جملة ما رأيناه مدرسة زراعية سافرنا اليها من باريس بسكة الحديد ورجعنا في يومنا وكانت مغلقة ايضاً ولم نجد مدرسة من التي رأيناها جاريا فيها العمل الا مدرسة خاصة بالاطفال الصغار من سن سنتين ونصف وثلاث سنين يقيمون بها الى سن ستة ويتولى امرهم فيها معلمات قد صرن لهن كالامهات المشفقات يتحببن اليهم ويتحببون اليهن ويراعين تعليمهم بطرق سهلة في غاية البساطة واللطافة والملاءمة لحال الطفل لا يظنها الا من اللعب والمحادثة وقد احضرنا ترتيباً عنها مفصلا واعجبتني الطريقة المتبعة بها جدا ثم سرنا من باريس الى لوندره واقمنا بها اياماً ومنها الى محل المأمورية معرجين على روتردام ثم لَيْدِن ثم امستردام ثم كولونيا ثم هامبورج ثم كوبنهاج ثم مالمو وهي اول ثغور مملكة السويد وفي اثناء مسيرنا منها الى العاصمة صادفنا من معتبري البلاد من عرف من هيئة ملابسنا المشرقية من الطربوش والعمامة اننا من اعضاء المؤتمر

الذين طوحت بهم الى بلادهم مرامى السفر فصاروا يتعرفون الينا ويتقربون مناويلاطفوننا غاية الملاطفة ويجملون لنا المقابلة والمعاملة الى ان وصلنا الى استكهلم ونزلنا الأوتيل وهناك اجتمعنا بالكونت لاندبرح فخضر وسلم علينا ومضينا معه الى مكتب المؤتمر محل اشغاله فاطلعنا على المحل المعد لانعقاد المؤتمر فى جلساته العامة والخاصة ومواضعنا فيه وهى فى جزء مرتفع عن باقيه بدرج وبه كرسى للملك وخلف ظهره العائلة الملوكية وعن يساره موقف من يخطب وكراسى لجلوس الوفد المصرى وعن يمينه بعض وزرائه وسفير العجم فى الاستانة العلية محسن خان والوفد العثمانى وبقية وفد العجم وبين يديه الكتب المهداة اليه وفى باقى المحل اسفل من هذه الدرجة مواضع باقى الناس اعضاء المؤتمر والمحل يسع فوق خمسمائة نفس وفى اعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النساء به يسع نحو مائة وخمسين وأعطى الكونت لكل واحد منا علامة العضوية فى المؤتمر وهى شبه وردة من قماش لماع ملون بالالوان الموجودة فى علَمى السويد والنرويج مثبتة فى شبه زر يجعل فى عروة السترة لبس الملك واحدة منها

وقد حضر فى اثناء وجودنا هناك فرآنا وعرفه بنا الكونت فسلم علينا بيده واحداً واحداً وقابلنا بغاية البشاشة ولما سلم علىّ اظهر محبته للجناب الخديو المعظم وشكره على ارسال الوفد وسروره بحضورى ولما سلم على امين بك قال له انت ترجمانى لوالدك وفى ثانى يوم وهو يوم الاحد طلبنا الى سرايته بعربات حضرت الينا لمقابلته المقابلة الرسمية ولم تكن المقابلة الامسية رسمية فتوجهنا بالكساوى التشريفية والنياشين كما اشير علينا فلما دخلنا عليه وجدناه بالكسوة التشريفية والنشانات ايضاً فاعلن المسرة

والممنونية والثناء على الجناب الخديو الفخيم وسلمت اليه المحرر الكريم الخديو وأجبت قائلاً :

« مولاى أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والاجلال والثناء الفائق من لدن مولاى خديو مصر المعظم مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوى على خالص المودة المتضمن تعيينى وتعيين رفاقى المائلين بين يدى عظمتكم للحضور فى المؤتمر العمومى العلمى الذى توجهت خواطركم الملوكية لانعقاده فى هذه المملكة العامرة لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرق والغربى فيه ولم يكن ذلك ليتأتى الا بتوجه همة الملوك اليه فلك يامولاى الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجميل واختم قولى بتقديم واجب تشكراتى لما نلت من لطف الرعاية الملوكية لا سيما فى هذا الموقف النبيل لا زال موقع اجلال ومنتهى كمال » وكان ذلك يوم الاحد اول سبتمبر سنة ١٨٨٩

وبعد ذلك انصرفنا وفى ثانى يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر وحضر الملك فى الميعاد المقرر وحضر الناس واخذ كل موضعه فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة القاها وأجاد فيها وفى حسن ادائها قال فى ضمنها « ان السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد وليست الآن الا للعلم » ومضى فيها حتى اتمها واقفاً والناس بين يديه وقوف ثم جلس وخطب بعده المسيو كريمر وافد النمسا ثم سفير العجم فخطب خطبة باللغة الفارسية ثم وافد السلطنة العلية العثمانية احمد مدحت افندى فتلا مقالة باللغة التركية ثم اشير الىّ فقمت وانشدت قصيدة كنت اعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس فاتممتها فى الطريق وبيضتها فى استكهلم فابتدأت أقول

اليوم أسفر للعلوم نهار وبدت لشمس سمائها انوار

ومضيت فيها الى آخرها وصفق الناس لكل من خطب وبالجملة لى لما اتممت الانشاد وخاطبني أناس منهم باستحسانها فى اليوم وحضر كاتب المؤتمر على اثر الفراغ منها وسارّنى بطلب نسختها فاخذها فى الحفلة وخطب بعد ذلك اناس منهم الموسيو شفر وافد فرنسا وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علمية ثم قام الملك وودع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا وقال حسنا وانصرف وانصرفنا وانفضت الحفلة وارفضّت الجمعية وبعد ذلك انقسم المؤتمر الى فصول متعددة فكنا فى الفصل الأول المعد للغة العربية وصارت الفصول تجتمع كل يوم وتقدم فيها الموضوعات المعدة للعرض عليها بعد ان يقدم بيانها لكتاب اللجنة اجمالا ويكون فى كل يوم بعد الظهر فسحة وولية ونزهة كل مرة فى جهة وبكيفية غير التى قبلها واستمر الحال على ذلك الى ان انقضى المؤتمر وفى اثناء انعقاد جلسات فصوله المذكورة قدم منى ومن جميع رفاقى ما أردنا تقديمه مما اعددناه لذلك وقوبل ماعرض من كل واحد منا بالاستحسان والاعتبار وقد أبقى واحد منا عنده نسخة مما عرضه بعد تقديم نسخته وأعطى من معه نشان من بلاده نشانا من طرف الملك وأعطيت نشاناً من النوع المسمى «وازا» من الدرجة الاولى فشكرت للملك ودعوت لمولاى ولى النعم الخديو الاكرم

« وقبل قيامنا من استكهلم أولم الملك وليمة خاصة فى سرايته دعا اليها خواص اعضاء المؤتمر الى مائدته الخاصة وكنت من جملتهم وقبل الدخول الى المائدة اعلم كل واحد بموضعه منها وموضع من بجانبيه فكان عن يمين الملك سفير العجم فى دار السعادة وعن يمين السفير المشار اليه البارون

دوكريمر الوافد من طرف النمسا وكنت عن يمين البارون دوكريمر وعن يميني الكونت دولا ندبرج

وفي أثناء الطعام شرب الملك على اسم الجناب الخديو خاصة بعد الالتفات الى ناحيتي فقمت مؤدياً رسوم التعظيم والشكر

وكان كلما صادفني في موضع من المواضع يكلفني بابلاغ سلامه وشكره للحضرة الفخيمة الخديوية وكرر القول بمحبته للجناب الكريم وقال انه اخي وعزفت الموسيقى بسلام الحضرة الخديوية مراراً كان آخرها في آخر مدة المؤتمر بناحية خرستيانيا من مملكة النورويج فكنا نقوم في اثناء السلام مؤدين شعائر التعظيم والاحترام وانتهى المؤتمر والمأمورية بحمد الله على خير وكل واحد ممن معنا في غاية الاستقامة والكمال وانتظام الاحوال والمحافظة على شعائر ديانته وحكومته وهيئاته وملابس بلاده واقامة صلاته داعين للخديو الاعظم ناشرين لمدائحه وقد أخذنا في الرجوع الى الوطن العزيز ووصلنا الى ناحية « جوتمبرج » ومنها نتوجه اليوم ان شاء الله الى « كوپنهاج » الى « برلين » الى « ويانه » الى « تريستا » الى « برنديزى » الى « الاسكندريه » ناذرين بعض الصدقة والصلاة والسلام على النبي عليه السلام اذا خطينا بتقبيل يد جناب خديونا المعظم ولي الانعام ولقاء ساداتنا واخواننا وأحبابنا الكرام ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩

(٣٩) وكتب المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابيارى في سنة ١٣٠١ الى الشيخ احمد الحلوانى كما جاء في الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية

« بسم الله وبحمده »

تحية تحيا بها معاهد تنصيص المحبة وتحلو بها موارد تخصيص الوفاء

الذى يفرّح به الحبيب نفسه وعينه وقلبه ارق من خصر ممشوق لأهيف معشوق ومن صهبا كعين الديك صفى سلافها الراووق وادق من جسم نحله الضنى بجسم محبك وأكله العناكمن ابتلى ببينك بعدان بلى بقربك وثناء يروق سنا وسناء ويفوق القمر نوراً والشمس ضياء لحضرة نضرة وجه هذه الايام التى لولاها لما عرف فرقاً بين الليالى والايام الأنام السيد الذى شد الله به ازر السيادة ومد بمدده على وجه البسيطة بحر السعادة روض الامالى والامانى حضرة الاخ الهمام السيد الحلوانى لا زال يتيه على محبيه تيه الملوك على بعض المساكين ويليه كل صديق فيه أمين « آمين » سيدى ما الذى اوجب تناسيك لمحبك الذى لم ينس لعهدك والذى لا يزال على ممر الايام يرقب إلّك ويرعى ودّك وما الذى توهمته فى صديقك الفقير الصادق حتى قطعت صدقات رسائلك عنه وهو بها وامق وبك واثق سيدى ما هذا التجنى والاغضاء عنى سيدى ما لعرائس كتبك عنى استأخرت ولأوانس فضلك منى استنفرت وانى بها لرؤف شغوف بحسنها الشغوف سيدى مالك نسيت من لهج بذكرك وذكراك ولا يتمنى بعد دوام الايمان الا دوام محياك ورؤية محيّاك سيدى مالى لا أرى هدهد كتابك المبين ام كان من الغائبين لأعذبن خاطرى به عذاباً شديداً او لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين يأتينى من سبأ ساحتك بنبأ يقين يقينى من الجوى فيقينى انه شفاء لقلبى الجريح من النوى أفان أحاط بما لم يحط به فى البلاغة احد جرد سيف القطعية لرحم احبّته وأحدّ أو ان جد درسيس البراعة ماجدّ أومزح جند خميس الهجران وصعر خده للاخوان ومرح كلا انه لكتاب كريم وان كان ربما شرد ونفر كريم سيدى ما لخمائل جمائلك التى كانت

تهز اعطافها نسمات الحنين الى أسيف بينك الذى به له فى كل آن انين تسنت ولم تتثنّ كعادتها وما لشمائلك التي لعبت بها شمول اللطافة وهى احلى من الزرافة وألذ من الكنافة تجنت ولم ترمقنى حور غاداتها الرافلات فى حرائر بهجتها سيدى ما هذا الدلال وما له من دليل وما ذلك الملال وليس له وجه جميل بعد دلك الجميل من ذلك الجناب الجليل ان كنت مقصراً فأنت بكل كمال محاق او كنت عن الوفاء اقصرت فيما اسلفت فانى الآن على بابك متملق سيدى وابيك ما هذا الظن بمعاليك واخيك وحميك وفيك ما كذا كان املى فيك سيدى كيف امكن علياك ان تخرق بغير الاحسان سماء سجاياك ولا سبيل لخرق العوائد ولا مجال وقد قيل ايضاً أن الخرق والالتئام فى السموات محال ولا أزال أقول سيدى سيدى حتى يشتد بعودك الى حنانك الىّ ساعدى ثم ارجع فأقول سيدى الحمد لله الذى انجاك وانجالك وحباك وأحباك السلامة من ذلك الحادث المهول والحمد لله الذى كفى الجميع امره ولم يجرع احداً منا مرّه فلكم ولنا وللجميع الهناء الاكبر وله تعالى الحمد والشكر اكثر ما يحمد واكبر ما يشكر والله تعالى يمتع الوجود بدوام طلعتكم التى هى مطالع السعود ما تعطر كل نادى بالثناء على مقامكم الرفيع من الفقير عبد الهادى »

قال الشيخ عبد الهادى بعد هذه الرسالة ما نصه « وجواب هذه الرسالة لم يرد لنا مع انه كما اشار حضرة الشيخ فى جوابه الآتى يعلم أنه أرسله هو وغيره فكأنما ضن بها بريدها او قطع الطريق مريدها ثم مضت شهور ولم يصلنى من ساحة حضرته جواب ما وكان متن الدورق

الذى نظمناه فى اسماء الاضداد وتفضل هو بشرحه بطرفه فأرسله فوجدت فى خطبته بيتاً كان مخرجاً بالهامش فيه بيان لما درجنا عليه فيه مضروباً عليه فكتبت له هذه الرسالة جاعلاً سجع نثرها كنظمها منسوجاً على روى واحد حتى تكون كملبوس الوقت اذا استحسن اهله أن تكون البدلة من لون واحد او متقارب مع عدم سآمة السمع لذلك السجع لاختلاف حركاته والتئام مناسباته فيما اظن فقلت

(٤٠) قد اومأت لك باللواحظ عزّة ... أفيرتجى لك بعد ذلك عزّة

كلاّ فما لمتيم ابداً بدت ... الا وقد ضربت عليه الذلة

فى مقلتيها فترة تغزوبها ... اهل الهوى لا تعتريها فترة

مهما تحركتا فما بمتيم ... ابدا حراك هل تحرك ميت

ولقد يشوبهما دلالا سكرة ... فتنوب ابطالَ الصبابة كسرة

من ذا يرى الالحاظ سكرى ثم لا ... يغشاه من نظر اليها سكرة

من ذا يراها راقصات ثم لا ... تعروه من دون اختيار هزّة

من ذا يرى هذا التغنج ثم لم ... يوقعه منه فى خيال غنجة

يغزو مزجج حاجبيها مهجة ... افتستطيع المرهفات المهجة

من ذا يرى هذا التزجج ثم يز ... عم أنْ له مما دهاه نجدة

وكانما الاهداب ترمى فى الحشا ... شررا له فى كل قلب حرقة

هى ريش سهم منيّة ترمى به ... عن قوس حاجبها فتصمى الرمية

من رام نظرة ذلك الحَوَر الذى ... حارت لخدعته العقولَ الفكرة

فليستعدَّ لمحنة تغشاه يا ... ويلاه ان غشيته تلك المحنة

عقباك غير حميدة ياطرف ان ... لم تغضضنْ تسفر اليك حميدة

فالعين تشخص والفؤاد على شفا جرف له فى كل آن انّة
واذا ذوائبها غدت مسترسلا ت فالقلوب ذوائب تتفتت
واذا معاطفها انثنت متمايسا ت فالعقول ذوائب تتشتت
حركات لطف لا تكاد ترى كأنْ جمع التحرك والسكون الميسة
لاتعجبنّ فان فيها النشر فيه الطى فيها القبض فيه البسطة
وبوجنتيها للقلوب جهنم ابدا وفيها للنواظر جنة
كادت تعبّد نهية لى وهى تحسب انها كنهى سواءى نهية
لانها وعيونها المرضى بأء ين سيدى ملحوظة مكتتة
السيد الحلوان من بهدى طرا ئقه اقتدت فنجت لعمرى الامة
وبنوره اهتدت الافاضل وارتوت من ذلك البحر المحيط أئمة
وبه ترشحت الفهوم وبان من طرق البيان حقائق مكنية
وبنحو تصريفات تحريراته سهلت من الآداب طرق صعبة
وبحسن تحبيرات تحريراته راقت وساغت للمعارف شرعة
من نظمه انتثرت عقود بلاغة وفصاحة هى للمعانى عدّة
وبنثره انتظمت سموط براعة وبداعة هى للبدائع بهجة
هو قدوة للعالمين وقرة للناظرين ومنّة هى منْيّة
فيشنّف الاسماع منه منطق عذب به تحيا النفوس الميتة
ويشوّف الابصار منه طلعة هى للوفود بكل بشر طلقة
وترنح الابصار منه حكمة شرعية او نكتة ادبيه
وتروح الارواح منه رؤية تغدوبها الالباب وهى رويّة
وتفرح الاحباب منه خليقة هى بالثناء وبالسناء خليقة

وتفتح الابواب ابواب الهدى منه لعمرك سنة سنّيه
فلكل عين من سناه قرة ولكل قلب من هداه هدية
ولكل نفس من علاه منية ولكل شخص من حلاه حلية
ياسيدى قد كنت اعهد دورق فى فيه لكن لاحتياج ضبّة
فرأيتها لما اتى خفيت وسـ ـوّد وجهها المبيض عندك شطبة
قد افرغت منه وحقك قطرة رهقته من ان فارقته قترة
هى عند حضرتك الشريفة قلة لكنها وابيك عندى قلة
بيت تهدم من مدينة نظمه لكنه لبنى الصناعة قلعة
خطبته مني خطبة فأجبتها فتروحت بحلاه منه قينة
فامنن عليها بالرجوع لاصلها فلقد دهتها بالبلاء الفرقة
لا زلت تمحو ثم تثبت ما تشا ءواسفرت لك بالامانى العزّة

سلام تلوح فى مشارق المهارق منه على صدق الاخاء كواكب آيات بينات وتفوح فى رقائق شقائق خده من حق الوفاء بعهده نفحات عنبريات يراجع به مهديه معاشرة المعاشرة التى بت السيد طلاقها بتاً ويجدد به عهد الود الوثيق الذى لا ترى فى سبيله عوجاً ولا أمتاً وتحيات ارق من نسمات الصبا اذا تنسمت واشرق من بسمات الصبى اذا تبسمت واشوق من رف رقيق ثغر عروس زفت ولف رشيق قد خود رفت غلائها وشفت آنس من سمر غانية تطوست تتغنج فى سمرها تارة وتتغنى تارات وانفس من مأسـة تبرجت تثنى معاطفها الرشيقة الرقيقة الحركات الى حضرة روضة بصرى وبصيرتى ونضرة طلعة نعمتى ونعمتى السيد الذى باعرابه بنيت قصور البيان بعد انقضاضها وسورت وببدائع بدائهه جمعت

اشتات المعانى بعد انفضاضها وصورت مشكاة الشريعة والحقيقة ومرقاة الطريقة للخليقة على الحقيقة سيدى الذى له اشكر ايادى فضل على توالت وعوائد بر عنى قط ما تناءت ولا توانت واليه اشكو شقتى التى بعدت ومشقتى لبينه الذى رأيت روحى به قد بعدت وتوانى كتبه التى كانت لروحى فى كل غدوة غدوة ومنن تحننه التى كانت تنفس عن النفوس فى كل مساء وغدوة وأظنه ان شاء الله يقبل شكايتى ويقبل على ممتناً بما به راحتى ورحمتى فاماً منناً بعد بعده بالمراسلات واماً فداء فداه ابى وامى بما هو النعمة الكبرى من المشاهدات فانى والله والله أعلم اعلم أنى أحن الى اثره وعينه حنين الخمس الى الست وأحنو على طرائف لطائفه حنو الوالدة على الابن والبنت واتشوق اليه تشوق شيبتى لعود عيد رونق شبيبتى فان بذلك تفوق وتروق صحتى ويغوث ولا يعوق به رونق قريحتى وماذا عليك ايها السيد اذا جعلت ذلك من جملة مالك من حسنى الحسنات ومنحت به محبك الذى لا يتسنه وده بتسنه السنوات منحك الله كلما تمنيت ونفحك بنفحات قدسه اينما كنت وحيثما انتهيت آمين فى ١٣ ج سنة ١٣٠١

فورد جواب هذه الرسالة فى ٢٢ ج سنة تاريخه بما صورته

(٤١) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدى اما توقد اشواق فقد صعد الروح الى التراقى بل أسالها دمعاً من احداقى فهى منهلة المآقى ما بها ولا لها من راقى فآهاً لها من حدق صبحها الدمع ومساها الأرق وكيف لا يصوب دمعها الغدق فيقضى بالغرق هياما بتلك الشمائل التى لو دنت من الصخر لرق والا انفلق أو رنت الى البحر لأصبح عذباً فراتاً يشفى الحرق والا انفرق فلو

أنه النيل لطاب حتى لا يشتكى منه شرق والا احترق ام كيف لا يعروها شوقاً الى ذلك الخلق الكريم الذى هو ارقّ من النسيم ارق على ارق ثم آها وآها من ذلك الشوق الذى طبخنى حتى العرق مرق وحتى غلى العرق ايضاً فقيل انشلوه من المرق والا احترق ومن العجب انى مع هذا الحال المشروح اغدو واروح ولكن من حلاوة الروح وربما طار طير وهو مذبوح فياحبيبي أكذا ويقول السيد انى طلقت عشرته الشريفة بتا وكيف وهى التى امت بها الى الزمان متا يا ايها السيد مكره عبدك لا بطل ولا تؤاخذنى فى تغيير المثل فكيف يثبت السيد الطلاق ولا طلاق فى اعلاق باتفاق ولا اقول باطباق أيحكم بالتفريق على الطريق ويدير هذه الكاس على الريق وذلك خلاف مذهبه ومما لا يقول أليس قد علم تعطشى به لتوطنى بمصر حتى أجلو بقرب مجلسه الكريم صدأ ما اصابنى لبعده من الاصر فأما انقطاع الاخبار وتوانى الاسفار فذلك شكيتى وعين قضيتى فقد أرسلت للسيد كتابين ولم أقف من جوابهما على اثر ولا عين فهل طارا فى مخالب البين فى المابين اذن فما اصنع فى سوء البخت وتربع كيوان فوق التخت وتصرف الوقت بأنواع المقت لولا ما نتعلل به من استعمال الصبر فى انتظار حلاوة الفرج وعادة الصبر ان يغتال كل حرج فبينا أنا فى صبيحة قد ابتسمت بالصباحة كوجه المليحة تلألأت منه الملاحة اذ طلع كوكب تائية السيد البهية التي أربت بوشيها المحوك وتبرها المسبوك على كل تائية ولعمرى لقد وردت على العبد مهموما فسلت همه مغموماً فسلت غمه معتلا فأبرأت عليله مستهاماً فبردت غليله غافلا فنبهته

جاهلاً ففقهته فقلت لها اهلا بك من زائرة على انك أشرد من غزال سافرة على انك ادقّ من خيال ساحرة على ان سحرك الزلال حلال فلوحى للدرشمسة بل للدرارى شمسا وبوحى للتائيات وغيرها نبرز من بدائعك الروائع همسة فلا تسمعها بعد ذلك الا همسا واسطعي على تفننك فى بيان بدائع المعانى بذلك المحيا البشيش حتى تقول اجنحة الطواويس لا شك ان حسنى على بديع تلونه فى الريش واطرفى عين نور الشجر بطرف الفاظك اليانعة النضرة واكتمى نفس نسيم السحر بأنفاس معانيك الرائعة العطرة وامتزجي بالارواح التى اصبحت تتقاطر عليك فروحيها بلطف السمر فانك من لطف شمائل منشيك معتصرة ثم تفضلى فاهزئى بالمعلقات واكتبي بصكهن فانك قد قضيت بانهن قد صرن مطلقات واضربى سيارة جرير بفخارة الفرزدق ولفى نسائج بشار فى أبيه وأرمي بها فى وجه مهلهلات أبى الشمقمق واضحكى ببواسم جواهرك المنتظمة من تقاطيع ابن بسام وقطعى على رأس تقاطيف الجزار مقطعات اللحام وأسمعي سجع المطوّق رنة سهمك المفوّق واصغى قفا ما يساميك من اشعار العرب بوجه اشعار العجم وافعلى بجميعها فعل ابى الطائى بالغنم ثم هكذا فافعلى وبخدود حسان الاشعار فانك عزتها وان كنت فى عشق جميلا لا كثيراً فتنعلى سودى فديتك بوجودى فما يشق لك غبار ولا تجارين فى مضمار ثم عندى لك نصيحة فخذيها صريحة احذرى على مالك من الرمزات ان تسرقها عيون الغوانى غمزات وعلى رقة غزلياتك ان تختلسها مغازلة وشدة حماسياتك ان تستلها سيوفاً للمقاتلة وصونى مواصليك عن مقاطيع الشعراء فانهم لما ادركهم من حرفة الادب

سرّاق وتبرقعي ببراقع التورية الا عن الاكفاء من ألباب الالباء فقيهم عن نهزة الادب مراق ثم هاتى خبرينى عن سر أسألك عنه فمثلك من يعربه واصدقيني وان كان الصدق كالصديق قد عز مطلبه ولا تقولى انا شعر والشعر اعذبه اكذبه بالله ماذا اراد السيد من زفافك الىّ يا أيتها العروس وأنا كما ترين على حافة القدوس لا احسن ان أعض ولا ان ابوس ولا احوس ولا ادوس فقالت أراد ان تتمتع بالنظر الى محاسنى الغرا فقلت أهان عليه عقلى حتى يبهره بتلك المحاسن بهرا قالت ورام ان يحيي لك بين أهل الادب ذكرا فقلت سبحان الله وهل يستحيل السها بدرا قالت واحب ان يذكرك بعهد الوداد نظماً كما ذكرك به نثرا قلت وهل نسيته لحظة فاحتاج للذكرى قالت واشتهى ان يفرغ عليك حلة اساليب البلاغة فلعلك ان تكتب على طرازها ولو سطرا فقلت تلك لعمرى رتب تسقط الامانى دونها حسرى على ان النسر قد عز ابن دأية قسرا وعشش فى وكريه حتى رأيت النجوم منه ظهرا افبعد ما صار شيبي بدرا يبغي عندى من الادب بدرا او من الشعر شعرى وهل أبقت رحا الايام لبا او قشرا اوترك معصار الدهر خلا او خمرا اللهم غفرا قالت وقصد ان يتعرف لما صنعته بدورقه السرى سرا فانك نحرت خطبته نحرا وكسرت ضبة فمها كسرا قلت وقد فهت انت ايضاً بذلك جهرا وتركت الناس تروى ذلك عنك كما تروى بك براويحرا لا والحاظ اشارتك السكرى حين اكتحلت سحرا فأسرت ابطال الصبابة اسرا ثم قالوا تحبها قلت بهرا ما جمشت تلك العذراء ولا خمشت لها نحرا ولا اسقطت لفيها درا ولا أرقت لريقها العذب خمرا وانما تركت حسنها

يقطر قطرا بالله متى زادت خطبة عن اربعة واربعين شطرا ثم بالله كيف صدقت انى انقض منها سطرا بطرا وماعهدت عندى غدرا قالت لعمرى لقد ارهقتك عسرا واوسعتك زجرا على انى لم استبطن لك شرا ولم ارد بك لعمرى الا خيرا فكيف ترى يمينى هذه قلت برا وهل اتوهم فيك شيئاً نكرا لا وطلعة السيد التى هى للوفود طلعة غرّا لا وحسن تخلصه الذى ان اكتحلت به العيون المرضى فانها من المرض تبرا قالت اذن فقدم للسيد على وجهى شكرا ومهدله فيما كان عذرا قلت قدفعلت فقد زففت اليه عروساً بكرا قالت أهى مثلى تائيّة كبرى قلت بل كافية صغرى قالت ولم تركت الشعراء ينظرون اليك اذ خالفت الروى شزرا قلت أليست الكاف اخت التاء فى امور جاءت تترى أليست تلاقيها وتقالبها فيما يجل حصرا قالت ولكن ما هى هى فلا بد للعدول من نكتة اخرى فقلت قداتممتها فى الكاس المروّق فاحببت ان تكون للسيد بشرى قالت أمّا هذا فليكن عذرا فقل أهى مثلى فى محاسنى الغرا وهل تحكينى ثثرا او شعرا اوكفلا او خصرا اوصدرا او نحرا او قدرة او قدرا قلت كلا ولكنها ان لم توكل درمكا فتمرا وان لم تشرب قهوة فدرا وان لم تنظر شمساً فبدرا وان لم تسمع معبداً فعمرا وان لم تشم مسكا فزهرا على انى ربما فشرت فى ذلك فشرا وعلى كل حال فما تجىء للبك قشرا فانت أسرى واشد أسرا واعظم قدرا قالت فانو عن غيرى الصوم ثم استيقظ من النوم وحدث عنى القوم انى سيدة القصائد اليوم فاستيقظت من المنام وقد بلغت المحاورة بيني وبينها حد التمام فان لم يؤوّله السيد بمايرام فليسمه على الاقل اضغاث احلام والسلام ٢٦ ج سنة ١٣٠١

(القصيدة المشار اليها فى الجواب)

لا يا بثينة والهوى لم أسلك ... ولغير ما ترضينه لم اسلك
هاتى فديتك خبرينى ما الذى ... قدّرت ان اسلوه منك فتشتكى
أهوا بتسامك ام سلامك ام كلا ... مك اوقوامك وهو اصل تهتكى
أهو اللمى واليه قد وقد الظما ... آها على رشفات ذاك المضحك
أهو الرقيق كدين ارباب الهوى ... من خصرك المتزهد المتنسك
أهو الصحاح من الثنايا تزدهى ... أهو المراض من الجفون الفتّك
يا بثن لا والله ما قلبى سلا ... يوما هواك نعم سلوت تنسكى
لا والصباح من الجبين المزدهى ... لا والدجى من فرعك المحلولك
لا وازدهار الكون معما اشرقت ... شمس الضحى من وجهك المستضحك
بالله قولى كيف تمكن سلوتى ... اولست اخشى منك سرعة مهلكى
أخشى لحاظك فهو سيف منتضى ... اوما الىّ اُسكن فلم اتحرك
وبسحره قد راعنى اذ راقنى ... فكانه لفظ الذكى ابن الذكى
السيد النحوى عون الملتجى ... والمرتجى غوث اللهيف المشتكى
البارع الندس الذى سبق الورى ... مجدا فأصبح فى العلى لم يدرك
غوّاص علم كل علم زاخر ... ما للانام بشطه من مسلك
جوّاب آفاق الفنون الى مدى ... لم يحكه احد الورى فيما حكى
صوّاغ ما سبكت قرائحه من الـ ... ـكتِ النضار طيب ما لم يسبك
او ما ترى الدنيا غدت محبوكة ... بحلى له من قبلها لم تحبك
وسل المطالع والمطالع والوسا ... ئل والرسائل ثم لا تتحكك

وعلى يمينك ان دخلت القصر من ... باب الفتوح فثمَّ دَورقه الزكى
فانهل اذن من كاسه وادخل حديـ ... ـقة انسه والى الفواكه فاسلك
واذا شممت اريج ذاك السيدا ... مفضال ثمَّ فقم اذن وتمسك
وله فبايع فهو بالاجماع فى ... كل الفنون غدا اجل مملك
وله التزم وبه اعتصم اوفانقصم ... وله فمق وبه فثق واستمسك
هو عروة الدين التى لم يعرها ... ادنى انفصام فى مقام اضنك
هو رونق الدنيا وروق نعيمها ... هو صيقل الالباب مما تشتكى
افديه من يقظ يكاد ذكاؤه ... ينساب بشرا فى الوجوه الحلك
ثقفٌ اذا اوما الى العضل التى ... اعيت رمى اعضاءها بتفكك
روض اذا فكه استطرت فكاهة ... وتراه جد فطار قلب الدوسك
ان راح ينشد فلت عبد صبابة ... أو جاء يرشد قلت رب تنسك
واذا افادك ظل مثل المستفيـ ... ـد فصرت فى وصف المفيد المدرك
خلق له سجد النسيم ولو سرى ... حقبا ليدرك لطفه لم يدرك
وانظر الى الادب استرق له فان ... قلت اغتدى مملوكه لم تأفك
أمّا رقيق الشعر فهو عتيقه ... والحر يحسن للرقيق الاسلك
والدر راعته دراری نثره ... فله بقاع البحر اى تمسك
والورق ما ادّت لطافة سجعه ... نغما لتحكى السجع بل لتبرك
ما الورق ان سالت رقائق لفظها ... عربى تمحو عجمة المتترك
اللفظ يخطب والبلاغة منبر ... والكون يسمع اويخط بمألك
فضحت بديهته رویة من ترى ... فاذا بدت لم يبق بعض تشكك
يجلو بزوغ الشمس من بدهاته ... ما الناس من ظلماته فى معرك

ولجوده عندى حديث مطرب ... قد غار منه البحر بعد تهتك
كم جعفر من فضله يحيى به ... من يرتجيه فلا يقول ببرمكي
سقيا لايام مضت فى ظله ... فشعت دجى ليل الهموم الاحلك
حيث الطرائف والظرائف والمعا ... رف والعوارف فى مزيد تشبك
ياعادة الايام هل لك عودة ... عودى فعودينا فديت واوشكى
عودى فعودى قد ذوى ظمأ الى ... تلك الملى وخذى حشاى أواتركى
عودى لدور الدورق السلسال فى ... نادى الصفا ولكل ملكى فاملكى
عودى فمولاى اصطفاه لنفسه ... ولقد يكون على الاقل مشركى
يا ايها الاستاذ هذا دورقى ... ملكى وقد أصلت فيه تملكى
وابحث لى حور القصور بروضه ... فظلات ثمّ على الارائك اتكى
أأسومه خسفا وفيه لى المنى ... لقد انتهجت اذن سبيل تضنك
أأحوطه بدمى وأثلم ثغره ... ايقوم ثلم دون ثلم يشتكى
وابيك ما اسقطت منه درة ... فيما علمت وقد عجبت لما حكى
فعقود خطبته بخاتم ربها ... متناسقات لم ترع بتفككى
وكما عهدت قصورها العلياء لم ... ترتع بنقض لا ولا بتدكك
وعلى افتراض النقض فالاستاذ يبـ ... ـرم ما اقتضاه رأيه لتوركك
ولينظر الاستاذ فى البيت الذى ... اوما له فقد استفز تشككى
او فليطوّقنا بنعمة ردّه ... ان لم يجده كذاك فلنستدرك
فالبيت ليس لدى اثباتاً ولا ... محواً ولاعدًا ولانقدا شكى
لازال ينفحنا بالطف نفحة ... فنشمّ ريا طيب خاطره الزكي

أحمد الحلوانى

(٤٢) وكتب الابيارى الى الحلوانى أيضاً ردّا لكتابين وردا منه يسأل فى ذيلهما عن مسائل فى الدورق « سيدي الذى لا أطلب بعد دوام الايمان الا داومه وان لا تبرح كواكب السعد والسودد الا أنصاره وخدّامه ورد جوابك الاول والثانى فكانا أوقع عندى من ضرب المثالث والمثانى بما أنبآه من خبر سلامة السيد التى هى بهجة مهجتى وروح روحى وسداد سدتى وان كبرا على كبر تجنى حبيب رنق النعاس فى لواحظه النرجسية وحقق أنه من ماء اللطائف مصور فرأى الدلال مقيسا والمطاوعة غير قياسية ولو مجازية ولعمرى ما يوم العيد عندى الا يوم يأتينى من تلك الحضرة كتاب او يرد من تلقاء مدين فضلها الباهر سؤال وان كنت ابيت منه فى ارتباك وارتياب اذ قدوهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً وأصبحت لملازمة الامراض لا تعدم حسناء حالتى المتوهمة ذاما ولا تفقد عيبا مع ماينضم لذلك من حرمانى الأمد المديد من رؤية طالع طلعتك وتروّح روحى بقطف ثمر سمر حضرتك وكثرة رؤيتى (حاشا من أشرت فى كتابك اليهم) من تقذى العين برؤيتهم وتتجرح القرائح بما يتفق من مجاراة قرائحهم فلذا نحمد الله فى كل وقت مرتين ونلجأ اليه أن يمنح اولئك نفحة رقة تفقأ من غلظتهم كل عين ولكن لا يزال لطف الله تلمع لى بروقه وتلمح لقلبي بما اشوقه من كتب السيد التى تمنع كل بأس عن كل بائس وتمنح كل فرج وفرح لكل آيس ويائس ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك من قصور نظره وأبيك ان رسائلك لعينى بصري وبصيرتى لقرّه ولطلعتى وجهى ووجاهتى لغرّة ناهيك من غرّه لا املك وربك العجب لحسن مواقعها ولا الغبطة لكمال جمال منافعها فلله تلك

الرويّة وسبحان من سواها ودقة ذلك النظر الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وانى وحق الله بما تبديه الىّ من هذه التنبهات لكالنديم يقول فى مجلس انسه النظيم طاب الصبوح لنا فهات وهات وهكذا هكذا تكون المحبة الحقيقية والسنة المحمدية الاحمدية والا فلا وكذا يكون الايمان اليافع والعلم النافع والا فياضيعة الاعمار تمشى سبهللا ولقد اودّ ان يكون وجه الدهر لى فى جمال شيمتك وأمانى في اصابة فهمك وآمالى فى جودة قريحتك وليت دعائى مجابا فأدعو الله بقرب او اتحاد الدارين وان يجعلنى ملازماً لك ملازمة العرض للجوهر فى الدارين فان شوقى الى حضرتك اكثر واكثر من كل شىء الا من ذكرك وذكراك ولهفى عليك اكبر واكبر الا من صبرك عنى وعدم سماحك بان أراك ويروقنى ان رأى السيد حفظه الله فراش النقد وطيئاً فتربع عليه وفراش القلم منى متهافتاً على سراج الجمع بغير تحرير فقص جناحيه لا والله ما اقول ذلك الا حقاً ارى به لك يدا لا تزال فى عنق طوقاً وهكذا الاخلاص يكون والمؤمن مرآة المؤمن كما تفيدون وقد اثبت عندى فى (ذاج) مالفظه

ذأجت ماء بهمز بعد معجمة شربت ماقل او حتى رويت ظما

وقلت فى (الفوج) وفسر الفيج شخص واحد وجماعة ومرحاناً الخ وقد كان غرنى فيه تشبيه السيد مرتضى وكان عدم تأملى فيه غير مرتضى وبيت الشرح قدقلنا فى فافيته (كما فهما) وهو منبئ بأنى لم ار فيه التضاد صريحاً بل بحسب مليفهم من عبارتهم والى الآن لم ازل أشمّ منها تلك الرائحة فان غدت لحضرتكم فائحة فتجارة رابحه والا فلا مانع من هدم بيته كليا اولى من اكون فيه بلا موافق دعيا واما المطاوعة فلم يطعنى اليراع فيها ان يجري

بغير ماسبق فان كان كافياً والا فماتراه احق اسأل الله ان يلقيني بلقياك نضرة وسرورا ويزيدني بدوام حبك وفضلك فضلا وحبورا ويوزعني من شكر صنيعك ما املأ به وطاب الايام واستروح به ان شاء الله طيب حسن الختام هذا وحضرات من نوهتم بذكرهم وطيبتم الكتاب بعبير نشرهم يزفون الى ساحة فضلكم عرائس تحيات تتهادى فى غلائل اشواق متباهيات غير متناهيات والسلام

(٤٣) وكتب القاضى الفاضل الشيخ محمد عبده الى احد اصحابه وكان فى السجن بسبب الحوادث العرابية فى ٩ محرم سنة ١٣٠٠

« عزيزى

تقلدتنى الليالى وهى مدبرة كأننى صارم فى كف منهزم

هذه حالتى اشتد ظلام الفتن حتى تجسم بل تحجر فأخذت صخوره من مركز الارض الى المحيط الاعلى واعترضت ما بين المشرق والمغرب وامتدت الى القطبين فاستحجرت فى طبقاتها طباع الناس اذ تغلبت طبيعتها على المواد الحيوانية او الانسانية فأصبحت قلوب الثقلين كالحجارة او اشد قسوة فتبارك الله اقدر الخالقين انتثرت نجوم الهدى وتدهورت الشموس والاقمار وتغيبت الثوابت النيرة وفر كل مضىء منهزما من عالم الظلام ودارت الافلاك دورة العكس ذاهبة بنيراتها الى عوالم غير عالمنا هذا فولّى معها آلهة الخير اجمعين وتمحضت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع وبدّلوا الخلق وغيروا خلق الله وكانوا على ذلك قادرين رأيت نفسى اليوم فى مَهْمَهٍ لا يأتى البصر على اطرافه فى ليلة داجية غطى فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف ركاما ركاما لا أرى انسانا ولا اسمع ناطقا ولا أتوهم مجيبا

اسمع ذئابا تعوى وسباعا تزأر وكلابا تنبح كلها يطلب فريسة واحدة هى ذات الكاتب والتف على رجلى تنينان عظيمان وقد خويت بطون الكل وتحكم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حاله فهو لا ريب من الهالكين تقطع الامل وانفصمت عروة الرجاء وانحلت الثقة بالاولياء وضل الاعتقاد بالاصفياء وبطل القول باجابة الدعاء وانفطر من صدمة الباطل كبد السماء وحقت على اهل الارض لعنة الله والملائكة والانبياء وجميع العالمين سقطت الهمم وخربت الذمم وغاض ماء الوفاء وطمست معالم الحق وحرفت الشرائع وبدلت القوانين ولم يبق الا هوى يتحكم وشهوات تقضى وغيظ يحتدم وخشونة تُنَفَّذ تلك سنة القدر والله لا يهدى كيد الخائنين ذهب ذوو السلطة فى بحور الحوادث الماضية يغوصون لطلب اصداف من الشُّبَه ومقذوفات من التهم وسواقط من اللمم ليموهوها بمياه السفسطة ويُغشوها باغشية من معادن القوة ليبرزوها فى معرض السطوة ويغشوا بها اعين الناظرين لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه او لمستور يكشفونه او لحق خفى فيظهرونه او خرق بدا فيرقعونه او نظام فسد فيصلحونه كلا بل ليثبتوا انهم فى حبس من حبسوه غير مخطئين وقد وجدوا لذلك اعوانا من حلفاء الدناءة واعداء المروءة وفاسدى الاخلاق وخبثاء الاعراق رضوا لانفسهم قول الزور وافتراء البهتان واختلاق الافك وقد تقدموا الى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الاباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ولم تحل قلبى وحشة بل انا على اتم اوصافى التى تعلمها غير مبال بما يصدر به الحكم او يبرمه القضاء عالما بان كل ما يسوقه القدر

وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لاشبهة للحق فيه لان الله يعلم كما انت تعلم أنني برىء من كل ما رمونى به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعبا اوكنت من الضاحكين نعم حنقنى الغم واحمى فؤادى الهم وفارقنى النوم ليلة كاملة عند ما رأيت اسمك الكريم واسم بقية الابناء والاخوان المساكين تنسب اليهم اعمال لم تكن واقوال لم تصدر عنهم قصد زجهم فى المسجونين لكن اطمأن قلبي وسكن جاشى عندما رأيت تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر فرجوت ان الحكومة لم ترد ان تفتح باباً لا يذر الاحياء ولا الميتين قدم فلان وفلان تقريرين جعلا فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنق ولم يتركا شيئاً من التخريف الا قالاه وذكرا اسماءكم فى امور انتم جميعا ابعد الناس عنها لكن لا حرج عليهما فانى اراهما من المجانين ولم اتعجب من هذين الشخصين اذيعملان مثل هذا الذنب القبيح ويرتكبان هذا الجرم الشنيع ولكن اخذنى العجب كل العجب غاية العجب بالغ ما شئت فى عجبي اذ اخبرنى المدافع عنى بتقرير قدمه فلان الذى ارسلت اليه السلام وابلغته سرورى عند ما سمعت باستخدامه وانا فى هذا الحبس رهين الى هذا الوقت لم يصلنى التقرير ولكن سيصل الى انما فيما بلغنى انه شهادة باقبح شىء لا يشهد به الا عدوّ مبين هذا اللئيم الذى كنت اظن انه يألم لالمى ويأخذه الاسف لحالى ويبذل وسعه ان امكنه فى المدافعة عنى فكم قدمت له نفعا ورفعت له ذكرا وجعلت له منزلة فى قلوب الحاكمين كم سمعنى اقاوم هجاء الجرائد واوسع محرريها لوما وتقريعا وأهزأ بتلك الحركات الجنونية وكان هو علىّ فى بعض افكارى هذه من اللائمين كان ينسب فلانا اسوء القصد اتباعا لرأى فلان واعارضه اشدّ

المعارضة ثم لم أنقض له عهدا ولم ابخس له وُدًّا وحقيقة كنت مسرور لوجوده موظفا فما باله اصبح من الناكثين آهٍ ما اطيب هذا القلب الذى يملى هذه الاحرف ما اشد حفظه للولاء ما اغيره على حقوق الاولياء ما أثبته على الوفاء ما ارقّه على الضعفاء ماشد اهتمامه بشؤن الاصدقاء ماعظم اسفه لمصائب من بينهم وبينه ادنى مودة وان كانوا فيها غير صادقين ما أبعد هذا القلب عن الايذاء ولو للاعداء ما اشدّه رعاية لذود ما اشدّه محافظة على العهد ما اعظم حذره من كل ما توبخ عليه الذمم الطاهرة ما اقواه اقداما على العمل الحق والقول الحق لايطلب عليه جزاء وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين هذا القلب الذى يؤلمونه باكاذيبهم هو الذى سر قلوبهم بالترقية وملأها فرحا بالتقدم ولطف خواطرهم بحسن المعاملة وشرح صدورهم بلطيف المجاملة ودافع عنهم ازمانا خصوصاً هذا اللئيم افنشرح الصدور وهم يحرجون ونشفى القلوب وهم يؤلمون ونفرحها وهم يحزنون تالله قد أضلوا وما كانوا مهتدين هذا القلب ذاب معظمه من الاسف على مايلم بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذى يجعل العموم في قلق مستديم وما بقى من هذا القلب فهو فى خوف على من يعرفهم على عهد مودته فان تسللوا جميعاً بمثل هذه الاعمال وأصبحوا من مودته خالين واتخذوه وقاية لهم من المضرّة وجعلوه ترسا يعرضونه لتلقى سهام النوائب التى يتوهمون تفويقها اليهم كما اتخذوه قبل ذلك سهما يصيبون به اغراضهم فينالون منها حظوظهم فقد اراحوا تلك البقية من الفكر فيهم والله يتولى حسابهم وهو اسرع الحاسبين آهٍ ما اظن ان تلك البقية تستريح من

شاغل الفكر فى شؤن الأحبة وان جاروا فى تصرفهم إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخز اذا اتصل بذى الود وان كان خشنا فصعب ان ينفصل ولو مزقته خشونته وان هذا القلب فى علاقة مع الاوداء كالضياء مع الحرارة ايما حادث يحدث وايما كيماوى يدقق لايجد للتحليل بينهما سبيلا واظنك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين

اى عزيزى

الآن وصلنى تقرير اللئيم فقرأته بأول نظرة ووجدته كما بلغنى وسأرُدُّ عليه فى بضع دقائق بما يسود وجهه ويخجله ان كان انساناً ولكن تصادف فراغ الحبر من الدواة فسأنتظر بالرد عليه وتميم رقيمى اليك بعض ساعات فكن معى من المنتظرين

رددت على التقرير وكان كل ما فيه الغش والتغرير وذكر فيه فلاناً بأشنع مايؤاخذ به انسان فى هذه المسئلة كما ذكره الخبيثان قبله ولكن دفعت ماقاله فى جانبه ايضاً وأخذت على نفسى كل مسؤلية تنسب اليه او اليكم فما عليكم ان سئلتم الاّ ان تكونوا منكرين ربما يسأ لكم (القموسيون) عن معلوماتكم فى شؤنى ايام الحوادث فلا يدخل عليكم غش السؤال والارهاب ولكن عبروا عما كنتم تشهدون وتعلمون من افكارى وأقوالى التى كانت تهزأ بالحكومة الفلانية ومن كانوا لها من الطالبين

الى هذا الحد قفوا فأن سئلتم فقولوا مانحن بتأويل الاحلام بعالمين فى هذا الوقت وصلنى الرقيم مبشراً ببقائكم فى مركزكم فقمت ورفعت يدى ورجلى وناديت الحمدلله رب العالمين واخذنى الأسف على حبس فلان لكن دل اطلاقه على حسن حالة الباقين يا عزيزي اعود الى ذكر

ما لاؤلئك القوم كأنما قذف بهم من مشاهق جبل فسقطوا على رؤسهم فغشيهم من شدة الصدمة ماغشيهم فقاموا ينطقون بما لا يعون ويتكلمون ولا يفهمون ماباللهم يقذفون من افواههم اخلاطاً اقذر من البلغم وأمرّ من الصفراء وكأنما جرعوا جرعة من السم فقلبت امعاءهم فاستفرغت من حلاقيمهم اخبث مايحملون ماباللدنان قلوبهم تفيض من اللؤم بأشد من فيضان بئر برهوت تقذف بسائلات بشعة الطعم خبيثة النظر كريهة الرائحة تضطر معانيها للفرار منها لكن اعضاء التحقيق من زكام الحوادث الاخيرة لا يشمون ولا يذوقون ومن ظلماتها لا يبصرون هل بطل ياعزيزى ماجاء على لسان النبوات « الانسان اسير الاحسان » هل نقض ماجاء من ذلك « المعروف بذر المحبة يغرسها فى اعماق القلوب » هل هدمت قاعدة « ان الحيوان يقاد بالزمام والانسان يقاد بالصنيعة » هل كان خرافا ماقرره الحكماء من الفصول الطويلة تقسيما للمحبة وبيانا لفضائلها ومنافعها فى الاجتماع الانسانى الحبيث . هل كان خرافا ماحوته الكتب متعلقا بموجبات روابط النوع البشرى ام صح كله لكن الناس به جاهلون . هل أتأسف ان كنتُ سباقا الى الخيرات هل أتأسف ان كنت مقداما فى المكرمات هل أتأسف ان كنت شجاعا فى الدفاع عن ذوى مودتى هل أتأسف ان كنت ابياً اغار ان ينسب مكروه اوذل لأولى صلتى . هل استحق العقاب على حبى لبلادى والناس لها كارهون . كلا والله لن يكون ذلك ولم ازدد فى سبيل الفضيلة الا بصيرة ولم ازدد فى المحافظة عليها الا ثباتا ولئن عشت لاصنعن المعروف ولاغيثن الملهوف ولانقذن الهاوى فى حفرة الغدر ولآخذن بيد المتضرع من ضغط الظلم ولاتجاوزن عن السيئات

ولأتناسين جميع المضرات ولأبينن لقومى انهم كانوا فى ظلمات يعمهون
ولأظهرن الصديق فى أجمل صوره ولأجلونه للناس فى ابهج حلله
ولاثبتن لهم ببرهان العمل أنه فكرك الثانى فى روحك الواحدة وانه
جسمك الآخر فى حياتك المتحدة وانه صاحبك اذا طال ليل الكدر
ومصباحك اذا اغسق دجى الهموم تستضئ به فى حل ما انعقد وتستعين
بقوته فى تيسير ماعثر وتذهب به الى اوج المعالى والناس من معجزات
الصديق يتعجبون انى اليوم اعجز من المقعد عن طلوع النخل ومن المفلس
عن حربة التصرف وقد صار سقوط الجاه كمرض يصيب الجميل الفاتن
فينحف الجسم ويغير اللون ويقلص الشفاه ويضعف القوى ويقعد عن
الحركة ويبعد عن نيل المطلوب ويثقل على الأهل والعشائر فى التمريض
ويسئمهم ان طال من معاناة العلاج فيصبح المريض منهم فى ادنى المنازل
وقد كان ربا وهم له ساجدون يذهب عنه البهاء وينكسف من وجهه
الضياء وتنكره عن الرؤية اعين العشاق وتمجه طباع ذوى الاذواق
وتمحى من جبينه تلك الاسطر الجلية العبارة الصادقة النسبة الناطقة بالحق
القائلة ههنا كنز الرغبات ههنا منال الحاجات ههنا ما يروح الروح ههنا
ما يقضى وطرا فى الانفس ههنا ما يخشى منه على الارواح والافئدة
فينحرف عنه السالكون اليه وقد كانوا قبل على آثار غباره يتدافعون
وقيسوا على مرض الجميل مرض صاحب جاه ولا أظنكم بالقياس تجهلون
لكن اقول لكم ان الحوادث المريعة سوف تنسى وان هذا الشرف سوف
يرد ولئن أبت طبيعة هذه الارض بخستها ان يكون لها من عوده نصيب
فليعودن فى بلاد خير منها ولأجذبن الى المجد احبتى ومن الى المجد

ينجذبون كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا اطلب شيئاً فوق هذين سوى معونة الله الذى عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون اطلت عليك الكلام فلا تسأم واظنه آخر كتاب منى اليك فى السجن الا ان يحدث حادث يسمح بالكتابة مرة اخرى فان تلاقينا بعد اليوم كانت المشافهة ازكى والا كانت المراسلة اجل وأعلى ولا تجزع فليس فى الامر ما يفزع وهو اهون مما يتوهمون واسأل الله ان يغض عنكم ابصار الظالمين ويحفظكم من نكاية الخائنين ويسر قلبى بالطمأنينة عليكم وعلى سائر الاخوان والابناء اجمعين

(٤٤) وجاء فى الجريدة الرسمية الصادرة فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٧ من انشاء حضرة الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فصل يصف فيه ليلة راقصة فى قصر عابدين الخديوى

﴿ باللو سراى عابدين ﴾

« ليلة الثلاثاء ٢٥ يناير سنة ١٨٨٧ »

هى حلية الدهر وطراز الفخر وهى جامعة المسرة والبشر من مبدئها حتى مطلع الفجر وهى مرايا التحف ومرائى الطرف ومظاهر العوائد المستعذبات ومجالى اللطائف المستبدعات طاولت وان لم تطل بياض النهار افتخارا وعلت حجة نورها على شموسه انتصارا فبها افاض الخديو المعظم سجال نعمه واورد من اختارهم موارد بره وكرمه فظهر للكل فى صفات الوالد الحنون واولاهم غيث فضله الهتون

ولقد ظهرت آثار تلك النعم العميمة على ظواهر السراى العامره

فتلألأت رحبتها بشعل الاساطين على شكل معين وانتظمت فيها الفوارس والمشاة يحفظون النظام ويبتدرون السلام وتحلت وجهتها ومداخلها بالاضواء الكهربائيـة اشكالا وصفوفاً وانوار الشموع ضروباً وصنوفا اما مدخل السراى فكان طريقـه مرصع اليمنة واليسرة بأكر النور الارضية ذوات الالوان الشفافة الدرية وما يليه مزدانا بالنجف والصحب على اشكال الباقات الريحانية ومن وراء ذلك الى سلم الصعود الى مواطن الرياضة والجلوس فكلها مما يكل لسـان القلم اذا اراد التوصيف ويشق لسانه ان رام التعريف فيا ما ابهج هذه المرائى الغريبة ويا ما اعذب ما بينها من تلك المناسبات القريبة شموع تتلاعب فى مرايا تتقابل فتعدد الوحدة وتوحدا لكثرة وتجتمع الشتيتات وباقات الريحان فى الطرقات تباهى منثور الزهور فى المجتمعات فما اميلح ما تفاخر به الاخوات ولئن كان هذا فوق ماقلناه فما هو بأغرب مما بتلك الحديقة السطحية وما ادراك ما تلك الحديقـة غرست اشجارها ونجومها فوق سطح الدور الاول بين المرمر والرخام وفصلت طرقاتها على اشكال هندسية تأخذ بمجامع القلوب استغراباً ونبتت اعوادهـا المخضرة تحت السقوف ولقـد كانت الانوار تغازل هاتيك النباتات وترنو اليها بعين الاعجاب فتختلس هى منها بعض الضوء وتعرضها عليها بلونها الزاهى فيتحلل بينهما الضوء الى اصوله الاصلية وتتعـدد الفروع فينبهم على الطبيعى تحليل الاضواء فلا يسعه الا التسليم بأن فوق ذى علم عليم . . .

وفى اوائل الساعة الخامسة العربية بدأ المدعون يغدون زمرا وفرادى تتلاعب فى صدورهم وسامات الشرف وعلامات الامتياز ولم تكمل الساعة

الخامسة حتى كمل عدد من قربهم الخديوى المعظم ودعاهم ورضى عنهم ورعاهم وهم نحو الالف والمائتين من سراة آله ورجال دولته وأمراء بلاده الملكية والعسكرية وعلماء دياره ووجوه رعيته وكبراء نزلاء القطر واجلاء القنصلاتات وضباط الجيش المصرى وجيش الاحتلال من الانجليز ومشاهير الرؤساء الروحية والاعيان من الاوروباويين على اختلافهم فى التبعية والانتماء مابين ذكران واناث على اجمل ما يكون من الزى والهيئات كل أولئك حلّوا تلك الساحة الخديوية الفيحاء آمنين فلاقوا من الكرم العميم والاجلال والتكريم ما لا عين رأت ولا خطر على فكر قبل تلك الليلة الغراء .....

وقد تشرف بالمثول لدى الحضرة الفخيمة الخديوية على وجه مخصوص كثير من الامراء والفضلاء والوجوه والنبلاء والاكارم بين وطنيين واجنبيين ملكيين وعسكريين من رجال وسيدات فلاقوا من جنابه الكريم مالا يكاد يبينه الوصف من الاكرام والتحية والتبجيل فألان الجانب وسهل الخطاب وأدخل المسرة على كل ذات تشرفت بالمثول شأن جنابه العالى الذى جبل عليه وطبعه الكريم الذى فطر به ومال اليه فى كل حال

وفى منتصف الساعة السادسة العربية فتحت قاعة الرقص فتسابقت اليها غادات الغانيات يسحبن مطارف الخيلاء ويتبخترن فى حلل الزهو والاعجاب وتلت عليهن الموسيقى سور الالحان فطربت بها هاتيك الغزلان وظهرت آثاره على الجوارح فماست تلك القدود السمهريات فى وسط الميدان حتى ارقصت القلوب ورسمت فى مبسانها دوائر ذوات الذنب من الكواكب العلويات وخطوط النيازك من شهب السموات فانتصرت

الهيئة الافرنجية الحديثة على تعاليم أرسطو وبطليموس فى هذه الفنون ولم تبق باصرة الا شخصت الى هذا الصنع الدقيق بعين الاعجاب والاستحسان وبعد منتصف الليل ببضع دقائق فتحت قاعة موائد الكرم (بوفيه) واذا هى بغيـة الطالب وطلبة الراغب فيها من صنوف المأكل ما تتوق اليـه النفوس وتشتهيه الارواح فتوارد عليها كل من جمعهم النادى واكلوا هنيئاً وشربوا ما حلى وطاب مريئاً وتنقلوا بين اكل وشرب وتفكه وتحلية يترددون كلما تاقت النفوس ويطلبون ما يشتهون فيجدونه حاضراً بين ايديهـم باسرع من لمح الطرف وامضى من حركة الافكار فى المعقولات وكل من فرغت حاجته منهم خرج الى الرياضة فى الحديقة وفى الطرقات بين القاعات وفى مواطن الاستراحات وكلها كانت بهجة الناظر وقرة الخاطر مصطفة فى جوانبها الزهور والانوار على احسن ما يمكن من بديع الاتقان ولن يزال الناس كذلك فى مرح وفرح ومسرة وابتهاج يتباهون بعميم كرم الجناب الرفيع ويتفاخرون فى كيفية الثناء على جنابه الكريم ويرفعون لمقامه المنيف جلائل الشكر والامتنان حتى مضى بعد نصف الليل ساعتان فاخذوا فى الانصراف

(٤٥) وجاء فى جريدة الاهرام الصادرة فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٩٧ هذا الفصل :

﴿ قعود البنات ﴾

هذا بحث جديد لم يخض الشرق فى عبابه بعد نزفه الى ابناء الشرق عامة لما نجد فيه من الفائدة ونحن نتوقع له الرضا العام لاعتقادنا بانه من اهم الابحاث واخلقها بالتدوين ولثقتنا بان الرأى الشرقى سيأنس به ولو بعد حين

فتنجلى الغياهب عن الحقيقة ويم الجدال فيه فنتوصل الى استئصال شأفة داء قد تمكن منا اذ الحقيقة بنت البحث فنقول :

ليس ما يستحق ان يشغل الخواطر ويحمل على الاشفاق ويدعو الى اشتغال الكتّاب اكثر من شأن تلك البنت التى يمر بها سن الزواج فتجلس فى منزلها تنظر الى ماضى ايامها ولا شاغل لها غير حديث النفس ومعاتبة القضاء . ومن العجيب اننا لا نجد من يهتم بشأنها ولا نرى شاعرا يذكرها ولا قصاصاً يحتفل بها ولا مرسحا يمثل عنها بل ان اكثر ذكرهم انما يكون للمتزوجات او للآنسات القادمات على الزواج ولعل ذلك لانه لا يعترض حياتها الساكنة على مقتضى الظاهر مايدعو الى مثل هذا الاهتمام حتى انه اذا استأثرت بها رحمة الله فلا نجد بين خلقه من يذرف عليها دمعة حزن او يودع تلك الزهرة الذابلة بنظرة اشفاق

اما تلك التى قدر الله عليها ان لا تجرى على سنن الله وقضى عليها ان لا تشترك فى الزوجية كسائر اخواتها فى الجنسية فهى لا تزال بعد ان يمضى عليها عصر الشبيبة منغصة العيش لا يروق لها النظر الى هناء الناس ولا يطيب لديها الا الرجوع الى سابق ايامها والاسف على شبابها الزائل

ولسنا نرى فى المجتمع الانسانى اشد منها نكدا ولا اتعس حالا فان تجملها بالفضيلة وتحليها بشعائر الرفق والحنان وممارستها للايام كل ذلك لا يشفع عند الاكثرين بذهاب نضارة وجهها وانقضاء دولة محاسنها هذا اذا وُقيت العثار فى زمن شبابها والا فان وصمة ذلك العثار لا تزال ملازمة لها طول العمر حتى تدرج معها فى القبر

واننا نراها ناحلة الجسم ساهية الطرف شاحبة اللون اذا مدت يدها

للسلام نجدها باردة كأنما لا يجول فيها دم الحياة وربما اضطربت واختلجت فلا تجد مخرجا مما هي فيه وذلك لما يخلق فيها القنوط من الضعة فلا تحسب نفسها من اعضاء ذلك المجتمع وتظن ان لا حق لها بالدخول فيه

وان بعض أولئك البنات ينظرن الى ظل الشباب وقد تقلص وزهرة الرجاء وقد ذبلت وان لا بد لهن من بعض الهناء فى هذا الوجود ولا هناء لهن بعد اضمحلال الشباب وفوت الامل فيعملن على السعى وراء هناء الناس فاذا لم يتيسر لهن السعادة فهن يهنأن بسعادة الآخرين غير ان ذلك لا يعبأ به لندوره بينهن ولسعيهن وراء ذلك الهناء من طريق الاضطرار فهن ينظرن اليه بالعين ولا يشعرن به فى القلب

وقد يتولد فيهن بعد ذلك اليأس مبدأ التسليم للقضاء فى كل امر فاذا رأين مثلا حاجة قد وضعت فى غير موضعها او وقفن على عثرة لاحد فلا يخطئن واضع تلك الحاجة ولا يندفعن باللوم على ذلك العاثر بل ينسبن هذا الخلل وتلك العثرة الى ارادة القضاء ذلك لانهن يقسن كل امر عليهن واذ كنّ يعتقدن ان لا ذنب لهن فى قعودهن فهن لا يخطئن احدا فى ذنب اتاه ويكتفين بالقول ان ذلك العاثر ما خلق ليكون سعيدا

ثم انه يعتريهن ذهول لطيف ينتج عما سبق لهنّ من الاحلام الكاذبة والآمال الخائبة فهن قد خطون فى هذا الوجود خطوات ملؤها الرغبة والنشاط والامل والمطامع فخابت كل مساعيهن ولذلك فانهن يبدأن بذكر تلك الايام الزائلة فلا ينقطعن عن تكراره فى كل يوم الى ان يخيم على تلك الذكرى ضباب الملل ويرين ان صدى ذلك الصوت الحنون وهو صوت الامل قد انقطع فينتهين الى اليأس فالخمول ولا بطيب لهن غير الوحدة

والانقطاع عن الناس وما اشد مايكون شقاؤهن عند ماتبتدئ آثار التجعيد تظهر فى تلك الوجنات التى كانت تجرحها خطرات النسيم ويرون حياة الشباب وقد ماتت فى تلك العيون التى كانت تحيي وتميت فيطرقن الرؤوس قانطات وهنّ ينظرن الى المستقبل فلا يجدن غير الفراغ والخلاء . ثم تأتى عليهن تلك الساعة الهائلة وهى بلوغهن الى الخامسة والثلاثين من العمر فترتجف ايديهن كانها تبحث عن طفل تضمه ولاتجده وينصرف حنان قلوبهن عن الانسان الى حيوان يلاعبه وطير يأنس به وتشتد فيهن الكآبة فربما افضت بهن الى الجنون أو الى الموت او انهن يصبحن كالاطفال فيعجبن لكل امر وينذهلن لكل مايبدو لهن وان لم يكن على شيء مما يوجب الغرابة فلا يتميزن فى شيء عن الاحداث

واننا لانجد ما يحمل على الشفقة مثل تلك الفتاة التى قد ظلمتها الهيئة الاجتماعية فوق ماظلمها القضاء فان الرجل العزب قد يبلغ سن الهرم ولا يزال محترماً . واما الفتاة العزبة فلا تلبث ان تخطو سن الزواج حتى يعرض عنها كل انسان وتسمج فى كل عين ولاعجب بعد ذلك اذا راينا النساء ولاسيما الآنسات يحرصن على تنقيص الاعمار وحبذا لو وقف ظلمهن عند هذا الحد فان الفتاة اذا اضطرت الى الارتزاق من عمل يديها فهى لاتكافأ عن عملها بنصف ما يكافأ به الرجل ولو تساويا فى العمل فاذا اضفت الى ذلك ما تقيدها به الهيئة من العوائد والمصطلحات التى تغل يد حريتها وجدت انها من اتعس البشر حالا . هذا ما نقلناه ملخصا عن احدى الجرائد الشهيرة . نقول ان من اهم واجبات الآباء ان يجدوا اكفاء لبناتهن واذا لم يجدن لهن اكفاء فان قرين السوء خير لهن من القعود

(٤٦) وجاء فى جريدة المقطم الصادرة فى ٢٢ اغسطس سنة ١٨٩٧ من انشاء الفاضل نجيب افندى الجاويش هذا الفصل :

﴿ القلم فى الشرق ﴾

حضرات الافاضل اصحاب المقطم

غير خاف على كل ذى عقل صريح ان العلم والكتابة من لوازم التمدن وان نوع الانسان لما كان مدنياً بالطبع وكان محتاجا الى اعلام ما فى ضميره الى غيره اتخذ له طرائق شتى لايصال مسائل العلوم ومبادىء المعارف وما انتحله من المذاهب تارة علما وتعليما وتارة محاكاة وتلقينا الى تكميل نفسه البشرية والتكميل لا يتم الا بالعلم بحقائق الاشياء . ولم نجد لهذا العهد الذى ادركناه واسطة او ذريعة لنقل كافة العلوم وسائر الفنون باسرع ما يمكن من الوقت للاطلاع عليها وتهذيب الاخلاق بها وتشويق النفوس الى الكمالات الانسانية وتحريكها الى حسن الاقتداء والاقتفاء بامرار النظر الى آثار الاقدمين والمحدثين الا الجرائد . والناظر فى موضوعى لاول عارض يظن انى اريد الافاضة فى هذا المجال وانما همى المقصود من هذا المقال البحث فى امر المعارف والتحقيق فى شأن الكتابة والتصنيف وما آل اليه القلم بين ظهرانينا نحن معاشر الشرقيين الامر الذى ساعف عليه بخل الاغنياء وتقتير الموسرين وتقاعدهم عن شد ازر حملة العلم والمؤلفين وتراجعهم عن تنشيط أولئك الذين قد خملوا واستراحوا من حيث تعب هؤلاء الكرام فى جمع الدنيا وحشد الاموال . ولما رأيت هذا العرق من البخل والحرص نابضاً على أولئك قلت مع القائلين اليوم ان القلم لا يزال فى الشرق ميتا

والعلم لا يتعدى نفرا قليلا ولا يكاد يدرك له الا اثر ضئيل او رسم محيل تلقاه ذووه كدّا واجتهاداً وتعلموه تأدبا لا تكسباً وعليه يحق لرجال العلم وحملة الاقلام فى الشرق ان يقيموا مأتم العلم ويعقدوا مناحة الفضل كما فعل علماء ما وراء النهر لما بلغهم ان العلم والحكمة قد توافى اليهما الاخساء وارباب الكسل وقالوا كان يشتغل بهما ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء وينتفع بهم وبعلمهم ومن هنا هجرت الفنون وعلوم الحكمة وان كانت شريفة لذاتها . ونحن اليوم قد غدونا نندب الحالة التى امسى فيها العلم ساقط المنزلة منحط الرتبة لقلة اعتناء القائمين بامره واصبح القلم حملا على صاحبه وعبئاً على ناقله ولكساد سوقه وموت المطالعين واقبالهم على جمع الحطام وكسب الدينار وتفرغهم لبهارج هـذا التمدن الجديد واشتغال السواد الكبير من اهل البلاد بلغات الغرباء ولهذا السبب الظاهر ضن الاغنياء بفضلات مالهم على فقراء الشعب وتعساء القلم . وقد دخل هؤلاء تحت قول المعرى :

أولو الفضل فى اوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء
فما سبئوا الراح الكميت للذة ولا كان منهم للخراد سباء

غير ان الانظار لا تقف عند حد ومطامع النفوس لا تنتهى الى غاية فقد تزيا به اليوم رهط من المقلدين واتجر به قوم من المقصرين فابتذلوا محاسنه وصوحوا زهرته وقد عرفت جملة من اكابر الكتاب وفحولة المحصلين القائلين قد جاء اليوم الذى يحق لنا فيه ان نقبع فى زوايا الخمول ونتستر بمسوح الاسى والانقباض ونهجر المحابر والاقلام لانه قد تطاول اليها واستلم اعنتها قوم هم احوج من صبيان المكاتب الى التعليم فقاتل الله القلم

الذى يمشى فى ايدى الجهال الاغمار ولا يعلم انه يمشى تحت الضعفة الاغمرار

وغير منكر ان الامة الخارجة من الظلمة الى النور تكون اشبه بجواد مرتبط فى مكان داج اذا حلات لجامه وواجهته بالنور بغتة عشا بصره وانبهرت عينه واصبح جريه ضربا من العقال . واذا سئلنا لماذا نحن فى تأخر وانحطاط وبلادنا اشبه شيء بنا اجبنا مع العارفين ان الشرقيين لا يزالون بالنسبة الى غيرهم من الامم والقبائل اطفالا رضعاً يقتضى لهم التدرب والتعلم المقرون بالتربية الصحيحة والتهذيب الخالص ليدرجوا ويشبوا على الشغف بالعلوم والكلف بالصنائع والفنون التى تعود على الامة بالاصلاح والعمارية

وقد سطا على المشارقة داء عقام اشبه شيء بالبرسام او اذا شئت قل السرسام ونعنى به داء المحاسدة والمباغضة فان المرء اذا رأى اخاه بالغا حدا قصر هو عنه اعمل الفكر وسهر الليل ليوقعه فى اشراك الويل والخسران وصار الكاتب اذا اطلق العنان لقلمه موضوعا للتهكم والسخرية لان الناس اصبحوا اليوم كلهم ساسة ولهذا ترى العلماء والخطباء قد هجروا طريقة الفرنجة فى الكتابة والتعليم وضنوا بافكارهم ونفثات اقلامهم لئلا يصبحوا مضغة فى افواه المتشدقين ولماظة بين شفاه المدعين وخرجوا من قول القائل :

وأسوأُ ايام الفتى يوم لا يرى لهُ احداً يزرى عليه وينكرُ

وقد رأيت طائفة من اولئك الذين يعتقدون فى انفسهم التميز عن الاتراب والنظر بمزيد الفطنة والذكاء قد شرعوا يكتبون من غير نظر وتحصيل بل بتقليد صادر عن التعثر باذيال التشبه الصارفة عن صوب الصواب

والانخداعات المزخرفة المتلألئة كالسراب وكل مصدر هذا الاغترار حبُّ الظهور بمظهر التحذلق والتردى ببعض القشور التى التقطوها والزخارف التى لبسوها ليظهروا التكايس ببضاعة مزجاة حتى اذا وضعت تحت مجهر النظر والفحص وجدت مغشوشة مزجاة . قلت وما حملنى على الانصباب فى هذا المضمار وركوب مثل هذا المركب الخشن وخصوصاً فى جريدة سيارة كالمقطم الاَّ هوى الذود عن عصابة اعنيها بهذه الصبابة كاشفاً القناع عن وجه الحقيقة التى اصبحت اليوم فى الشرق كأنها فى دار غربة لا يصاحبها الا اهلها وما ذلك الاَّ لاختلاط الاحوال وتبدل الاشكال وانبراء الكافة لانشاء صحف السياسة ونبذهم مبادىء العلوم والفنون الآيلة الى رفع منار الاوطان الواقعة تحت مخالب الافرنج والطارئين من كل حدب . نعم لقد كثر المتشبهون واختلفت احوالهم وتستر بزيهم المتسترون وفسدت الاعمال وكسدت سوق كل حال ولم يعد يعرف الفاضل من المفضول . ومن اعجب الاشياء انى لا ارى الا طامعاً فى هذا الفن مدعياً لهُ على خلوه عن تحصيل آلاته واسبابه وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهى اليه سقم السقيم

وقد يندرج فى مطاوى هذا الموضوع الجليل مواد جوهرية وانظار دقيقة منها اسباب ذيوع مثل هذه الجرائد المعروفة عند قراء المُقطَّم بقلة جدواها وخفة بضاعة اهلها لانها لم تنشر الا لغرض الكسب وحشو المعد والطعن على العلماء وارباب الفضل . وبالله ماذا يرجى من جرائد ليس فى ادمغة اصحابها شعاعة من النور والعلم . اسفى على كل من يستهلك زمانه فى سفاسف لا طائل تحتها . هكذا يكون شأن البلاد التى لم يثبت قدم اهلها فى المعارف الصحيحة والمبادئ الحقة لان الجرائد ولا مراء من الصناعات

الشريفة المقصودة لتهذيب الافكار وتدريب الاخلاق قبل المنفعة الخاصة والتى هى على هذا المبدإ القديم اشهر من ان تعرف . حقاً ان هذه العناية الشريفة قد رذلت اليوم حتى صار اكثر الذين يتعاطونها جهلاء يروجون بها اكاذيبهم

والسبب الثانى الذى هو أس تأخر اهل الشرق فقدان المبدإ الصحيح من الصدور وهو دعامة النجاح فى المغرب اما الذين ضحوا الحياة لاجل مبدإهم من الشرقيين فقليل ما هم ولم تلق منهم احداً يوماً الا توجع لك مما اصاب الاوطان من الذل والصغار لعدم وجود العدد الكافى من الرجال للقيام بالدفاع عن الشرق وآله ويقينى انه لا يمضى ردح من الحين الا وتهب الليوث من غاباتها لان الشرق كما اسلفنا فى حاجة الى اهل القلم ولا حياة لأمة الا باعلامها وهداتها فهم مصابيح العلم واقمار العرفان . وعندى كلام كثير عما اصاب المشرق من تمدن اوربا وما آلت اليه هذه الحركة الفكرية ووجوب اقامة المجامع العلمية ودرس الفنون والصنائع والرحلة فى طلبها من البلاد البعيدة وحالة التأليف ومصيره والحض على عدم الاعتماد على اهل الغنى واليسار فى بلاد الشرق لان هؤلاء لا مأثرة منهم تؤمل ولا خير يرجى

وظالم عنده كنوز من ام دفر ومن لهاها
وعذّرت حاجة بعسر على عليل قد اشتهاها

وربما بسطت ذلك فى فرصة اخرى لتنشيط بنى قومى وتشجيع رهطى على الاقدام والاندفاع فى سبيل احياء مجد القلم واعادة رونقه الماضى وتجديد ذكر السلف حتى لا يقال يوماً ان العلوم قد دثرت عند

الشرقيين ومات القلم بموتهم الادبى والسياسى ورحم الله عبداً علم فعمل

(٤٧) وجاء فى جريدة المؤيد الصادرة فى ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣١٧ للهجرة يصف ليلة ماطرة ما نصه :

﴿ السيل الجارف ﴾

حدثنا اهالى القاهرة صباح اليوم ببعض ما نحدثهم عن ضواحيها من عصف الرياح وقصف الرعود وانهمال الامطار التى لا نعدها الا سيلا جارفا

قطناً منذ بضعة ايام عزبة الزيتون تبعاً لاشارة الاطباء فيما هو اجود للأطفال من الهواء فلم تكد الساعة العاشرة تحين مساء حتى اختفى اديم السماء واسودّ وجه الافق وأنذرت بروقه بالرعود ورعوده بالهجوم فلم تك الا هنيهة حتى هراق السحاب مافى سقائه من فوق لا السراب كاذب رآه ولكن لان السيل سيأتى بعد قليل من أعالى الجبال جارفاً بتياره الشديد كل ما يجده أمامه .

ولا حاجة لأن نطيل على القارئ الشرح ولكن فى قصة ماشاهدنا من المزعجات وما كابدنا من شدائد النازلة مثال صغير يشرح الحادث الكبير .

فليمثل القارئ بيتاً صغيراً فى زاوية حديقة كبيرة مساحتها ثلاثة أفدنة مسورة من جميع جوانبها باحكام . ذلك هو المنزل الذى كنا نقطنه فى تلك الحديقة الرحبة قد اعتنى بها صاحبها من ذوات العاصمة اعتناء مثله بمثلها

فلما جادت السحب بوبلها الغزير استيقظنا من النوم على دوى الرعد القاصف وبريق البرق الخاطف وخرير الماء ينزل على السقف نحو ساعة من الزمان حتى تأثر السقف ونزلت منه قطرات زادتنا قلقاً وخصوصاً على الاطفال

ولو اقتصر على هذا الحد لقال قراء العاصمة نحن كابدنا اشد من هذا العناء هولا ولكن الذى فوجئنا به بعد ذلك فأرانا الموت الواناً هو ان السيل انقض كانما هو النيل يفيض من أحد الشلالات الكبرى وصار صدى هديره يرسل لنا النذير وراء النذير ودوى سقوط المنازل واحداً بعد آخر يكاد يصعق منا القلوب فلم نجد بدا من أن نهجر مأوانا ونلجأ الى الحديقة لنعتصم بسياج من اشجارها ثم تحققنا عندئذ ان اندلاق السيل قد وصل الى جنوب الحديقة فجرف السور دفعة واحدة من الشرق الى الغرب وهو لايقل عن مائة متر وتدفق تيار السيل فى عرض الحديقة كلها حتى قطعها الى الشمال فى علو نحو متر ماء فما استتم خروجنا من محيط المنزل حتى امتلأ ماء واتلف كل شيء فيه. ثم لم يلبث ان سقط السور الشمالى على مثال سقوط الجنوبى وبقيت الدار بعد ذلك نحو ثلاث ساعات ثم تقوضت جدرانها الاربع. أما نحن فلم يعصمنا شجر ولم تحمنا ربوة فى الحديقة التى كانت كأنها فى هذه الحالة واد سحيق ولكن الهمنا الله ان نلجأ الى عجلة الساقية فنعلو سطحها لانه آمن كل مكان فى الحديقة التى صارت لجة تضرب امواجها بين جنباتها. وهكذا قضينا المسافة بين الساعة الحادية عشرة والساعة السابعة صباحا اشد ما كان يؤلمنا ويؤذينا نزول الامطار علينا فى خلالها مدرارا وليس بين ايدينا غطاء ولا وطاء الا وقد اخذ اضعاف

حظه من الماء . ثم لم ينجنا من هول ما كنا فيه وسوء عقباه الا العربات التى جاءتنا باكرا لانقاذنا من هذه الكربة

وقد كنت احسب ان ما نابنا من هول هذه الليلة الدهياء اكثر مما ناب سوانا ولكنى تحققت فى الصباح ان اكثر سكان الجهة الشمالية من عزبة الزيتون قد كانت مصائبهم ادهى وامر اذ ليس لدى كل واحد منهم ساقية تمكن من الالتجاء اليها فخففت بعض ويلاته . وعلى هذا النمط ينبغى لاهالى القاهرة أن يرثوا لحالة سكان نحو ٣٠٠ منزل جرفها السيل بما فيها بين عزبة الزيتون والمطرية مما لم يبق معه لحديث القاهرة فى هذه الحادثة شأن . لطف الله بعباده وجعل من ماء هذا الحادث الفجائى ريا لبعض شراق هذا العام آمين

(٤٨) وكتب صديقنا الفاضل حفنى بك ناصف الى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق وكان قد زاره يوم احتفال فى بيته فلم يقم بحفاوته

« كتابى الى السيد السند ولا اجشمه الجواب عنه فذلك ما لا أنتظره منه وانما أسأله ان ينشط الى قراءته ويتنزل الى مطالعته وله الرأى بعد ذلك أن يحاسب نفسه أو يزكيها ويحكم عليها أو لها

فقد تنفع الذكرى اذا كان هجرهم دلالا فاما ان ملالا فلا نفعا

زرت السيد ويعلم الله أن شوقى الى لقائه كحرصى على بقائه وكافى بشهوده كشغفى بوجوده فقد بعد والله عهد هذا التلاق وطال أمد الفراق وتصرم الزمان وأنا من رؤيته فى حرمان فقيل لى انه خرج لتشييع زائر وهو عما قليل حاضر فانتظرت رجوعه وترقبت طلوعه ولم ازل اعد اللحظات واستطيل الاوقات حتى بزغت الانوار وارتج

صحن الدار وظهر الاستبشار على وجوه الزوار وجاء السيد فى مركبه وجلالة محتده ومنصبه فقمنا لاستقباله وهنيمنا بكماله فم يتعرف وجوه القوم حتى حاذانى وكبر على عينه ان ترانى فغادرنى ومن على يسارى وأخذ فى السلام على جارى وجرّ السلام الكلام وتكرر القعود والقيام وانا فى هذه الحال أوهم جارى أنى فى دارى وأظهر للناس أن شدة الالفة تسقط الكلفة ومر السيد بعد ذلك من أمامى ثلاث مرات ومن الغريب انه لم يستدرك ما فات وأغرب منه انه استخلص لنفسه من المجلس اربعة ودعاهم الى الحجرة فدخلوا معه فلم يبق الا القيام والامساك عن الكلام

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمو علىّ اذن حرام

وكنت اظن ان مكانتى عندالسيد لا تنكر وان عهدى لديه لايخفر فاذا أنا لست فى العير ولا فى النفير وغيرى عند السيد كثير وذهاب صاحب أو اكثر عليه يسير

ومن مدت العليا اليه يمينها فاكبر انسان لديه صغير

ولا أدعى أنى اوازى السيد صانه الله فى علوّ حسبه أو أدانيه فى علمه وأدبه او اقاربه فى مناصبه ورتبه أو أكاثره فى فضته وذهبه وانما اقول ينبغى للسيد ان يميز بين من يزوره لسماع الاغانى والاذكار وشهود الاوانى على مائدة الافطار وبين من يزوره للسلام وتأييد جامعة الاسلام وان يفرق بين من يتردد عليه استخلاصا للخلاص ومن يتردد اجابة لدعوة الاخلاص وان لا يشتبه عليه طلاّب الفوائد بطلاّب العوائد وقنّاص الشوارد بنقباء الموالد ورُوّاد الطُرَف بارباب الحِرَف

فما كل من لاقيت صاحب حاجة ولا كل من قابلت سائلك العرفا

فان حسن عند السيد ان يغضى عن بعض الاجناس فلا يحسن ان يغضى عن جميع الناس والا فلما ذا يطوف على بعض الضيوف ويحييهم بصنوف من المعروف ويتخطى الرقاب لصرّوف ويخترق لاجله الصفوف فان زعم السيد انه اعلم بتصريف الاقلام فليس باقدم هجرة فى الاسلام وان رأى أنه اقدر منى على اطرائه فليس بمكن أن يتخذه من أوليائه

ولا أروم بحمد الله منزلة غيرى أحق بها منى اذا راما

وانما أصون نفسى عن المهانة والضعة ولا اعرضها للضيق وفى الدنيا سعة

واكرم نفسى انى ان اهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدى

فلا يصعّر السيد من خده فقد رضيت بما ألزمنى من بعده ولا يغض من عينه فهذا فراق بينى وبينه وليتخذنى صاحبا من بعيد ولا يكلمنى الى يوم الوعيد

كلانا غنى عن اخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

ومنى على السيد السلام على الدوام ومبارك اذا لبس جديدا وكل عام وهو بخير اذا استقبل عيدا ومرحى اذا اصاب وشيعته السلامة اذا غاب وقدوماً مباركا اذا آب وبالرفاء والبنين اذا أعرس وبالطالع المسعود اذا أنجب ورحمه الله اذا عطس ونوم العافية اذا نعس وصح نومه اذا استيقظ وهنيئاً اذا شرب وما شاء الله كان اذا ركب ونعم صباحه اذا انفجر الفجر وسعد مساؤه اذا اذّن العصر وبخ بخ اذا نثر ولا فضّ فوه اذا شعر واجاد وافاد اذا خطب واطرب واغرب اذا كتب واذا حج البيت فحجا مبرورا واذا شيع جنازتى فسعياً مشكورا

(٤٩) وكتب الفاضل الشيخ ابراهيم اليازجي

وافاني كتابك العزيز والنفس نازعة الى مايزبل نفارها والقريحة تائقة الى ما يشحذ غرارها فكان روضة باسمة الكمائم فائحة النسائم قد ردت على النفس انبساطها وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها فانا منه مابين وشي يخجل طراز العبقرية وزخرف دونه نضرة السابرية تناجيني منه رشاقة الفاظ تفضح قدود الحسان وغضاضة انفاس يغار منها وَرْد الجنان ورقة خطاب يشف عن ودّ صفيّ ولطف حفي وكرم وفيّ وعتب اعذب من الماء القراح وارق من نسمات الصبا في الصباح حتى لقد حبّب اليّ تقصيري وشفع عند نفسي في قبول معاذيري على أن ماعندي من الولاء لايعتريه معاذ الله وهن ولايخلقه تمادي زمن او ترامي وطن ولكن صروف الاحداث قد قصرت الجهد وصرفت جواد العزيمة عن القصد والله يعلم اني لو نزلت على حكم نوازل الدهر ولم ادافع طلائعها بما بقي من ساقة الصبر لما كان في همتي الا كسر اليراع وهجر المحابر والرقاع وحسبي من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف وما الفته من كرمك المعروف والله أسأل ان يبقيك لي من الدهر نصيبا ويمتعني بلقائك قريبا بمنه وكرمه

(٥٠) وكتب الفاضل مصطفى بك نجيب :

﴿ الفونوغراف ﴾

مثال القوة الناطقة . من غير ارادة سابقة . يقتطف الألفاظ اقتطافا ويختطف الصوت اختطافا . مطبعة الاصوات . ومرآة الكلمات . ينقل

الكلام من ناحية الى ناحية . نقل كلام عمر رضى الله عنه الى سارية . اشد من الصدى فى فعله . فى اعادة الصوت على أصله . كأنه الحرف عن يد الطابع . والوتر عن يد الضارب والقصب عن فم القاصب . يحفظ الكلام ولا يبيده . ومتى استعدته منه يعيده . من غير ان يبقى لفظاً فى صدره . او يكتم شيئاً من امره . كانما حفظ الوديعة . فى نفسه طبيعة . فلو تقدم له الوجود فى مرتبة الزمن لما احتجنا فى الاخبار الى عنعنة . ولا فى الدعاوى الى بينة . بل كان يسمعنا كلام السيد المسيح فى المهد . وصوت عازر من اللحد . وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم . وانشدوه كلتهم . فرأينا به غرائب اليونان وبدائع الرومان . وربما سمعنا خطب سحبان . وشعر سيدنا حسان . بذلك اللسان واصبح وجود الانسان . غير محدود بزمن من الازمان . لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم ويستخلصه فى لحظة . معيداً لقوله ناقلاً صوته ولفظه .

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل

نديم ليس فيه هفوة النديم . وسمير لاينسب اليه تقصير . تسكته وتستعيده . وتذمه وتستجيده . وتنقصه وتستزيده . وهو فى كل هذه الاحوال . راض بما يقال . لا يكل من تحديث . ولا يمل من حديث . نمّام كما نم لك نم عليك . وينقل لغيرك كما ينقل اليك . فهو المصور لكل فن . المتكلم بكل لغة . المحدث عن كل انسان . المؤرخ لكل زمان . الشاعر . الناثر . المغنى العازف لاتعجزه العبارة . ولا يجهده الأداء . ولا يضره اختلاف شكل . ولا تباين اصل . بل تعدت شدة حفظه البشرية من اللغات الى حفظ اصوات العجماوات . الى حركة اصطكاك الجمادات .

فيا لله من ايهما نعجب . ولايهما نطرب . أمن الفونوغراف وقد نقل صوتنا كما نطقنا . أم من شقيقه الفوتوغراف اذ ينقل صورتنا كما خلقنا فنرى من فى اقصى اقطار الارض ويرانا وكلانا عن مكانه لم يتحول . ويسمعنا حديثه المعنعن ونسمعه حديثنا المسلسل .

(٥١) وكتب صديقنا الفاضل حسن افندى توفيق لبعض اصحابه وقد لامه على عدم مكاتبته :

عذلت ايها الصديق ولات حين عذل . حيث املت ان اكون لك كما انت لى . وانا ذلك الخدن الذى ملئت جوانحه شوقا . وحشيت احشاؤه صدقا . أغرك إرجاء المكاتبة . ام أغراك صمت الاقلام والقلوب كالسبيكة اذا أصدأها السكون فهى خالصة الباطن . أو كجمرة الزند تتأجج وهى مغبرة الظاهر . بل تحكم لديك الشك فحكمت . وكان عهدى بك اليقين ومع هذا فانى لأشكرك على عذلك . وأحمدك على فضلك . فلا لوم الا بين اصدقاء . ولا عتاب الا بين اودّاء . وما اختيارى بهذا ان اقرع عصاك . بل ان اجعل شكك يقيناً فى صديق رؤيتك أشهى آماله . ولقاؤك اعظم امنياته والسلام .

(٥٢) وكتب الفاضل مصطفى افندى الدمياطى

﴿ الأناة ﴾

ليس فى الأناة مظنة العجز ولو ادنت من الفوت وانما العجز فى العجلة التى تعقبها الندامة فما اضيع الفرصة اذا انتهزها المرء بلا روية

ولم لا يكون الانسان طويل الاناة بعيدا عن التسرع . الغاية فرس

جموح لا تراض بغير الحزم والتأنى وما مثل الانسان عجولا الا كمن امتطى جوادا لا يقوى على رياضته لان يده غير قادرة على ضبطه فتراه عاجزاً عن ايقافه عند الحاجة كذلك المتعجل تراه مدفوعاً برغبات لم يرضها فهى تعدو به ولكن الى هوة عمق قرارها اذا سقط فيها فلن ينهض منها فعلام يتعجل المريد بل لماذا يغفل الروية فى الامر

نار الروية نار جد منضجة ... وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها ... لكنه عاجل يمضى مع الريح

أيريد ان يقطع ولا سكين او ان يحصد فى ابان البذر او ان يأكل من الفواكه وهى نجة او يدخل الدار قبل ان يؤذن له او يكسر الباب قبل ان يفتح عليه او ان يعمل بغير الحكمة

اذا عزمت على امر تحاوله ... فاسلك من الحزم فى تطلابه طرقا
ان الاناة لطرف ان ونيت ونى ... عن اللحاق وان اجهدته سبقا

(٥٣) وكتب الفاضل أحمد بك زكي رسالته الثالثة من كتابه السفر الى المؤتمر فى وصف رومية المدائن فقال :

يا للعجب يا للعجب كأنى نسيت الكتابة بلغة العرب أو كأن مقامى بهذا البلد اضاع اللب وأذهب الرشد فكيف العمل فكيف العمل وانا كلما حاولت التحرير او اخذت فى التحبير استعصى القلم وحرن جواد التفكير وانهالت على المطالب انهيالا لا يجعلنى اعرف بم يجب الاستهلال ومتى يكون الختام وكيف اتخاص الى تلخيص شىء من المذكرات الجمة والمفكرات اللطيفة التى اقتطفتها او جمعتها على هذه المدينة المختالة فى حلل البهاء والجمال المجللة بما اودع فيها من آثار العظمة

ومشاهد الجلال فنيها العمائر الفاخرة الفائقة والقصور الواسعة الشاهقة والمزارات المتعددة المتنوعة والبقايا الكثيرة مما خلفه فيها القياصرة والامبراطرة والقناصل والامراء والاشراف والكبراء والسادات والبابوات فانها من يوم نشأتها الى الآن مازالت عاصمة السياسة والحل والعقد وكعبة الديانة الوثنية ثم النصرانية وكل من يتولى الامر فيها سعى بما فى وسعه لتوسيع نطاقها وبذل جهده فى زخرفتها بما يوجب له الفخار ويستبق ذكره على ممر الايام فلذلك ترى شوارعها فسيحة وميادينها أنيقة وفى كل ساحة فسقية يتدفق الماء منها وفيها باشكال معجبة واصوات مطربة وقد نصبوا فيها كثيراً من المسلات التى استجلبوها من بلادنا مع أن عاصمتنا القاهرة خلو منها بالمرة (والذى بقى عندنا من المسلات مازال فى موضعه يندب التمدن الذى كان حوله ويتحسر على عدم العناية به مثل امثاله فى اوربا وامريكا) وللمبانى فى رومية منظر رائق بهيج بألوان زاهية براقة تعجب النظار وعلى جميع جدرانها وابوابها ونوافذها ومطلاتها وشرافاتها وأفاريزها ترى التماثيل من النقوش البارزة والتصاوير المختلفة والرسوم المتعددة كأن كل واحد من اهاليها اراد ان يستوقف السائحين والجائلين والرائحين والجائين بل هذا غرام قام بهم وشغف لازمهم فلا مندوحة لهم عنه لانك ترى حتى الجزار يزوق حانوته باغصان الاشجار ويعرض اللحم على الانظار مقطعا قطعا ملتفا اعلاها بقراطيس من الورق الابيض تنضم ثنياته الى بعضها فتجمعها زهرة من الزهر المختلف الالوان ومثله بائع الخضر فى حسن الترتيب وجمال العرض ولا ينقص عنهما غيرهما فكل واحد يتفنن فيما يلزم الخلائق بالاقبال عليه

وقد اغتنمنا فرصة مقامنا بهذا البلد لزيارة ما به من الكنائس التى يضرب بها المثل فى الضخامة والفخامة والمتانة والتناهى فى الابداع واللاتناهى فى الاغراب والتشييد الهائل والزخرفة التى تلهى ولا شك المتعبدين والمتعبدات وتشغل المتنسكين والمتنسكات بالنظر اليها وان العقل ليحار فى كيفية تشييدها ويذعن باقتدار ذلك الذى صورها بالقلم على القرطاس ثم ابرزها مجسمة على سطح البسيطة حاوية كمال التناسق وتمام التناسب واحكام الصنع واتقان الوضع فى كل نوع من جدرانها وعمدانها وسواريها الى عقودها الى سقوفها الى قبابها حتى أنه لم يترك مقالاً لقائل ولم يدع مجالا لاستعمال ليت ولو وفوق ذلك فان للقوم بحفظها عناية لا بعدها ولا قبلها ففى كل كنيسة منها سلالم للتعمير والترميم والتجبير والتتميم ومع كثرة الكنائس والبيع بها (فانها تكاد تناهز نصف الالف) رأينا القوم مشتغلين بتشييد غيرها وأنت تعلم ما حاق فى هذا الزمان بالحكومة البابوية والسلطة الدينية من الضعف والاضمحلال فى بلاد اوروبا على العموم وايطاليا على الخصوص

هذا وقد زرنا معرض الصور والرسوم ومصنع الفصوص والفسيفساء فى قصر (الفاتيكان) ورأينا بهما من العجائب والغرائب التى يقصر عن تفصيلها هذا الاجمال ثم شاهدنا ما بالمدينة من آثار القدماء والمتاحف والمعارض والقصر الملوكى والاطلال القديمة والسراديب المنقورة فى قلب الجبل حيث كان النصارى فى مبدأ أمرهم يلجؤن اليها ايام الاضطهاد ويتقون بالاختفاء فيها شر عُبّاد الاوثان

وقد رأينا فى كل ساحاتها وباحاتها وميادينها وبساتينها وفى كافة الارجاء

من منازهها وشوارعها تماثيل كبارهم وعظمائهم الذين قاموا بخدمة الوطن وترقية شأن البلاد وتعزيز مقام الامة بحيث ان ذكرهم لا يمكن ان يمحوه الزمان وبذلك عرف الاهلون عالمهم وجاهلهم كبيرهم وحقيرهم مقدار الاجر العظيم الذى يصيبه من ينفع الوطن من اى وجه كان وبأى عمل كان ووقف السكان عموماً على تواريخ اولئك الذين استفادت منهم البلاد فائدة حسية أو معنوية قليلة اوجليلة واتخذوهم نموذجا لتهذيب الابناء الناشئين وتربيتهم على السير فى جادتهم ومحاكاتهم فى خدمة الاوطان

وهنا ينبغى لى ان اقف قليلا كاسف البال متحسرا على اهمال اهل بلادنا هذا الامر الذى هو أفضل الاعمال واجل ماتشد لاجله الرحال فان الذى يعلم انه اذا خدم وطنه عرف قومه قدره واجلّوا ذكره وشادوا له الآثار والمبانى التى تضمن له عمرا غير العمر الفانى وتستديم حياته الى كل جيل لا شك انه يضحى النفس والنفيس ويواظب على السعى والعمل لنيل هذا الشرف الذى ليس بعده شرف . ألا ترى أن الكثير من علمائنا وفضلائنا قدانقرض ذكرهم بمجرد دخولهم فى رمسهم اللهم الا ان يكون لهم كتاب متداول مشهور (وهم الاقلون) وهل يصح لى ان أعرّف بنى وطنى الكرام بأن السعى فى تخليد ذكر الاماجد الاماثل الذين يخدمون الوطن هو اكبر باعث ينهض بالنفوس ويحرك العزائم ويحد القرائح ويوجب الاقدام على العظائم فتغتنم الامة والوطن اجل المغانم ويربحان باجتهاد افرادهما وسعى ابنائهما من غير ان يكونا على الدوام فى حاجة الى الاجنبى والدخيل لانسير الا بمشكاة نورهما ولا نهتدى الا بهدايتهما وارشادهما أما آن لنا ان نفطن الى هذه الحقائق وندرك ما وراءها من المنافع فنطرح الحسد من نفوسنا

ونسعى جميعا فى وجهة واحدة لصالح الوطن العزيز كل بقدر ما عنده ونعضد بعضنا لنكون كالبنيان المرصوص فلعل اهل بلادنا تهزهم الاريحية المصرية وتثور فيهم النخوة الوطنية والحمية الاهلية فيتشبهون بامم اوروبا لنوال الفلاح والنجاح

أواه : تحدثنى نفسى عند كتابة هذه السطور بأن الكثير من القرّاء لا بد أن يستخف بهذا المقال ولكنى أنادى من له حياة او كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد فتلك لعمرك عواطف وطنية واحساسات قومية وددت لو يشعر بها اهلى كما تملكتنى حينما رأيت الخاصة والعامة فى هذه المدينة واقفين تمام الوقوف على جميع ماجريات أولئك العظماء الذين اقيمت لهم التماثيل والانصاب وتزينت بصورهم قصور الملوك وقاعات الدواوين حتى كان ذلك باعثاً للامة الطليانية على مباراة الامم العظيمة ففتحت المعامل الكبيرة وألفت الشركات الجليلة وأقدمت على مهامّ الاعمال فحفظت ثروة البلاد فى البلاد وروجت الصنائع الوطنية فاكتسبت ايما اكتساب نعم لا ننكر ان الدولة الطليانية واقعة الآن فى ازمة مالية وقد برك فيها جمل الفقر ولكن لها عذر واضح من حيث انها فى وقت قصير أنشأت موانى حربية بحرية وأنجزت كثيرا من الاعمال العظيمة ذات المنفعة العمومية كى تضاهى الدول الكبيرة والامم المثريه فكانت كالزارع ينفق كل ما عنده ثم ينتظر الغلة والربع وقد بدأت تجنى ثمار ما غرست وأخذ الخير يدر عليها وأظن أنه لا يمضى عليها نحو النصف مائة حتى تنفض ما عليها من غبار الفاقة وتفيق مما حاق بها من الارتباك والاعسار

وكأنى بك أيها القارىء قدملت من هذا الاستطراد وتود منى بدل

ذلك أن اكاشفك بما رأيته فى هـذه البـلاد من الامور العرضية الثانوية التى قد يكون وراءها فائدة معجلة جزئية يمكن ادخالها فى بلادنا مثل العربات والسكة الحديدية والبريد والتلغراف والبواخر والشرطة (البوليس) وما اشبه ذلك من التنظيمات من انهم يضعون أسماء الشوارع على رقع مربعة من الرخام كى لا يتطرق اليها البلاء بسرعة كما حصل عندنا فى الاخشاب التى وضعتها نظارة الاشغال فى القاهرة بمصاريف باهظة ولكنى أقول لك أن الحر شديد جدا وانى أقاسى منه اكثر منك من عهد مبارحتى للاسكندرية الى هذا اليوم حتى كأنى ذهبت الى اسوان او السودان فأعفنى من ذلك الآن عافاك الله واعتقد ان الحر فى هـذا العام باوروبا اشد منه فى كل عام بل لم يعهد القوم له مثيلا قبل الآن ولقد كنت استغرب ذلك فى ارض أوروبا حتى قرأت فى جريدة التريبونا الصادرة فى يوم الاثنين ٢٢ اغسطس تلغرافا من باريس ينبئها بأن اشتداد الحر فوق العاده قد أتلف صحـة الجنود وهم يتمرنون فى جملة جهات وآخر من ويانة يقول ان القيظ مستمر فيها وأنه وردت عليها الاخبار من جملة مدائن أن الحر سبّب وفيات كثيرة وأن سبعة من العساكر زهقت أرواحهم من اشتداد الحر بينما كانوا فى مرانتهم وأن الفلاحين قد اضطروا لترك اعمالهم وأن الفاكهة قد اصابتها اضرار بليغة فكيف لا تشفق علىّ مع ذلك كله وقد كنت ايضاً بالامس (يوم الاحد) اتريض فى رومة ورأيت في منازهها من رأيت وما رأيت وحسبك منى هذه الاشارة . . . . . .

(٥٤) وعرّب هذا الفاضل فصـلاً حكمياً نشرته احدى المجلات الفرنسوية وكان له وقع عظيم فى نفوس قرائها فأبدع فى انشاء ما عرب حتى فاق المعرب اصله

اسلوباً وأخذاً بالقلوب وياليت المعربين يحذون هذا المنحى فى معرباتهم وها هو الفصل بنصه الفائق :

بينَ المجانين

أُسرتى أثيلة فى المجد ، كثيرة فى العد ، مشهورة بالنعمة والثراء ، ولها من الجاه مكانة علياء . ولى أخوة تحسدهم البدور والاغصان ، لما امتازوا به من الرشاقة والجمال . واما أخواتى فقد خلقهنَّ الله فتنة لذوى الالباب ، يسحرن العقول ، ويفتكن بالارواح .... ولا جناح . فلما ذا ياربى ، افردتنى بالدمامة والبشاعة ، والسماجة والشناعة ، بين افراد هذه الاسرة ، الباهية الباهرة ، الزاهية الزاهرة ؟ كأنى عنوان الاختلال والاعتلال ، فى نظام الاكوان ، او مجمع اسباب النفور والاشمئزاز ؛ بل لعنة الرحمن ، مجسمة فى جسد انسان .

لا أرى أمامى ، وجهة واحدة أجعلها كعبة آمالى . ويعلم الله ان فؤادى ينطوى على عواطف الحب الشديد ، والولاء الصادق . ولكننى لا أجد فردا فى الوجود ، يرضى بأن تحوم حوله اميالى . فلله در الحب والهيام ! وأفٍ أفٍ لهذا العالم الذى انا فيه ينبوع الجزع والفزع ! كلّ من أسعى فى التودد اليه والتقرب منه ، يفرّ من وجهى مرعوبا مذعورا ! بل ان الذين تدفعهم عواطفهم الكريمة ، واحساساتهم الشريفة ، الى الشفقة علىّ والرثاء لحالى ، لا يلبثون ان يغضوا ابصارهم عنى ! ويولونى ظهورهم ، هلعا وفرَقا !

وحيثما وليت وجهى ، واينما ساقتنى اقدامى ، رأيت الجو المحيط بى

مشحوناً بجراثيم القلى والبغضاء ! فقد حكمت علىّ معاندة القدر ، ونحس الطالع ، وقبح الطلعة ، بأن اهيم وحدى ، على وجهى ، فى بيداء بهماء ، لا اجد فيها وسيلة للنجاة ! فالامانى والمسرات وحب الشهرة وغير ذلك من الرغائب التى فُطر بقية الناس عليها ، هى كلها امامى دوائر مسحورة ، ومناطق مطلسمة ، لا اكاد اقترب منها حتى يقذفنى الرصد المُوكل عليها ، بانواع العذاب . . . والهوان . . . والنكال .

معارفى واسعة متنوعة ، ومعلوماتى غزيرة متعددة ، بحيث يقف دونها اكابر العلماء المشهورين ، موقف الجهالة والاستفادة . عندى من قوة العزيمة والثبات على النشاط ، ما يجعل الراحة فى نظرى ، عذابا لا يطاق . فؤادى كله رأفة وحنان ، على كافة المخلوقات على الاطلاق ، حتى إننى لأشفق على الحشرة الضعيفة ، والدودة الضئيلة ، ان أطأها بقدمى ، على غير علم منى .

سبحانك ربى ! انت ارحم الراحمين . ما ذا أصنع بهذه المواهب التى أفضتها علىّ من خزائن علمك ، ونفحات فضلك ؟ أفلا ينبغى لى الاختلاط بالناس ، كى تظهر آثارها ومزاياها ؟ فلما ذا ، متى اقتربت منهم ، يصيبنى من العذاب اشكال والوان ؟ وأينما نزلت أحاط بى الهزء والسخرية والازدراء ؟ وكنت سببا فى انخلاع القلوب واضطراب العقول ؟ لقد اصبحت وكل خطوة من خطواتى تقودنى الى هاوية عميقة ، وغيابة سحيقة ، فعيشى زقوم ، وحياتى كلها غموم وهموم .

لما أتيت الى عالم الوجود واستقبلتنى القابلة ، القتنى بعنف على الارض ،

وفرّت صارخة مذعورة . ولما رأتني المرضعة ، ارتجفت وهرولت الى خارج الدار ، وهي تقسم باغلظ الايمان ، انها لن تحملني على صدرها ، ولا تغذوني بدرها . فنظرت الىّ والدتي ، فغشيها من الهمّ ما غشيها ، ووقعت عن كرسيّها ، مغمى عليها . فادركها والدي ؛ وإذ أبصرني ، اصطكت اسنانه وارتعدت فرائصه ، وصاح : « ما هذا بشرا انه هذا الامسخ رميم ، ولا يسخو انه يعيش . » فتسامع بي الاطباء ، وقالوا : « بل نحفظه مثالا غريبا عن غرائب المسوخ وعنوانا على فلتات الطبيعة في النشوء . »

ألا لعنة الله على الاطباء ، فهم سبب حياتي ، بل اصل ما اقاسيه من بلائي وشقائي ! وجاءت عجوز شمطاء ، منقطعة عن الاهل والاولياء ، فأخذها الحنان علىّ ، واخذتني ، وآوتني ، وقامت بتربيتي ، حتى ترعرعت . فاذا في فؤادي شغف شديد بالمحبة والوداد . فملت بكليتي ، الى كل ما وقع عليه بصري ، من أرض ، وعشب ، وحيوان في الفلاة . وهمتُ ولوعا بكل شيء من البهيمة التي ترعى تحت اقدامي ، حتى الانسان الذي خلقه الله ، ليتأمل في بدائع الملكوت ، ولو انه يفزع لرؤيتي ، ويفرّ من امامي . شُغفت بحب الكائنات ، من اشرفها واسماها ، الى احقرها وادناها . ركعت أمام امي ، وتضرعت اليها ان ترمقني بعين المحبة . فنالها رعب شديد ، وخارت قواها ، وضاع هداها . ذهبت إلى أبي ، فنهرني وطردني ، بنفور واشمئزاز . بل نفر عني حتى احقر العبيد ، مفتخرا بشكله الانسي ، وظاهره الآدمي ؛ ورفض ان يكون له ادنى علاقة بشخص عليه علائم الغضب السماوي ، والسخط الرباني . بل ان الكلب . . . الكلب الذي اخترته من

اقبح الانواع وابشعها ، واشوهها واشنعها ، خاف من وجهى ، واطلق سيقانه للهرب من منظرى .

فلما رأيت نفسى طريدا مهجورا ، ممقوتا ملعونا ، أجمعت رأيى على الوحدة والاعتزال ، والمعيشة فى بطون الغابات وفوق نواصى الجبال ، منفردا حقيرا ، كالدودة فى الحجر الاصم . وبقيت فى عُزلتى ، أُعانى الآلام ، تزيدها الافكار والاشجان ، واقاسى الهموم والاحزان ، بسبب النفى من هـذا العالم ، الذى لا ينبغى ان يكون لى فيـه نصيب من الحب والوداد .

ولما اصبحت مطرودا من معاشرة الناس ، رأيت ان أتفرّغ للنظر فى عجائب الكون وجمال الطبيعة . وصارهمى طول يومي ، وسَمَرى فى سهرى ، التلقى والتحصيل ، عن مشاهير الاموات ، الذين تركوا لنا زبدة افكارهم ، وثمرة اتعابهم ، وخلاصة اعمالهم . وأرشدتنى الارض الى كنوزها وعجائبها ، وسلمتنى كتب الحكماء مفاتيح علومهم ومعارفهم . فقرأت ، ونظرت ، وفكرت ، حتى انكشفت لىَ الحقائق ، من خدرها المكنون ، وسرها المكتوم ، وانطبعت على صدرى ، بطابعها الربانى . وظهرت لى خفايا الماضى فى أتم الظهور ، وانكشفت امامى اسرار الوجود ، من غير ما قناع يحجب محياها الوسيم . بل توصلت بطول المراقبة ، ودوام الرياضة ، وكثرة الاختبار ، الى معرفة المستقبل من الامور والشؤون . ونظمت من القريض الدرر والدرارى ، ضمنتها خلاصة آرائى وافكارى . لكن واأسفاه ! كلما ارتقى عقلى ، واتسع نطاق فكرى ، وصفَتْ قريحتى ، ازدادت آلامى شدة وحدة ،

حينما أراني فى هـذا العالم — عالم السعادة والحب والهناء — محكوما علىَّ دون سواى ، بان اعيش فى نكد وكراهة وشقاء ، وان لا اكون محبوبا على الاطلاق ، الى ما شاء الله .

لذلك عزمت على السياحة ، لعـلى اجد فى بعض الاجزاء الاخرى من هذه المسكونة الملعونة ، اناساً مخلوقين على غير هذه الصورة الربانية ، التى جعلت فى قومي اعجاباً بأنفسهم ، فاق حدود الانفة والكبرياء . (قلت : قومى ! قومى ! أمثلى له قوم بنتسب البهم ؟)

ان الخلائق البشرية على انواع تفوق الحصر . فلماذا لا أجد اثناء تسيارى فى اطراف المعمور ، اناساً يشبهونني ، ويحبونني ؟ ولماذا لا يصيبنى انا ايضاً نصيبي من السعادة والهناء ؟ فاستودعت الله ذلك الشخص الوحيد الذى عُنى بى ، وأعنى به تلك العجوز الشمطاء . وكانت قد اصبحت عمياء بلهاء . فلم تشمئز من وضع يدها المرتعشة على رأسىَ المشوه الدميم . ثم ودعتنى ودعت لى . . . ولكنها لم تتمالك من اختتام دعائها بهذه الكلمات : «لبتك يابنى لم تخرج صه هيز العدم ! » فأفلتَ من فمى ، رغماً عنى ، تبسمٌ ، يصحبه تهكم ، وهرولت مسرعاً الى خارج دارها .

. . . . . .

. . . . . .

اتفق لى فى بعض الايام انى امضيت النهار كله فى حـل وترحال ، حتى اذا حان الاصيل ، وجدت نفسى فى منتهى احدى الغابات ، وابصرت بالقرب منها داراً خلاوية جميلة التفتْ حولها الاشجار ، تفوح منها اعطار الازهار ، وتتناغى فوقها الاطيار . وقد تسلقت اغصان الورد والياسمين

على اسوارها ، وتشابكت فوقها فروع الدوالى واللبلاب . . . . ونزل على الازهار ندى المساء ، فضاع شذاها ، وتأرجت به سائر الارجاء . فأخذت استنشق هذا النسيم وهذه الاعطار ، بشغف وهيام . نعم بشغف وهيام ، لان هـذا النعيم على الأقل لم يكن محظورا علىّ ، ممنوعاً عنى . . . . وبينما انا أمتع انفى بشميم الاريج ، وعينى بالمنظر البهيج ، اذا بسمعى قد اشترك ايضاً فى هذا النعيم ، فقد استرعاه صوت رخيم فى البستان ، وأرشدنى رقة النغمة ، الى انه صادر من سرب نساء . فكتمت نَفَسي ؛ واصغيت ، لا بأذانى وحدها ، بل بكل حواسى . واذا بهنّ يتجاذبن اطراف الكلام ، عن الحب والغرام ، وعن الصفات والخواصّ التى تولده فى الفؤاد .

وسمعت احداهن تقول كلمات ، كان لها فى فؤادى الكليم ، سحر عجيب . قالت : « كلا ، ليس الجمال فى الرجال ، هو الذى يجذب فؤادى ، ويمتلك قيادى ؛ بل الرجل الذى تتوق اليه روحى ، وتميل اليه عواطفى ، هو الذى يمتاز بسمو المدارك ، حتى يتسلط على عقول الآخرين ؛ ويكون له فؤاد كله شغف وهيام ، يجعله يستخدم قريحته فى خدمة اقل اغراضى ، وادنى مشتهياتى . وخلاصـة القول ان الذى أتطلبه هو نابغـة الرجال فى عصره ، بحيث يكون كله وجدٌ وغرام ؛ وما عدا ذلك فهو عندى والعدم سيان . » فسألتها احدى صويحباتها : « أتقدرين ان تحبى رجلا مشوهاً ممسوخا ، ولو كان آية الآيات ، فى العواطف والاحساسات ، او اعجوبة العصر ، فى الذكاء والفضل . » فاجابتها الاولى بصوتها الشجىّ ولفظها الشهىّ : « نعم ، أشـعر من نفسى بهذه القدرة . واذا كان فؤادى ، كما اعهده ، لا

يخيّب ظنى ، فانه يُخيَّلُ لى انى اهيم وجدا بالرجل الممتاز بنبيل الخصال ، وجليل الصفات ، مهما كانت خلقته مشوهة دميمة . »

وكان فى سياج البستان ، ثغرة بين الاغصان ، فاسترقت النظر من خلالها ، كما استرقت المسمع من ورائها ، لعلّى احظى بنظرة الى تلك التى نفثت بمقالها ، روح الرجا ، فى فؤادى اليئس الحيران . فرأيت فى ملامحها مايدل على شدة التفكير والاستغراق ؛ وكانت ذوائبها الذهبية . مرسلة على جبينها الوضاح . ولها ظل ممدود ، على لواحظها الساجية الساحرة : وفى كل حركة من حركاتها ، دليل على علوّ النفس ورقة العواطف ، بل ان لونها الصافى كان يشف عن صفاء ضميرها ، وارتياح روحها . وربما كانت صاحبتى فى نظر غيرى ، لا تعدّ بين ربات الجمال ، ولكن عيونى وفؤادى ، صوراها امامى ، ملَكا فى صورة انسان . قل لى بعيشك ، اين هو الطيف اللطيف ، يهديك محاسن ولذائذ مثل تلك التى ارسلت الى قلبَ الكئيب ، شعاعا من الامل الربانى ، بعد ان تولاه اليأس والقنوط ؟

لعمرى ! كانت هذه اللحظة سبباً فى حياتى . فانى اسرعت بالعودة الى الغابة ، المحدقة بمنزل تلك الغادة ، وقاسمت الوحوش كهوفها . وهنالك صرفت الايام ، وكلها احلام فى الغرام والهيام . وكنت متى أرخى الظلام سدوله ، وستر ذاتى عن اعين الرقباء ، سعيت الى دارها ، وأقمت فؤادى حارسا على كل خطوة من خطواتها ، فى غدوّها ورواحها . وكنت انسلل بين الاغصان ، لامتاع الاسماع بنغمات صوتها الرنان . اما الليالى فكنت اقضيها كلها ، تحت نوافذ غرفتها . ولم يكن لى حينئذ من همّ سوى ترديد التغريد ،

وكثرة الشكوى ، من لوعة الجوى ؛ فكان صوتى الشجى يوقظها من نومها ، فى اغلب الاوقات . وكانت اينما وضعت اقدامها ، اثناء تنزهها ، ترى قصائدى الغزلية ، تبثّ اليها شكوى الضنى ، وقسوة الهوى ، ودوام الاعجاب بها ، والتشبيب بحبها .

حتى لقد انتهت بها الحال ، ان تحركت فى نفسها دواعى حب الاستطلاع ، للوقوف على حقيقة الامر ، وكشف غوامض هذا السر . فوقع خيالها البكر ، فى أحبولة العشق . . . . ولا نخر . آه ! لماذا لم تيبس يدى ، ولم يُشلّ ساعدى ؟ ولماذا لم ينقبض صوتى فى صدري ، قبل ان تمكنت من جعلها تشاطرنى هذه العواطف الغرامية الملعونة ؟

ارسلت لها نظمى ونثرى ، يبثانها وجدى وحزنى ؛ وقلت لها انى سمعت تحاورها مع ترابها ، ولكننى اكثر دمامة واشد تشويها ، حتى من الابالسة والعفاريت والشياطين ، وانى أقبح بآلاف من المرات ، من كل ماصوّرهُ اويصوّره الوهم والخيال . وانما اخبرتها بانى اتعشقها الى درجة تقرب من العبادة ، وانها هى الوجود امامى ، وما عداها فهو العدم .

غير ان ألحانى كانت مطربة ، ونغماتى شجية ، بحيث لا يكاد يصدّق معها اعترافى بتشويه خلقتى . فاجابتنى . وأوجد جوابها عالما جديداً من حولى ، عالماً كله لذات ومسرات . وأكدت لى انها لا تنظر الى الجمال على الاطلاق ، ولكن الروح وحدها ، هى الجديرة بحبها ؛ وان من كان مثلى فى رقة التعبير ولطف الشعور ، لا يمكن ان تراه بعين المقت

والنفور ؛ بل وعدتنى بانها تحبنى ولو كنت فى الدمامة والبشاعة ، اكثر مما وصفت لها نفسى .

تعالوا ! فانظروا اين تنتهى الحماقة ويسوق الغرور ! فانى صدقت قولها وتدثرت برداء ستر جسمى كله واعتمدت على الأيمان التى حلفتها لى ، بانها لا تسمى فى رؤيتى قبل اليوم الذى أُعينه لهذه المكاشفة ، بل لهذه المباغتة . فكنت اتجرأ فى كل ليلة على التقرب منها ، والجلوس بجانبها ، فى ايكة كثيفة الاشجار ، ملتفة الاغصان ، بحيث لا يتوصل أحد الى الوصول الينا ، الا بعض الاشعة من ضياء القمر .

وكنت اطيل السمر معها . فأشرح لها اسرار الطبيعة ، وافتح خزائن العلوم ، واكشف كنوز المعارف . ولكننى ما كنت لأُهمل وصف الوجد والغرام ، وشكوى الهوى والهيام . بحيث كنت تارة أتجلى امامها فى مظهر الحكيم العاقل ، والفيلسوف الفاضل ؛ ثم لا ألبث ان ألبس ثياب المغرم المتيم ، والعاشق الولهان . . . . . .

واحسرتاه ! لماذا قضيت يا ربى بانصرام هذا الوصال ، وسرعة انقضاء هذا الزمن السعيد ؛ فانى ما كدت اتمتع بلذة الحياة ، حتى قالت لى صاحبتى ذات ليلة : « سافر يعبرأ عنى . اذهب الى حيث تجعل الناس مثلى ، فى الاعجاب بك والاستهواء اليك . واجعل لنفسك شهرة فائقة تزكى اختيارى ، وتؤيد انتقائى . ثم ارجع الىّ وطالبنى بانجاز الوعد ، والوفاء بالعهد : ان العهد كان مسؤولا . » فتلهفت فَرَقا من الفراق ، وطلبت منها توثيق عُرَى

الميعاد ، وتوكيد المقال . فاغلظت الايمان والاقسام . . . . وفى تلك الدقيقة كان الهواء يلاعب الاوراق ، ويداعب الاغصان ، ففتح فيما بينها نافذة أطلّ القمر منها علينا ، وارسل شعاع ضيائه الينا . فتوسمت فى عينيها بريقا من شدة الوجد والهيام ، بريقا يدل على انها لم تحاول المكيدة والخداع . فقد كان نظرها هادئاً ومستقرا ، ويلوح على ملامحها ، انها استسلمت لامر عظيم ، قضت به على نفسها . تخفق فؤادى طربا ، وانحبس لسانى اضطرابا ، واخذت يدها فوضعتها على قلبى هنيهة . . . وانا ساكت ساكن . ثم قبلتها مثنى وثلاث ، وانصرفت من حضرتها ، فلم تعد تسمع بى مدة ايام طوال . . . . . .

اخترت لنفسى خلوة سبرت فيها غَوْر العلوم ، وبَصُرت بالمنطوق منها والمفهوم . وهِمْتُ فى اودية الشعر . وأرسلت اليراع يحلّى الطروس ، بابكار افكارى العالية ، وبدائع تصوراتى السامية . وقد كانت كلها متجمّعة فى خزانة صدرى . ثم نشرتها على الملإ من الناس ، فقابلوها باعجاب ايما اعجاب . حنا الفلاسفة رؤسهم امام فروضى ونظريّاتى ، وأقرّوا بالعجز عن مجاراتى . وأما العلماء فسيقتفون أثرى الى ما شاء الله من الزمان ، فى الطرق الجديدة التى هديتهم اليها ، والطرائق المبتكرة التي أهديتهم إياها . ولم أقنع بالبحث فى العلوم العالية ، والمطالب الغامضة ، والمسائل العويصة . بل هلهلت الشعر ، ونظمت قلائد القصائد ، فى النسيب والتشبيب . فكانت العذراء تترنم بها وتترنح لها ، حتى تلتهب بنار الجوى ، فيخرج من احتراق الفؤاد ، بخار ندىّ يتلألأ على جبينها الوضاح ، ويحمر منه محياها الوَضّاء .

وأجمع الناس ، من ذكور واناث ، مع اختلافهم فى الاعمار والاجناس ، والاديان والاوطان ، على الاعجاب بهذا النابغة المجهول الذى جعله الله آية الآيات ، وأعجوبة الاعاجيب : إذ أتاح له الجمع بين سامى العلم والعرفان ، وصافى الفكر والخيال .

حينئذ رجعت الى صاحبتى ، وزرتها بالتكتم المعهود . وأتيتها بالبرهان الصادق ، والدليل الصادع ، على اننى ذلك الذى طبقت شهرته السبع الطباق ، وتحدث بذكره الركبان فى الآفاق . وقد كان فؤادها حدثها بذلك . ثم طالبتها بالوعد الجميل ، وحسن الجزاء . . . . واتخذنا الظلام ستارا لاتحادنا . وكانت السماء خالية من النجوم ، والارض ساكنة مطمئنة ، لاحراك بها[1] ولا عليها . واوراق الاشجار ، ثابتة على الاغصان . فاستندت على صدرى ، ولم تصدر منها حركة تشعر بالنفور والاستنكاف . . . . . وقد توالت اجتماعاتنا ، وتعددت مقابلاتنا . . . وكنت سعيدا ! سعيدا ! أغبط نفسى ! ولا اكاد اصدق حواسى ! ولكن ثمرة حبنا المشؤم ، أوشكت ان تكشف امرنا ، وتفضح سرنا . بحيث اصبح من اللازم أن اهرب بها ، أو ان نوثق ارتباطنا بالاحتفالات الرسمية المقررة بين الناس ، كما اكدناه بطبيعة الحال . واستحال علينا التأجيل ، فخدعتنى بمواعيدها ، وأذهبت رشادى بدموعها ، وانضم الى ذلك فؤادى : فأغرانى وأغوانى وأعمانى . وحينئذ عقدت النية ، واتفقنا على انها تنظر النظرة الاولى ، الى وجه خليلها بل حليلها ، ونحن امام الذى يتولى صيغة العقد الشرعى بيننا .

---

(١) مع أنه كان يجب فى هذه اللحظة حدوث زلزال هائل

فلما حلّ اليوم الموعود ، برزت من خدرها ، فى دارها ، وليس معها سوى شاهـدين ، وأبيها المحزون ، لانه اُضطُرَّ الى الرضى باقترانها ، دفعاً للفضيحة والعـار . وقد كانت صاحبتى هيأتهم لمرأى شخص دميم الخلقة ، مشوه الوجـه للغاية والنهاية . ولكنها لم يكن فى وسعها ان تُهيئهم لرؤيتى . . . . فدخلتُ الدار وكانت الانظار كلها — الا عيناها — موجهة نحوى ، شاخصة الىَّ . فصاح الحاضرون صيحة فزع واضطراب ، اهتزت لها جدران الدار . اما العاقد ، فقد وقع الكتاب من يده ، وطفق يهمهم ويتمتم ، من غير معرفة ولا تمييز ، ويقرأ الاوراد والادعية المخصصة لطرد الجن والعفاريت . ووقع ابوها وقعة لن يقوم منها الا يوم القيامة . واما الشاهدان ، فاسرعا بالهرب الى خارج الدار ، وهما لا يصدقان بالنجاة .

وكنا قد اخترنا الليل لهذه الحفلة . فكانت الانوار تضىء الدار ، بنور ضئيل ، تعبث به الريح . فاقتربتُ من عروسى ، وهى ترتعش وتبكى ولم تكن تجسر على رفع بصرها نحوى . وقلت لها : « انظرى ! هاهو زوجك باسبرنى ! » وكشفتُ نقابها ، فانتفض جسمها ، وأغمى عليها . فلم تعلم مقدار المصيبة التى حلَّت بها . اما انا ، فلم ارفعها عن الارض ، بل وقفت فى مكانى . . . ثابتا صامتا . اذ قد زال سعدى . وحقّت علىَّ لعنة ربى ! وتولانى خبال ضاع معه الرشد والصواب . فحملوا العروس الى مخدعها . وبعد هنيهة امتلأ المكان بالناس قليلا قليلا . وكان القوم ينظرون الى الوحش بعين الارتعاب والارتعاد . فتنبهت لنفسى ، وصرخت فيهم صرخة شديدة . فولوا الادبار . فرميت بنفسى الى خارج الدار ، واختفيت فى

الغابة بين الاشجار .

حتى اذا تكاثف الظلام وحان ميعاد اجتماعنا المعتاد ، ذهبت خفيةً الى الدار . فرأيت شباك صاحبتى مفتوحا . فتسلقت الى غرفتها ، فلم أجد احدا فيها ؛ وكانت مع ذلك تسطع بالانوار . ورأيت مصباحين بالقرب من سرير العروس ، فرفعت الكلّة (الناموسية) وإذا هى فى عِداد الاموات . فلم انتحب ولم أتوجع . . . . كلاّ . بل شعرت بفرح صادر عن قلب كله قسوة وجمود ، حينما ابصرت الشخص الوحيد الذى أحبنى فى هذا العالم ، مطروحا أمامى ، بارد الجسم ، فاقد الحراك ، عادم الاحساس : هذا الشخص المحبوب الذى سيكون عما قريب وليمة للدود . . . . ثم قلّبت نظرى فى الغرفة فاذا بمائدة مجللة بغطاء اسود ، رأيت تحته جثة مولود قد فارقته الحياة . رأيت له اشداقا هائلة مخوفة ، وملامح دميمة قبيحة ، واعضاؤه نحيلة نحيفة ، والشعر والوبر نابتان على كل جسده بهيئة فظيعة ، والخلاصة انه تشويه فى تشويه ، لا يشبه سوى أبيه . فتحققت حينئذ انه « ابن هدل » ومن يشابه أبه فما ظلم .

حملتُ زوجتى وولدى ، وذهبت بهما الى الغابة ، واختفيت معهما فى مغارة مظلمة عميقة . ونمت بجانبهما ، ألاعب الديدان التى كانت تسرح وتمرح فى جسديهما ؟ . . . . نعم كنت أشعر بالسعادة اثناء وجودى فى المغارة ! . . . . حتى اذا لم يبق من الجسدين سوى العظم الرميم ، دفنت الرمتين الباليتين ، وعدت الى مسقط رأسى .

وجدت ابى قد قضى نحبه ، وبقية اخوتى يعللون النفس بانى قد سبقته . . . فطردتهم اجمعين . ووضعت يدى على كافة الاملاك والاموال .

وتاقت نفسى لرؤية المرأة التى ربتنى . . . . فأرانى الناس قبرها . . . . فرويته بدموع مرة نابعة من كبد حرّى . ولعمرى ! لا أدرى كيف امكننى البكاء عليها ، مع انى لم أجد دمعة واحدة عند فقدام أتى وولدى!

وعشت فى سعادة وراحة بال، مدة من الزمان . ولكن الناس توصلوا للعلم بانى ذلك الفيلسوف المجهول ، وذلك الشاعر المفلق الذى ذاع صيته واشتهر فضله . فلم أنل بعد ذلك شيئاً من الراحة والسلام : إذ أصبحتْ الخلائق تتوافد علىّ من كل مكان ، وأحاطوا بدارى ! والسعيد السعيد الذى يحظى بمقابلتى ! ! ! وكانت الابصار كلها شاخصة الىّ ، والضحك والقهقهة محيطين بى . بل أصبحت أتخيل الهواء مشحوناً شياطين يتهكمون ويضحكون . . . . ومن ذلك اليوم لم يتركنى الناس وحدى ، ولم أتمكن من الخلوة بنفسى ، ولا ساعة من الزمان . . . .

هذه حال الدنيا .

وكل الناس مجنون ولكن * على قدر الهوى اختلف الجنون

(٥٥) وكتب الفاضل السيد محمد على البيلاوى (من خطبه المنبرية)

«الحمد لله الذى يعلم خائنة الأعين وما تكن الصدور الحكم العدل جامع الناس ليوم النشور المنتقم الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون احمده هدى من شاء الى صراطه المستقيم وأشكره مستمدا فيض فضله العميم وأتوب اليه وانزهه عما يقول المبطلون واشهد ان لا اله الا الله شهادة تشفى القلوب من السقم واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله ارسله رحمة للأمم اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد ما كان وما يكون امابعد فياعباد

الله تعهدوا الصدق فمن تعهده سلم والزموا الحق فيافوز من له لزم واحذروا الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون واياكم والغش فالغش مرتعه وخيم ودعوا الفجور فان الفُجّار لهم عـذاب اليم وتقربوا الى الله الا ان حزب الله هم المفلحون وقد امركم الله بالنحاب فما امتثلتم امره وزجركم عن التباغض فما رعيتم زجره ونهاكم عن المعاصى وانتم عنها غافلون وكونوا عباد الله اخوانا وليمدد احدكم يد الاعانة لاخيه وليساعده بقدر الامكان فالساعى فى الخير شريك فيـه واعتبروا بأحوال قوم معكم الى التعاون سابقون فرحم الله امرأ اخلص لاخيـه النصيحه وعامل الناس بخلق حسن ونيـة صحيحة وطهر ظاهره وباطنه مما اتصف به المنافقون فتوبوا الى الله وانتم فى سعة من الايام وعجلوا بالتوبة قبل ان يهجم جيش الحمام وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

(الحديث) اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحبَّ للناس ماتحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب

(٥٦) وكتب حضرة الفاضل علي افندى حامد يشكو ويستعطف

اشكو اليك ما كلت قوتى عن مزاولته وضعفت عزيمتى عن مقاومته من ركوب متن الاعتساف والخروج فى الاعمال عن جادّة الانصاف وتشعب دواعى الشقـاء والعناء حتى بلغ السيل الزبى فصُوَر الهفوات تقابل باقصى العقوبات والحسنة بالسيئة والاكرام بالايلام وحسن المجامـلة بسوء المعامله وليس فى مقدورى الاستغناء عن هذه المرتبات القليله التى أبذل فى سبيل الحصول عليها نفيس الحياة للقيام بتلك

الاعمال الجليله فوجود الحياة عدم وأحرار الدهر خدم والأيام لم ترع حقوقا ولم تبق شروقا ولم يسلم احد من تجنيها ولم تصف لمصافيها ومواليها وقد انهيت املى الى رحابك ووجهت رجائى للوقوف على بابك عله ان يسعده نظر سيدى العالى ويحقق آمالى فاكون ممن استفتح باب العطايا فبذل الشكر والله يحب المحسن ويضاعف له الاجر

(٥٧) وكتبت المقامة الجلالية التى سبقت الاشارة اليها وهى

« حكى الجلالى ابن الخيالى قال أجلتنى الاقدار عن مكة أجلّ الديار فجلّلتُ عنها قاصداً جلولاء والارض قد جلّلتها السماء لا أملك دِقًّا ولا جِلاً ولا كُثراً ولا قُلاً ذاكرا

كل شىء ماخلا الله جلَلْ والفتى يسعى ويُلهيه الأمل

ومعى هاجنٌ جلّت عن الولد وهمٌ جليل طال عليه الامد وغلام جُلْجُل وفرس ذو جُلْجُل وحمار جُلاَل يَجِلُّ عن الكلال فتجلّلنا الدواب بعد ان جلّلها بالجُلّ الغلام وسِرْنا نحمد ذا الجلال والاكرام فلما قطعنا جُلَّ الطريق سمعنا جلْجلة هزَبْر طليق وما رأيناه حتى تجلْجَل منا الفؤاد وجلْجلنا الزّناد وصاح الشيخ أمر جلَلْ ينهب الاجل وتلته الفتاة صارخة ياقوم هيّا الى الجُلّى والعين منها

لجُوجٌ اذا سحّت سحُوحٌ اذا بكت بكت فأدقّتْ فى البكا وأجلّتِ

فأجابها الفتى

اذا دَعَوْتِ الى جُلّى ومكْرُمة يوما سَراةَ كرام الناس فادْعينا

ثم عقد فى عنقه خيط الجُلْجُل وهجم على الاسد المُجلجل ورماه فأصاب جُلْجلان قلبه فتجلجل فى الارض بذنْبه فشكرنا المولى الجليل وسرنا

حتى أمسينا بوادى الجليل فأنشدت

ألا ليت شعرى هل ابيتنّ ليلة بفجّ وحولى اذخرٌ وجليل

وهل أردنْ يوماً مياه مجنّة وهل يبدُوَنْ لى شامة وطفيل

ثم أصبحنا جالّين عن الوادى فسمعنا جلّ بن عدى وهو ينادى

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقى أأنت أم أمّ سالم

ثم مررنا على دارة جلجل وحىّ جلاّن فرأينا فى عرصاته رعاة يرعون الدقائق والجلائل والثنيان ينشدون

لنا غنم نُسوّقها غزارٌ كأن قرون جلّتها العصىُّ

ومعهم إماء سود يجتلين جلّة الوقود فتقدمت الى كبير القوم وبثثت اليه جلاجل نفسى فما أجلّنى ولا أدقنى بل أجابنى برفع الرأس وقابلنا فى البادية جالّة من اليهود أجلوا عن الحرم المحمود وعند دخولنا قصبة الجلوليين فاح علينا من رياضها شذا الجلّ والياسمين ونزلنا فى مسجدها القاصى وشرع شيخنا فى تدريس مجلّة لقمان فأحاط به قوم اجلاّء الشان

أماجدٌ صيدٌ ذوو تجلّة ترى عليهم للندى برهانا

وبعد الفراغ من الدرس أخذوا يجلونه بالتحية وانحناء الرأس واحلونا من فضلهم دار الكرامة وخصوه بالدراسة والامامة »

(٥٨) وكتبت الى خليل شطّ مزاره

« كتابى اليك وقد طال بى الانتظار وشوقى يجلّ عن الكيف والانحصار فشخصك دائم المثول أمام انسانى وعن سواك من الأخلاّء ألهانى وأنسانى فلله ايام قضيناها وليال من الدهر اختلسناها كان السرور فيها ضارباً خيامه والانس ناشراً أعلامه طوى بساطها

وكأن الامر ماكان غير أنها زرعت بفؤادى شجرة الاشجان لكن عوّدها حليف أوبتك وتجدّدها رهين اشارتك فمتى يقرب المزار وتنجلى سحب الاكدار فاضرب لعودك أجلا فالعود لا شك أحمدْ واكتب بقربك وصلا فالوصل أضمن للعهد وعهدى من خلقك الوفاء وحسن الولاء فلا تجعل صفقة شوقى اليك خسرا بل هبنى بعد العسر يسرا والسلام

(٥٩) وكتبت الى صديق سافر الى الاندلس وكنت ودعته على ميناء الاسكندرية وقت السفر واهدانى مطبوع صورته (فتوغرافيته)

أخى الشقيق

بينا انا أفكر فيما اتيح لك من المقدور مذ فارقتنا يوم المرفأ وامتطيت صهوة البحر الجموح تؤم الاندلس اذ جاءنى البشير بالرسالة والهدية منك فاطمأنّ قلبي وسكن روعى ونعم بالى وهدأ بلبالى ووئدت بنات صدرى بسهام سرورى اذ الاولى أنبأتنى بركوبك متن السلامة ونزولك بحبوحة الكرامة والثانية لما سفرت عنها اللثام وألفيتها مثال صورتك سجدت لله شكرا على ما أهديت وأسديت وكأنك اوحى اليك ان ناظرى حسد خاطرى على خيالك فارسلت له من مثالك لتفصم عنه آخية الحسد خشية ان يشيب من الكمد وقد أحطت الصورة بالسور الكلى وموضوعها شخصى وقد أرسلت لك مع هذا مثالى هدية وتذكارا لى والسلام

(٦٠) وعربت من الفرنسوية الى العربية ما يأتى :

(وصف مساء صيف)

ذات يوم حره شُواظ من نار خرجنا وقت الاصيل نلتمس

شواطئ الانهار لنستنشق نسمات العصور ونشتفى من نفثات الحَرور فجلسنا بقرب الماء فى حديقة غنّاء فكان يروقنا رقص الغصون اذا هبّ عليها النسيم ويطربنا هزَج السواقى وخرير العيون عن رنّات المثانى وغناء النديم والشمس قد كست النهر حلّة من ذهب فأخذ يموج ويعجب كل العجب الى أن مالت عنه وتوجت رؤس الجبال والاشجار بتيجان من جلّنار وكلما أخذت الغزالة فى الرقاد ضربت الوان الخليقة الى السواد وأخذ كل راع يؤب بماشيته من مرعاها ويقودها الى مأواها ثم عدنا وقد أخذت تهدأ الاصوات وتسكن المتحركات والعلى الاعلى يلحظ الكل بعين رعايته وهم سكون ويكلأ ارواحهم وما يكنّون

وفى سنة ١٣٠٨ للهجرة رغب اصحاب جريدة الازهر الى أهل الادب ان يكتبوا اليهم فى موضوعات اقترحوها عليهم كالشوق والتعارف قبل اللقاء والتهادى والتقاضى ولطف السؤال والتهانى فكتب كثير من ادباء العصر فى هذه الموضوعات المقترحة .

(٦١) فمن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ حمزة فتح الله رسالة فى الشوق وهى :

« مولاى - أما الشوق الى رؤياك فشديد وسل فؤادك عن صديق حميم وودصميم وخلة لايزيدها تعاقب الملوين وتألق النيرين الا وثوقا فى العرى واحكاما فى البنا ونماء فى الغراس وتشييدا فى الدعائم ولا يظنن سيدى أن عدم ازدياري ساحته الشريفة واجتلائى طلعته المنيفة لتقاعس أو تقصير فان لى فى ذلك معذرة اقتضت التأخير والسيد أطال الله بقاءه أجدر من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث

استدعته الضرورة وبعد فرجائى من مقامكم السامى ان لا تكون معذرتى هذه عائقا لكم عن زيارتى فلكم منة طوقتمونيها ولكم فيها فضل البداءة وعلىّ دوام الشكران والسلام

(٦٢) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان فى التهادى :

الانسان الكامل المولى الفاضل دام كماله وزاد اقباله

كتابى الى الاستاذ والهدايا تزيد فى التوادّ وتوسع فى قوة الارتباط ان كانت لغير من حظرها عليه الشرع القويم والشيخ منى بمنزلة الاخ من أخيه او انا منه بمثابة الولد من ابيه ولا داعية لى اليه سوى الصلة به ولا اريد منه غير الوداد « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى »

وقد اخترت لك من كتب الادب العربى القديم كتابا حديث العهد بالوجود بعثته الى حضرتك معترفا بانه نموذج فضلك ومعنى ادبك يعترف لك مهديه بأنه لاحظ المناسبات ونظر الى الرغبات وقبل ان تشتغل بالبحث فيه عن اسمه والاوصاف أعلمك بأنه كتاب المنسوب والمضاف فهنيئاً له بالشيخ يقدره حق قدره وهنيئاً للشيخ به يزيده فى أمره وان قبول الاستاذ لهديتى مكفول بحسن اخلاقه وطهارة اعراقه وبعلمه بان النفع بها وهى عنده اعم واوفى فله الحمد على ما قبل والشكر على ما اولى

(٦٣) ومن ذلك ما كتبه الفاضل حفنى بك ناصف فى التهادي :

الهدية فى نظر الاصفياء جليلة وان كانت فى نفسها قليلة ومكانتها خطيرة وان كانت يسيرة وسنة حسنة اجتمعت على فضلها الالسنة

مضت الدهور وأمرها مستحسن وتعاقبت بمديحها الايام

اللهم الا أن لبست جلباب الرياء ووجت ابواب الارتشاء ولا مراء ان الاودّاء من ذلك براء

لا يبتغون سوى الوفاء ومالهم غير البقاء على الصفاء مرام

وما زالت الهدية شعار الاصدقاء وعنوان تذكار الولاء وكم جدّدت بين الاصحاب عهود التحابّ

وتعهدت ودّا فعاد شتيته ولشمله بعد البداد نظام

قد وصلتني يد العصا فحبذا الاهداء وأهلا بتلك اليد البيضاء وليست هذه أوّل اياديك عليّ ولا اكبر عارفة جاءت من ناديك الىّ وقد أمنت بها النُّوَب واعتضدت بها على تفريق شمل الكرب

فاذا طغى بحر الهموم ضربته بعصاى فاجتازت به الأقدام

تنفلق بها من الايام صخور فتنبجس منها عيون السرور وتلقف مايصنع الاعداء فتذهب بسحر البغضاء واذا اشتد هجير الوحشة نشرت ظلال أنسها أو عصى فرعون الدهر راعته ببأسها

فكأنما اوصى الكليم لنابها حتى يرى آياته الاقوام

وقدفكرت ماذا أقابل به طرفتك وأتلقى به تحفتك الى أن هدانى الله أن يد المنعم انما تقابل بالأفواه ليعزز القبول بالقبل ويؤدى الرسم باللثم فارسلت اليك فم سجارة وجعلته لهذا المعنى اشارة وقلت

مولاى كم فاضت يمينك بالندى حتى غدوت غريق بحر الانعم

والشكر أوجب ان اقبل راحها فكنيت عن هذا باهداء الفم

وقد علمت ان المنظر البهيج يتم بالتدبيج فاخترت ان يكون مبدأه كالليل إذا عسعس ومنتهاه كالصبح اذا تنفس ايذانا بزوال الشرور بالسرور ورمزا

الى الخروج من الظلمات الى النور

(٦٤) وكتب الفاضل محمود بك أبو النصر فى التهادى

يا أيها المولى الذى عمت أياديه الجميلة
اقبل هدية من يرى فى حقك الدنيا قليلة

غرّة وجه السعود وقرّة عين الوجود الامير الجليل

ياجليل الفضائل اليك توجه الآمال وياجميل الشمائل بساحتك تحط الرحال تلك هى الساحة الفيحاء والشيمة الحسناء والهمة العلياء واليد البيضاء والاعمال التى بها تضرب الأمثال كم من نعم اسديتها ومكارم اوليتها وعلوم أحييتها فأنت المصدر والمورد والمقصد والموعد اليك أقدّم تلك الهدية المرضية وارفع ذلك الكتاب المستطاب مشفعا فى قبوله كرم سجاياك وعظم مزاياك وانى وان كنت أعلم أن مقامك العلى يجلّ عن ان يرفع اليه مثله فقد عرفناك متواضعا فى علاك قريبا مع اعتلاك

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وحاشى أن أهدى للقمر نورا او للشمس ضياء او أبعث ببنية القطر الى ذلك البحر ولكنى احببت ان يحظى باثم بنانك وينال من كرمك واحسانك وقد عهدناك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرم النزيل وللشفاء العليل وما هو الا من نور فكرك مقتبس فعساه يحظى بالقبول فأبلغ غاية المأمول والسلام

(٦٥) ومن ذلك ما كتبه الفاضل سلطان افندى محمد فى التعارف :

« كتابى الى مولاى وقد نمى الىّ حديث فضائله ونقلت لى الصبا عبير شمائله كتاب امرئ دله التواتر على البحر الزاخر وأرشده أرج النسيم الى الروض المقيم فوله بورود شرعته والاستظلال بدوحته وائتلاف النفوس اذا كان فطريا كان ميلها بمجرد الرؤية أو السماع طبيعيا ومن ثم قدمت التعرف اليه بهذا الخطاب حتى أرد عليه وقد نظمنى فى سلك الاصحاب وسيلقى من قاصده ما يجعله مفزع رأيه وحقيبة سرّه ويحقق به ثقته فيرفع منزلته ويصبح فى مقدمة بطانته ويشمله بعنايته والسلام

(٦٦) ومن ذلك ما كتبه الفاضل احمد افندى سمير فى التعارف

يعلم سيدى أن المودة لاتباع ولاتشرى وانما هى نتيجة الاجتماع والتعارف وقد خلق الانسان مضطراً اليهما لان انتظام العمران عليهما موقوف ولهذا شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه عرضة للخطأ مظنة لعدم الثقة بخلاف ما اذا كان الاشتراك فى الفكر قاعدة للعمل فلا بد أن الصواب يتمحض منه لضعف التفرّد وقوة الاجتماع اذ لا جرم ان المرء كما قيل قليل بنفسه كثير باخوانه وقد سمعت عن السيد وقرأت من آثاره المأثورة ما حبّبه الىّ وشاقنى للتعرف به لنشترك فى منفعة تبادل الافكار فانى لا أكتفى بمجرد السماع ولا اقول ان الأذن تعشق قبل العين فانما هى جارحة صغيرة ولكن كلى ميال اليه محب لاستجلاء مرآه عالم أنى اذا دخلت الى مرادته من باب التلاقى لا أجد دهرى

يقرّب منى كل شخص كرهته ويبعد عنى من اليه أميل

فان لم يتيسر أن يرانى او أراه فليسعدنى ببضعة أسطر تضمن لى رضاه

عن هـذه المعرفة الترسلية لنتراءى بأعين الطروس قبل أعين الرؤس ونتجاذب أحاديث المراسلة ان عزت المقابلة وقد وقفت عليه خالص ودّى واخترته من بين رجال العصر سعيا لكسب المعالى بمعرفته فكل امرئ بما كسب رهين وليس للانسان الا ماسعى

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(٦٧) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ احمد مفتاح في الهادى :

« الهدية غمرك الله بالمعروف تبسط يد المودة وتدرّ بها اخلاف القرب وتغرس بين المتحابين من الائتلاف بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف وما انا فيما اهديه اليك الا كمستبضع تمرا الى ارض خيبرا او كالواهب الماء للبحر والضوء للبدر والملك لسليمان والمال لقارون والحلم لأحنف والذكاء لاياس والتفسير لابن عباس وما ذاك الا كتاب كما تراه ضرب فى الاحكام بسهم ووعى من الأحكام ما خلت منه مفعمات الاسفار وموجزات الرسائل فهو كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وان تطفلت عليك وسقت لك هذا الكتاب مزدلفا الى جنابك الرحب ومقامك الأسنى فقد أصبت كبد الصواب ووضعته حيث يعرفه أهلوه ويتقبله من باذله عالموه علما بأنك عماد العلوم وأساس الفضائل لاتغادر شاردة الا وعيتها ولانادرة الا رويتها والا

لوكان يهدى على قدرى وقدركمو لكنت اهدى لك الدنيا ومافيها

(٦٨) ومن ذلك ما كتبه الفاضل الشيخ طه محمود فى التهانى

المجد عوفى اذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الألم

لقد تقلبت فى حلل السراء حتى ما اشتهى حلّه وتضلعت من كؤس النعماء حتى لا أسأل ساقياً علّة فلم اجد فى الحلل الضافية ولا فى المشارب الصافية ألذ ولا أجمل من العافية وما آب الىّ بعد الظعن اعزّ علىّ من صحة البدن ولا رحل عنى بعد الالمام ضيف ابغض الىّ من الآلام ولو لم يكن إلا بعد الحبيب أو قرب الطبيب وإلا قطيعة الوالد أو صلة العائد لقلت البعد والقطيعة اشهى الى النفس من القرب والصلة فماذا يثير من شجنك اذا أصبحت معافى فى بدنك وأى شىء مع الصحة ردىء أو بدون الصحة جيد ومن أجل هذا كانت العافية أولى ما أهنئ به السيد فالحمد لله أن عافاك « ايها السيد » وشفاك ووافاك بامره من الصحة ما كان جفاك (وبعد) فلا أطيل بشرح حالى التى رجعت بها من عند السيد يوم عدته فوجدته بحيث يرجو العدو ويخاف الحبيب وما هو الا ان نصبت قدمىّ مدة من الزمان استشرف الى مايرد علىّ من نحو سيدى وقد حالفت السهاد وخالفت الرقاد مذ رأيت ان دوحة المجد قد اعتراها ذبول وأن سيف الشهامة قد أصابه فلول الى ان وردت علىّ البشرى نترى بأن الله قد أذن لظاعن العافية ان يؤب الى وطنه ولنازح القوة ان يثوب الى بدنه فلا تسل عما ثاب الى قلبى من الافراح ونزح عن صدرى من الهموم والأتراح وما ابتسم من ثغور المكارم وما تهلل من جباه الفضائل فانت تعلم موقع تجلى الكروب من القلوب وكيف مورد السرور من الوجوه والصدور وما مقدار الاعتدال بعد الاعتلال فليهنئك

« سيدى » ما كساك الله من ثياب الصحة بعد شكوى ألمت بساحتك فلم تحجبنا عن سماحتك وان حجبت عن صباحتك ولم تصب من حلمك وعلمك وان اصابت من جسمك ورسمك وما كنت فى شكواك هذه الا الذهب ولا عجب امتحنه صائغه بشىء من الحرارة ليبين معياره ويظهر مقداره فاذا هو إكسير ولا ينبئك مثل خبير او الشمس توارت فى الحجاب أو حال بيننا وبينها قزعة سحاب لنعرف نعمة الله علينا فيها ولم تلبث السحابة ان تقشعت فاعتدل الجو وتمحض الصفو فليطب السيد نفسا وليقر عيناً بعظيم فضل الله عليه وعميم احسانه اليه فيما اعاد اليه من الصحة ومنحه به اعظم منحة

ولا زال يرفل فى حلّة سداها ولحمتها العافيه

(٦٩) ومن ذلك ما كتبه الفاضل السيد محمد على البلاوى فى التعارف

« سيدى ان مكارم الاخلاق ومعالى الهمم مما تسترق القلوب وتسترق العقول وتمتلك الارواح وان لم تتلاق الاشباح فانى مذ سرى الىّ النسيم بأخلاقكم الغرّاء وابتسم لى ثغر هذا العصر عن آثاركم الزهراء وتواترت الاخبار بحبكم للفضل واهله وارتياحكم للعلم وذويه وانا مشغوف الفؤاد بالتعرف بسيادتكم مشغول البال بالتوصل الى رياض مودّتكم ولعلمى ان للصداقة حقوقا وللمصاحبة شروطاً ربما صعبت على من حاولها وعزّت على من أراد الوفاء بها كنت أرى الوحدة بى أولى والانفراد بى أسلم ولكن ما زالت تنمى الىّ أحاسن شمائلكم المشرّفة وتتوارد على مسامعى محاسن سيركم المطهرة فينمو الوجد ويزداد الشوق (والأذن تعشق قبل العين أحيانا) وما كنت أجد سبيلا للتعرف ولا سببا للتودّد

ولا تجسر نفسى على المراسلة ابتداء الى أن رأيت سيدى قداهتمّ للادب فأعلى مناره ونظر للانشاء فرفع مقداره ونصر دولته وأحيا صولته واعاد شبابه وفتح لادباء هذا العصر بابه فعلمت أن الدهر قدساعدنى والفرصة قد امكنتنى من مصافحة ما أملت ومصافاة ما اردت من اجتناء ثمار مودة سيدى والتعرف به والتمسك بأهداب فضائله والتزوّد من آدابه فان الادب أحسن ما يستصبح بانواره وأشرف ما يتسابق لاقتطاف انواره ويحمد التطفل على موائده ويمدح التنافس فى التقاط فرائد فوائده فجعلت طلب الانتظام فى سلك ارباب الاقلام وسيلة لورود عذب وداده ونمير التعرف به فان رأى سيدى ان يعدّ نفس حرّ فى عداد معارفه ويقابل رسالته بما اشتهر من لطائفه حتى تتمتع بالرؤية الابصار كما تمتعت المسامع بطيب الاخبار كنت مديم الشكر لافضاله مستمر الثناء على كماله

(٧٠) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد الله افندى الانصارى فى التهادى :

« المولى أدام الله وجوده ممتعا بهدايا الايام وتحف الاعوام طالما أوفد من الرفد الىّ ووجه من الخيرات ما أفعم يدَىّ حتى اصبحت وله الفضل والمنة اجرّ ذيول النعماء على غبراء البأساء واجتلى معارف السرّاء بعوارفه البيضاء التى لا يوازيها ثناء وحمد ولا يوازنها عطاء ورفد ولا يطاولها سماء وبحر ولا يغالبها بؤس وفقر وان لى من آلاء السيد حفظه الله وأدام علاه ما أينع وأزهر وأورق وأثمر حدائق قامت لشكره عيدانها وسجدت لفضله اغصانها وترنمت طربا وتمايلت عجبا بنفحات هى عرفه وبركات هى عرفه ولى أمل فى جنابه وانا سليل نعمته

وعهدى بأخلاقه وانا ابن مودته أن يمن بقبول ما أهديته وهو من مال نفسه وثمرة غرسه باكورة تفاح يرفعها اجلال واعظام وتصحبها تحية وسلام

(٧١) ومن ذلك ما كتبه الفاضل محمد افندى على المنياوى فى التهانى

لك الهناء بما قدنلت من شرف وافت بشائره بالقلب فابتهجا ليرق سعدك ويحظ جدك وينعم بالك ويجزل نوالك فان اسداء الفضل عليك بعض ما يرتاح الفؤاد بانتمائه اليك وقد هبت ارواح البشائر بأريجها العاطر تروى لنا مرفوع ما ساد بمعناك من الرتب الفاخرة واتصل بمغناك من المنح الباهرة التى اخصب غيث سرورها جدب النفوس واحيا روض انسها بعد ان شابه البوس فازدهت افنانه وماست عجبا وهشت ورقه وغردت طربا واصبح يانع الزهر باسم الثغر يفترّ عن شكر المنعم وإنعامه والدهر وتبلج ايامه بما اولى من الفضل من هو له أهل

فياحبذا دهر على ما به اولى وياحبذا من منه قد فاز بالجدوى فلتهنأ ذاتكم الشريفة بهذه الرتبة المنيفة لا زال كوكب سعدكم بسماء المجد يسمو وساطع حبوره بسرادق القلب يزهو وينمو والسلام

(٧٢) ومن ذلك ما كتبه الفاضل وفا افندى فى الشوق

اما بعد سلامى عليك فهذا كتابى اليك ينبئك عنى وعن شوقى وعن ودّى ولا ازيدك علما انى ما كتبته من دواة ولا اجريت عليه قلما ولكنها دموع وشوق سالت على القرطاس وجرت على حركات الخواطر

والانفاس وهبت عليها حرارة كبدى بالاشواق ووجدى بالفراق فبينما هى عقيقة حمراء اذ صارت فحمة سوداء ألا وان كتابى هو قلبى ولسانى أما تراه على رقته ولطف عبارته وصدق طويته بين يديك مقبلا عليك ينشره الشوق ويطويه لا يخفى أمرا ولا يكتم عنك سرا وتلك صفات لسانى وقلبى معك فما الذى ابتغيه بعد وقد بعثت اليك بالاصغرين وما أنا الا بهذين نعم ارجو بقاك ممتعا بنعمك لأكون على الدوام محل نظرك والسلام

(٧٣) ومن ذلك ما كتبه الفاضل مصطفى افندى نصر فى التهانى

أيها العزيز :

اكتب اليك والعين قريرة والنفس مسرورة والقريحة قد اوسعها الفرح جودة والفكر قد جلا الصفاء عنه كسادا واللسان قد اورثه الانشراح طلاقة والكلم قد يسر الحبور جموحها ووطأ من اكنافها والتحرير قد أسلس الجذل قياده وأدنى ملتمسه فاللسان يتلو فى اساطير القلب سور السرور وينطلق بما يمليه عليه من آى التهنئة وصيغ التبريك وهو لا يتكلف لعبارة صوغا ولا للفظ بحثا اذ قد كفاه طيب الخاطر وابتهاج النفس مؤنة ذلك وأراحاه من عنائه فالالفاظ تتسابق اليه والعبارات تتوارد عليه والمترادفات تتجمع بناديه فيختار منها ما طابق واقع الحال واقتضاه مقتضى المقام الا أن الحق أقول ان العبارات ولو تهيأت أسبابها وتوفرت موادها ضيقة النطاق عن حصر الغرض غير محيطة بمكنون الضمير فى الاعراب كيف لا وحديث التهنئة أسوقه الى زهرة الاخوان وكوكب الاقران وحلية الاكفاء قريع دهره فى الادب

منقطع القرين فى العلم إمام اهل الفضل قدوة ارباب الكمال من استمسك من الجد بالعروة الوثقى فشغل من القلوب امنع مكان وحلّ بأسمى منزل فمحّضت له الاخلاص وتمنّت له اجزل الصلات وتحرّت له اكمل الرضا وهكذا فليجز الذين أُتوا العلم والفضل وياحبذا لو اتبع اولو الفضل سننه وكان لهم به اسوة حسنة فالسُّودد غاية الطريق التى اتخذها والنجح لؤلؤ اليمّ الذى خاض لجته فلعمر الصدق ان فى الاجتهاد ارتياحه وفى العمل طيب خاطره وفى المثابرة سروره والاقدام دأبه ومضاء العزيمة ديدنه والمعارف سبيله والعلم دليله والعقل هاديه والسريرة رقيبه والنفع مرمى غرضه والكمال غايته »

(٧٤) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد الخالق بك ثروت فى التقاضى

« اليك يامن قد استأسر النفوس بكرمه واسترقّ الاحرار بجميل صنعه وأولى النعم والخيرات وأسدى المعروف والمبرات ارفع كتابا تبعثه الى ناديك العالى عوامل الحاجة وتزجيه الى ساحتك دواعى الشدة آمل ان يكون تذكرة بأمرى والذكرى تنفع المؤمنين وتفكرة بحالى والله لا يضيع اجر المحسنين فقد كان سيدى رفع الله قدره وأعلى مرتبته وعدنى ومثله من يتمسك من الوفاء بالعروة الوثقى ويقطع حبل الاخلاف بسيف الوفاء ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء أن يرسل لى من خيراته ويولينى من آلائه وحسناته ويضاعف لى من مننه ويزيدنى من عطائه ما اشد به ازرى على الزمان واطاول به نوائب الحدثان فقد بارزنى الدهر بسيوفه ورمانى بسهامه وأناخ علىّ بكلاكله وقد طال الامد على حاجتى عند سيدى اطال الله بقاءه حتى طار غراب شبابها وصاح

بجانب ليلها خفت ان تكون هبت عليها ريح النسيان وعصفت بها عاصفات الحدثان فكتبت الى سيدى ومولاى تلك الرقعة أستعجل بها برّه واستدرّ بها ضرع عطائه علما بان التعجيل يكبر العطية وان كانت صغيرة ويكثرها وان كانت يسيرة فعسى ان يكون قد لاح نجم النجاح وهبّ نسيم الفلاح فيرسل سيدى الىّ سحاب كرمه ويمطرنى من غياث فضله فترف غصون آمالى بعد ذبولها وتضحك وجوه مطالبى بعد عبوسها وأملى فى ذلك فسيح فان سيدى من اكرم الناس نسبا واشرفهم حسبا ومثله جدير بحفظ العهد وانجاز الوعد فان رأى سيدى أن يخفف ثقل الحاجة عنى ويرد ما سلبه الدهر منى بقطرة من بحر عطائه ومنة من بعض آلائه ويجبر ما كسره الفقر من جناحى ويردّ عنى النوائب التى لا تفتأ تتولانى عقدت لسانى على مدحه ووقفت نفسى على شكره فيحرز من الله اجرا جزيلا ومنى شكرا جميلا ان شاء الله

(٧٥) ومن ذلك ما كتبه الفاضل احمد افندي رأفت فى التقاضى

« السيد الكامل ادام الله علاءه واطال بقاءه وجعله موئل الكرم ومسدى النعم قد غمرنى بنعمائه وطوّقنى بآلائه حتى قصرت حمدى عليه وأمسكت لسانى عن الشكر الا اليه وكان من مننه علىّ وأياديه البيضاء لدىّ أن وعدنى أنه يقلدنى فى اول العام وظيفة عالية ومرتبة سامية فاخضلّ روض الامل بعد ذبوله وبزغ كوكبه بعد أفوله واتسع نطاقه واستبشر القلب بنيل امنيته والحصول على طلبته واشتد ازرى على مقارعة كتائب الزمان وقوى جنانى على صد جيوش الحدثان وما زالت بى الايام حتى حان اول العام وما تحقق الوعد أو أوفى العهد

ومثل السيد من اذا وعد وفى أو تعهد أوفى ومولاى يعلم ان صاحب الحاجة سيء الظن بالايام مريض الثقة بالأنام فداخلتنى لذلك الظنون وأسلمت خاطرى الهواجس وعاد الدهر مغضبا يقارعنى بسيفين ويطاعننى برمحين كأنما يقتصّ منى جزاء ما جنته يداى من اثم الاستظهار عليه واسلمتنى زرق الخطوب وتغشتنى سود النوب واحدقت بى حمر الكرب وصبت علىّ صروف الدهر فصرت الى حال لايحلو وأنزلت الى عذاب لا يعذب وألجأنى صفر اليدين الى ركوب متن الدين فصار العناء سميري والشقاء نجيي والغموم لزامى والهموم ندامى وقرارة الأكدار مقامى حتى تخيلت ان المنون الىّ بالمرصاد فخفت المصار الى دار القرار قبل بلوغ الاوطار

أفى دين ذى المعروف يجمل أننى تنوء بى البؤسى وينقلنى العسر
وأنت الذى أعطى المكارم حقها ولم يحك جدواك السحاب ولا البحر
فعجل فخير البر يحمد عاجلا وأوف فوعد الحرّ دين به الحرّ

هذا ولكنى رجعت وحكمت العقل فعذرت السيد وحملت ذلك على انه انما لم يعجل بانجاز وعده وايفاء عهده الا لتقليد عبده وظيفة اسمى ومرتبة اعلى وأرشدنى مرشد الحجا ان امثل تلك الرسالة بين يدى حضرته واوفدها على محلته علّ مولاى يستدرك مافات ويحسن الى عبده فيما هو آت فان شاء ان لا يرد طرف هذا الامل كليلا وصحيحه عليلا عجل لعبده من البر ما يسترق به فؤاده ويمتلك به قلبه فملأت بشكره ما بين الخافقين وأسمعت حمده المشرقين وأذعته فى البر والبحر وتابعته فى السر والجهر وان يجد لى سبيلاً فى التوصل الى احدى الطلبتين

وتحقيق احدى الامنيتين رجوته التعجيل باخبارى فاليأس احدى الراحتين ورغبت منه التصريح فذلك مما يريح »

(٧٦) ومن ذلك ما كتبه الفاضل عبد العزيز افندى محمد فى التقاضى

عهدى بالسيد الجليل أدامه الله مصدرا للمكارم تشتق منه صفاتها ومظهراً للفضائل تتجلى فيه آياتها سبّاقا الى غايات المجد درّاكا لمطالب الحمد اريحيا لا يصبو الا الى اسداء المنن جوادا لا يطمع طرفه فى بث عوارفه الى ثمن ما أمه أسير فاقة الا وألفى لديه كهفا منيعاً وجاها رفيعا وجنابا مريعا وما قصده ذو حاجة الا وصدر عن مورد فضله شاديا بثنائه معلنا بولائه فلا هم له الا ارتياد مواقع النعم وافتقاد متعلقات الهمم وإن لى الى السيد حاجة ان لم يسعف بقضائها فياحسرة نفسى وطول شقائها وليست هذه بأول مرة استمحت فيها عالى مروءته واستمطرت صيّب همته فانه طالما طوقنى قلائد نعمه وأرسل علىّ مدرار كرمه فليجر فى هذه ايضا على عادته ويقابلنى بما عودنى من كرامته ومعاذ الله أن أسأله ما ليس فى وسعه أو أن أستقضيه شيئاً يحرص على منعه ولكننى

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلى

والذى يكفل لى تلك البسطة أن يقلدنى سيدى وظيفة مناسبة لحالتى حتى تكون لى درعا أتقى به مهانة الفقر وسيفا اكف به عوادى الدهر وما لى والاقسام عليه فى انالتى هذه البغية بنفيس وقت قضيته فى خدمة العلم واقتناء ابكاره وطويل عناء تحملته فى مزاولة الادب واكتشاف أسراره ونفس ارتاضت بالفضل وآثرت غصة الفقر على منة البذل وله من سنيات الفضائل وعليات الفواضل وجليات المآثر وجليلات

المفاخر ما لو أقسم به عليه فى انالة أعز المطالب لألزمه كرم سجاياه برّ ذلك القسم واجابة دواعى الهمم فها أنا ذا أقسم على سيدى بهذه الشيم الباهرات وتلك الاخلاق الطاهرات أن يغرس عندى هذه الصنيعة فقد وجد لها مكانا وأن يسدينى تلك المنة حتى لا آلوها شكرانا والا فرأيه فى ذلك مسدد ان شاء الله

(٧٧) ومن ذلك ما كتبه الفاضل حسين افندى توفيق في التقاضى

كتابى الى رب النعماء واليد البيضاء وقد اصبحت كما قال الحريرى « خاوى الوفاض بادى الانفاض لا املك بلغة ولا اجد فى جرابى مضغة » قد التوى على امرى وثقل من حاجتى ظهرى مد الاحتياج علىّ اطنابه وسربلنى الافتقار إهابه والدنيا مكدرة باحداثها وقصورها منغصة باجداثها نعيمها يضفو ولكن لا يصفو وانت كما أعلم مفرج كربتى ومنقذى من شدتى بطرفة من طرف رفدك ولمحة من لمحات برك فان استدررت حلوبة مالك فقد لاذ غيرى بجاهك ما يممت غيرك وكيف يقصد النهر من جاوز البحر ويحتاج الى النجم من يسرى فى ضوء البدر فأستهز عطف جودك وأستمطر سحاب كرمك كيف وانت قبلة المعروف وملاذ الملهوف اليك تشدّ الرحال وبك تناط الآمال اولياؤك منك فى ظل ممدود وهناء وسعود أفأنت الشمس عمّت بالاشراق أو الغيث والى الاندفاق لكن

من قاس جدواك يوما بالسحب أخطأ مدحك

فالسحب تعطى وتبكى وانت تعطى وتضحك

نسب الكرم بك عريق وروض المجد انيق اصل راسخ وفرع شامخ

تهتز للمكارم اهتزاز الحسام وتثبت أمام الشدائد بثغر بسّام

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى انت سائله

حكمت الآمال فى أموالك واستعبدت الأحرار بفعالك ينابيع الجود من انامك تتفجر وربيع السماح بك ضاحك لايضجر فلازلت مولاى ممتعاً بشرف سجاياك وشيمك مستمدا الشكر من غراس نعمك ولا زالت الانام تنتفع بتلك الشيم وتجنى ثمار ذلك الكرم ودمت للمكارم بدر تم لايناله خسوف وشمس فضل لايلحقها كسوف أطال الله لك البقاء كتطول يديك بالعطاء آمين

الامثال السائرة

مما يعنى به الاديب من كلام العرب الامثال السائرة المأثورة عنهم فانها كما قال الزمخشرى « قصارى فصاحة العرب العرباء وجوامع كلمها ونوادر حكمها وبيضة منطقها وزبدة بلاغتها التى اعربت عن القرائح السليمة والركن البديع الى ذرابة اللسان وغرابة اللسن حيث اوجزت اللفظ فاشبعت المعنى وقصرت العبارة فأطالت المغزى ولوحت فأغرقت فى التصريح وكنت فأغنت عن الافصاح بَلْهَ الاستظهار بمكانها والتمنع بجانبها عند الانتظام فى سلك التذاكر وافاضة ازلام التناظر وتذاوق بعض اهل الادب بعضها وانها للمحافل اذا حوضر بها بهاء وللافاضل متى اوردوها ابهة وللنثر أنّى سلكتْ اثناءه طلاوة وللشعر كيف انساقت فى تضاعيفه متانة »

منها : البس لكل حالة لبوسها ، اما نعيمها واما بوسها . ان البغاث بارضنا يستنسر . ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا . اياك اعنى واسمعى ياجارة . بلغ السيل الزُّبى . بكل وادٍ اثر من ثعلبه . تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها . تقطع اعناقَ الرجال المطامعُ . ثار حابلهم على نابلهم . أحشفا وسوء كيلة . الخلَّة تدعو الى السلَّة يخبط خبط عشواء . دون ذلك خرط القتاد . رجع بخفَّىْ حنين . الصيفَ ضيعت اللبن . تسمع بالمعيدى خير من أن تراه . انجز حرّ ما وعد . رمتنى بدائها وانسلت . حسبك من شر سماعه . حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق . لا اطلب اثراً بعد عين . لا يحزنك دم هراقه أهله . اليوم خمر وغدا أمر . على اهلها تجنى براقش . شِنْشِنة اعرفها من اخزم . ضِغْثٌ على إبَّالة . ألق دلوك فى الدلاء . كل فتاة بابيها معجبة . أنف فى السماء واست فى الماء . كالقابض على الماء . عند جهينة الخبر اليقين . لا تعدم الحسناء ذاما . ألزم للمرء من ظله . ياعاقدا اذكر حلاً . قطعت جهيزة قول كل خطيب

وقد جرت آى من القرآن الكريم مجرى الامثال .

منها : قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . لا تسألوا عن اشياء أن تبدلكم تسؤكم . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم . كل نفس بما كسبت رهينة . ما على المحسنين من سبيل . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار . تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى . ولا ينبئك مثل خبير . كل حزب بما لديهم فرحون . لا يستوى الخبيث والطيب . ولا تزر وازرة وزر اخرى .

من يعمل سوأ يجز به . ولا تبخسوا الناس اشياءهم .

وكذا احاديث نبوية .

منها : اذا لم تستحى فاصنع ما شئت . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . دع ما يريبك الى ما لا يريبك . اياك وكل امر يعتذر منه . الحكمة ضالة المؤمن . ان من البيان لسحرا . ان المُنبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

ومن كلام ابى بكر :

ان البلاء موكل بالمنطق .

ومن كلام على :

المنية ولا الدنية . المرء مخبوء تحت لسانه . قيمة كل امرئ ما يحسن .

وكذا جرت ابيات وشطور من الشعر مجرى الامثال . فمن ذلك قول طرفه بن العبد فى معلقته .

وظلم ذوى القربى اشدّ مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

اذا انت لم تنفع بودك اهله ... ولم تُكِ بالبوسى عدوك فابعد

لعمرك ما الايام الا معارة ... فما اسطعت من ايامها فتزوّد

ولا خير فى خير ترى الشر دونه ... ولا نائل يأتيك بعد التلدد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له ... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقول زهير بن ابى سلمى فى معلقته .

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

ومن لم يصانع فى امور كثيرة ... يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ... وإن يَرْقَ اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير اهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يَظْلِم الناس يُظْلَم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومهما يكن عند امرىء من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم
وان سفاه الشيخ لاحلم عنده ... وان الفتى بعد السفاهة يحلم

وقول الشنفرى فى لاميته :

لعمرك مافى الارض ضيق على امرئ ... سرى راغبا أو راهبا او هو يعقل
وان مدت الايدى الى الزاد لم اكن ... باعجلهم اذ أجشع القوم اعجل

وقول ابن دريد فى مقصورته

من ظلم الناس تحاموا ظلمه ... وعزّ عنهم جانباه واحتمى
وهم لمن لان لهم جانبه ... أظلم من حيات انباث السفا
عبيد ذى المال وان لم يطعموا ... من غمرة فى جرعة تشفى الصدى
وهم لمن أملق أعداء وان ... شاركهم فيما أفاد وحوى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما ... راح به الواعظ يوما أو غدا
من لم تفده عبرا أيامه ... كان العمى أولى به من الهدى
من قاس من لم يره بما يرى ... أراه ما يدنو اليه ما نأى
من عطف النفس على مكروهها ... كان الغنى قرينه حيث انتوى
وانما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى
وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

وقول المتنبي :

واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الاجسام
يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
لعلّ عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه ... ليس التكحل فى العينين كالكحل
وما الحسن فى وجه الفتى شرف له ... اذا لم يكن فى فعله والخلائق
يهون علينا ان تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول
ومن ينفق الساعات فى جمع ماله ... مخافة فقر فالذى فعل الفقر
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى ... فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها ... سرور محب او إساءة مجرم
وأظلم اهل الظلم من بات حاسدا ... لمن بات فى نعمائه يتقلب
لا تلق دهرك الا غير مكترث ... مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به ... ولا يرد عليك الفائت الحزن
واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تكون جبانا
انا لفى زمن ترك القبيح به ... من اكثر الناس احسان واجمال
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن المودة ما يضر ويؤلم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم
من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت ايلام

افاضل الناس اغراض لذا الزمن يخلو من الهم اخلاهم من القطن
وليس يصح فى الاذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل
وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وقد عنى كثير من الادباء بجمع امثال العرب وتدوينها واشهرهم ابو الفضل احمد الميدانى النيسابورى المتوفى سنة ٥١٨ للهجرة فانه جمع فى كتاب سماه (مجمع الامثال) ما ينيف عن ستة آلاف مثل بعضها جاهلى وبعضها اسلامى والبعض مولد ورتبها على حروف المعجم وذكر قصص واسباب هذه الامثال وهو كتاب جيد فى بابه وقد طبع سنة ١٢٨٤ بدار الطباعة ببولاق

والف ابو القاسم محمود الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ كتاب (المستقصى فى امثال العرب) ويروى انه ندم على تأليفه لما وقع له كتاب مجمع الامثال للميدانى ورآه يفوق كتابه فى حسن التأليف والوضع وبسط العبارة وكثرة الفوائد وفى المكتبة الخديوية نسخة من المستقصى مكتوبة بالقلم سنة ١١١٢

الفصل الرابع

« فيما اشتهر من كتب الانشاء »

من اقدم ما كتب فى صناعة الانشاء (كتاب الصناعتين) اى صناعتى النثر والنظم لابى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ وقد رتبه على عشرة ابواب الاول فى البلاغة والثانى فى تمييز جيد الكلام من رديئه والثالث فى معرفة

صنعة الكلام والرابع فى البيان مع حسن السبك وجودة الرصف والخامس فى الايجاز والاطناب والسادس فى حسن الاخذ وقبحه وجودته ورداءته والسابع فى التشبيه والثامن فى السجع والازدواج والتاسع فى البديع والعاشر فى مقاطع الكلام ومباديه

وألف ضياء الدين ابو الفتح نصر الله الموصلى المتوفى سنة ٦٣٧ كتاب (المثل السائر) فى أدب الكاتب والشاعر قال فى خطبته « ان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وقد ألف الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبا وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم اجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لابى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى وكتاب سر الفصاحة لابى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى الا ان كلا الكتابين قد اهملا من هذا العلم ابوابا ولربما ذكرا فى بعض المواضع قشورا وتركا لبابا . . . . وهدانى الله لابتداع اشياء لم تكن من قبلى مبتدعة وقد بنيته على مقدمة ومقالتين فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان والمقالتان تشتملان على فروعه . فالاولى فى الصناعة اللفظية والثانية فى الصناعة المعنوية اه بحذف . وقد طبع سنة ١٢٨٢ بمطبعة بولاق . وقد اختصره فى كتاب اضاف اليه الرسائل والتقليدات والمكاتبات والمقاطيع المستحسنة ويوجد هذا المختصر فى المكتبة الخديوية . وشرح المثل ابو منصور الجواليقى وابن ابى الحديد . وسمى شرحه الفلك الدائر على المثل السائر . ورد عليه ابو القاسم محمود السنجارى المتوفى سنة ٦٤٠ فى كتاب سماه نشر المثل السائر وطى الفلك الدائر . وصنف خليل بن أيبك الصفدى كتاباً سماه نصرة الثائر على المثل السائر . قال فى خطبته ان ابن ابى الحديد

أورد مؤاخذات على صاحب المثل ووجدته قد أغفل كثيرا وأخذ قليلا فأحببت أن اتتبع مواضع المؤاخذات التى تركها

وألف محمود بن سليمان الحلبى المتوفى سنة ٧٢٥ . (كتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل) قال فى خطبته « لما جعل الله لى فى كتابة الانشاء رزقا باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من أجله من اكابر اهلها وأئمتها من عاشرت ورأيت من مذاهبهم فى أساليبها ما رأيت ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت واطلعت بكثرة المباشرة على طرائق والجئت فيها باختلاف الوقائع الى مضائق اي مضائق ونشألى من الولد وولد الولد من عاناها وترشح لها من بنىّ من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلى بمعناها فأحببت ان اضع لهم ولمن يرغب فى ذلك فى هذه الاوراق من فصولها قواعد واقيم لهم فيها على مالم يسع الجهل به من اصولها وفروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من ابوابها ويعلموا من طرقها ماهو الاخص باوضاعها والاولى بها

والف ابو العباس احمد القلقشندى نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٢١ (كتاب صبح الاعشى فى كتابة الانشا) وهو كتاب جليل فى بابه الا انه لم يطبع والنسخة التى بالمكتبة الخديوية ناقصة بعض اجزاء وفى الجزء الرابع منه مكاتبات عن ملوك مصر وفى الخامس مقاصد المكاتبات الاخوانيات وما يكتب به الرئيس الى المرؤس والمرؤس الى الرئيس والنظير الى النظير وفى السادس ما يكتب من الولايات عن الملوك وقد اختصره فى كتاب سماه ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر

وقد الف الفاضل سعيد افندى الخورى الشرتونى كتاباً مفيداً سماه

الشهاب الثاقب فى صناعة الكاتب طبع فى بيروت سنة ١٨٨٤

وقد الفت سنة ١٣٠٦ كتاباً فى الانشاء النظرى تكلمت فيه على التفكر فى الموضوع والكتابة فيه وأدرجت فى هذه ستة فصول الاول فى صحة الالفاظ والثانى فى تخير الالفاظ والثالث فى موافقة اللفظ موضعه والرابع فى بلاغة الكلام والخامس فى متانة السياق والسادس فى عيوب الكلام وبعد هذه الفصول ذكرت طرق تعليم الانشاء فى المدارس الابتدائية والتجهيزية والعالية وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٠٦ بمطبعة بولاق الاميرية وقرظه عدة من الافاضل منها ما كتبه صديقنا الفاضل حفنى بك ناصف فقال :

اى عذر بعد هذا الكتاب ... لعَرِيٍّ عن حلية الكتاب

بان وجه الانشاء فيه ولم يب ... ق عسيرا سلوك نهج الصواب

حل بيت الاسماع من غير اذن ... واتى للقلوب من كل باب

ليت شعرى هل يبتغى بعدهذا ... بينات على انتصار دياب

الى هنا انتهى ما اردنا ايراده فى هذا الكتاب والحمد لله على التمام وكان ذلك فى ١٩ شوال سنة ١٣١٤ للهجرة

محمد دياب

المفتش بنظارة المعارف العمومية

حياة المؤلف

« من انشاء ابنه ملتزم طبع الكتاب »

لأيام خلت من شهر رجب سنة ١٢٦٩ للهجرة ، من اسرة شريفة ، فى منوف العلا ، ولد والدى العزيز مؤلف هذا الكتاب ، ولما بلغ اشده وقرأ وكتب وحسب بعث به والده الى الازهر فأخذ فقه الشافعى عن الشيخ ابراهيم السقا ، والنحو والصرف عن الشيخ عفيفى الباجورى ، وعلوم البلاغة والاصول عن الشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، والمنطق عن الشيخ الاجهورى الضرير .

وفى اوائل يناير سنة ١٨٧٤ للميلاد دخل مدرسة دار العلوم ، فتلقى فيها التفسير عن الشيخ أحمد شرف الدين المذكور آنفاً ، وفقه أبى حنيفة عن الشيخ سليم عمر والشيخ حسونه النواوى ، وعلوم الأدب عن الشيخ حسين المرصفى ، والدرس التام فى التاريخ العام عن مؤلفه أبى السعود أفندى ، والحساب والهندسة والهيئة وتقويم البلدان عن يعقوب بك صبرى ، والطبيعة والكيمياء عن منصور أفندى احمد ، والخط عن محمد بك جعفر . — ومدة التعلم هذه كانت نشاطا واجتهادا ومجاراة فى ميادين التحصيل ، فضرب بسهم فى كل علم من هذه العلوم ، وسار فى طليعة نوابغ المدرسة المعدودين — وكتب موضوعات انشائية وعلمية تناسب ذلك العصر ادرجت فى المجلة العلمية التى كانت تسمى روضة المدارس .

وفى ١٦ يوليو سنة ١٨٧٦ اختير معلما للنحو فى مدرسة اطفال الجند

بالقلعة ، وكانت تعرف بالخيرية ، وكان بها ما ينيف عن ألف تلميذ ، فألف لتلاميذه كتاب الدروس النحوية ، وطبعه سنة ١٢٩٤ للهجرة .

وفى ٢١ ابريل سنة ١٨٧٩ اختير مدرسا للحساب والهندسة فى مدرسة (المبتديان) بالناصرية ، فألف كتابه المشهور بالنخبة السنية فى الاصول الحسابية ، وطبعته نظارة المعارف مرتين سنة ١٢٩٨ وسنة ١٣٠٠ بعد ان اعتمده مجلس معارفها الاعلى ، وعم نفعه جميع المدارس ؛ وعرّب من الفرنسوية مسائل تطبيقيه على مقالات الهندسة ، وطبع منها مسائل المقالة الأولى بمطبعة الهلال سنة ١٣٠٢ ، وكذا عرّب الف مسألة رياضية طبعت سنة ١٣١٣ ، وكتاباً فى الجبر لم يطبع — ومع وظيفته هذه عهد اليه فى يناير سنة ١٨٨٢ تعليم الحساب والهندسة وتقويم البلدان فى مدرسة الآثار القديمة . — وفى سنة ١٨٨٦ اختير مدرساً لدروس الاشياء فى مدرسة (المبتديان) السالفة الذكر ، فالف فيها كتاباً ذا ثلاثة اجزاء ، طبع مرات بمطبعة بولاق الاميرية ، وكانت دراسة هذه الدروس فى مدارس الحكومة وغيرها على طبق ما جاء فى كتابه هذا .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٧ اختير استاذاً لتعليم الانشاء فى القسم العالى من مدرسة المعلمين المسماة الآن بالمدرسة التوفيقية (والتعليم فى هذه المدرسة على ثلاث درجات : تعليم ابتدائى ومدته اربع سنين ، وتعليم ثانوى يرقى عن الاول ومدته كانت اربعاً ثم صارت خمساً والآن هى ثلاث فقط ، وتعليم عال أرقى منهما ومدته ثلاث سنين ، والغرض من هذا القسم تخريج معلمين اكفاء ليعلموا فى المدارس) والمترجم له كان استاذ هؤلاء المعلمين فى الانشاء ، فصنف من أجلهم كتاب الانشاء النظرى ، وقرظه كثير من

ادباء العصر ، وقرره ديوان المعارف لتلامذة المدارس ، وطبع فى مطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣٠٦ ، وألف أيضاً معجما فى اللغة العربية سماه قلائد الذهب فى فصيح لغة العرب ، ولدرك منزلة هذا المعجم فى دائرة المعجمات اللغوية يراجع ما كتب بشأنه فى باب اللغة من الجزء الاول من تاريخ أدب اللغة هذا وما قرظه به كبار العلماء ، وطبع منه الجزء الاول بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٣١١ — وكان من اللجنة التى عهدت اليها نظارة المعارف تأليف أربعة كتب فى النحو وكتاب خامس فى البلاغة سهلة المأخذ مدرجة على حسب أعمار تلامذة المدارس الابتدائية والثانوية ، فألفت هذه الكتب فحازت رضا الكافة ، وفتحت الطريق لعلوم الادب .

وفى سنة ١٨٩٢ عهد اليه تعليم التاريخ فى مدرسة دار العلوم ، فألف منه خلاصة تاريخ مصر القديم والحديث وقد أقرته نظارة المعارف واستعملته فى بعض مدارسها ، وطبع طبعا حسنا فى مطبعة بولاق — وعرّب من الفرنسوية (تخطيط أوروبا) ولكنه لم يطبع .

وفى فبراير سنة ١٨٩٣ تعين مفتشاً ثانياً للغة العربية فى جميع المدارس ، وفى خلال مدة وظيفته بالتفتيش ألف كتابه هذا .

ومكافأة على قيامه بوظائفه خير قيام وجّه اليه المغفور له خديو مصر توفيق باشا الرتبة الرابعة سنة ١٣٠٣ ، وانعم عليه سمو المولى الخديوى عباس باشا الانخم بالرتبة الثالثة سنة ١٣١٤ .

وقد ساح فى اوروبا اثناء عطلة المدارس ثلاث مرات سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٦ ابتغاء التزوّد من اللغة الفرنسوية فاستفاد وأفاد بما عرّبه منها .

فلنا من هذى الحياة نابغة صرف عصر الشبيبة مجداً فى طلب العلوم ، سبّاقا الى نيل المعارف ، فبلغ فى الكبر مبلغ علاّمة متفنن ، له فى كل جوّ متُنفّس ، ومن كل نار مقتبس ، فيّاض بعلمه ، على قومه ، امتعنى الله بحياته مدى الزمان . آمين .

كتب لخمسة عشر يوما خلت من شعبان سنة ١٣١٨

محمد رياض دياب



فهرس

(الجزء الثانى من كتاب تاريخ أدب اللغة العربية)

صحيفة

﴿ الباب الخامس ﴾

« فى تاريخ النحو والصرف والاشتقاق وفيه فصلان »

٢ **الفصل الاول** فى تعريف النحو والصرف والاشتقاق وما يتبع ذلك

٦ **الفصل الثانى** فى تاريخ النحو بالمعنى العام : تكلم العرب كلاماً معرباً بالسليقة . منشأ تولد اللحن . السبب فى وضع النحو . ابو الاسود وغلام كان يتعلم منه النحو

٩ نحاة البصرة : عنبسة الفيل . ميمون الاقرن . عبد الله الحضرمى . ابن العلاء المازنى . عيسى بن عمر . يونس بن حبيب . ابو خطاب الاخفش . الخليل . ابو زيد وابو عبيدة والاصمعي . حماد بن سلمة وسيبويه والنضر بن شميل واليزيدى . قطرب وابن سلام . ابو الحسن الاخفش . صالح الجرمى . ابو عثمان المازنى . الجاحظ . المبرد . ابن دريد

١٩ نحاة الكوفة وأدباؤها : معاذ بن مسلم . ابو جعفر الرؤاسى . الكسائى . الفراء . ابن الاعرابى . المفضلان الضبيان . ثعلب

٢٢ من اشتهر بالادب فى بغداد : يعقوب بن السكيت . ابن قتيبة . ابو اسحاق الزجاج . ابن السراج . نفطويه . ابو بكر بن الانبارى . الزجاجى . ابن درستويه . ابو على الحسن الفارسى . السيرافى

٢٥ ابن جنى . ابن عيسى . الأعلم الشنتمرى . ابو العلاء المعرى . الخطيب التبريزى . الحريرى . الميدانى . ابن اسد . الزمخشرى . الجواليقى وابن الشجرى وابن الدهان . عبد الرحمن ابن الانبارى . ابن خروف . ابن الصائغ . ابن الحاجب . ابن مالك . ابن الضائع . ابن آجروم . ابوحيان .

٣٤ ابن هشام . جلال الدين السيوطى

صحيفة

٣٧ دراسة النحو فى الازهر : لمعة من تاريخ الازهر . مآثر مولانا الخديوى الافخم فى الازهر . علماء الازهر وطلابه والعلوم التى تدرس فيه وكتبه النحوية . كيفية الدراسة فيه

٤٠ دراسة النحو فى المدارس : نبذة من تاريخ المدارس . ديوان المعارف وما يتبعه من المدارس والعلوم التى تدرس فيها وما فيها من التلامذة . مدارس الاهالى والاجانب . كتب النحو فى المدارس . طريقة تعليم النحو فى المدارس

﴿ الباب السادس ﴾

« في تاريخ علوم البلاغة »

٤٤ تعاريف المعانى والبيان والبديع . تاريخ هذه العلوم : اول من صنف فى المجاز . عبد الله بن المعتز وقدامة الكاتب وابو هلال العسكرى وابن رشيق وابن ابى الاصبع وصفى الدين الحلى و بديعيته . بديعية الموصلى . بديعية ابن المقرى . بديعية ابن حجة . بديعية عائشة الباعونية . بديعية النابلسى

٤٦ الشيخ عبد القاهر وكتابه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة . السكاكي والمفتاح ومفتاح المفتاح وتلخيص المفتاح . المطول على التلخيص والمختصر والاطول . خزانة الادب للبغدادى . حواشى على شروح التلخيص . السمرقندية وشروحها وحواشيها . منظومة ابن الشحنة . عقود الجمان . الجوهر المكنون . الرسالة البيانية وحواشيها . الوسيلة الادبية . حسن الصنيع . انوار الربيع . حسن الصياغة . دروس البلاغة

﴿ الباب السابع ﴾

« في تاريخ المحاضرات »

٥٢ مقدمة . كتاب كليلة ودمنة . العقد الفريد . الاغانى . نثر الدرر . محاضرات الراغب . زهر الآداب . الغرر والدرر . ربيع الابرار . زاد الرفاق . ابو قماش . محاضرة ابن العربى . العدد المعدود . ريحانة الادب . تمام المتون الى شرح رسالة ابن زيدون . تذكرة الصفدى . ثمرات الاوراق . فاكهة الخلفاء . روض الاخبار . المستطرف . طراز المجالس . نفحة اليمن

صحيفة

﴿ الباب الثامن ﴾

« في تاريخ الانشاء وفيه اربعة فصول »

٥٨ **الفصل الاول** في تعريف الانشاء ووجه تعلمه وانواعه

٦١ **الفصل الثاني** في تاريخ الانشاء : تاريخ الرسائل في عهده عليه الصلاة والسلام . عبارة الرسائل . تاريخ الرسائل في عهد الخلفاء . كيفية كتابة تاريخ الرسائل فيما سلف . التوقيع . كتابة الرسائل في الرق الجلد ثم في الكاغد . صناعة الكتابة عند بني العباس وختم السلطان على الرسائل وخاتمه . تاريخ الرسائل التي كانت سائرة بينهم . توخي السجع في هذه الرسائل . ديباجات الكتب الرسمية الآن . الدخول على المقاصد . الامضاء والختم . صدور الرسائل الرسمية اذا كانت جواباً عن أخرى . صدور الرسائل الاهلية وما تتم به . تاريخها وامضاؤها . عبارة الرسائل الرسمية والاهلية . الرسائل المشهورة .

٦٩ كلام في الجرائد . سير التأليف في كتب العلوم . كلام في القصص والروايات .

٧٠ كلام في المقامات الادبية : مقامات الهمذاني . مقامات الحريري . المقامات اللزومية . المقامات الزينبية . مجمع البحرين . المقامة الجلالية .

٧٣ كلام في الخطب . دواوين الخطب ومؤلفوها . الوصف

٧٥ **الفصل الثالث** في شذرات من منشآت السلف والخلف : (١) خطب ابوطالب . (٢) كتب عليه الصلاة والسلام الى خالد بن الوليد . (٣) رسالة ابي بكر وعمر الى علي . (٤) خطب عمر بن الخطاب . (٥) وكتب الى ابي موسى الاشعري . (٦) ووقع في اسفل كتاب كتبه اليه سعد بن ابي وقاص . (٧) وكتب عثمان بن عفان الى علي بن ابي طالب . (٨) وخطب علي . (٩) وكتب للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها عهداً .

١٠٠ (١٠) وخطب معاوية . (١١) وخطب الحجاج . (١٢) وله أيضاً .

١٠٢ (١٣) وكتب عبد الحميد رسالة يوصي فيها الكتاب . (١٤) وكتب وصاية على شخص . (١٥) وكتب وهو منهزم . (١٦) ووقع جعفر بن يحيى .

١٠٧ (١٧) وكتب الحسين بن الحسن بن سهل الى صديق . (١٨) وكتب عمرو

صحيفة

ابن مسعدة الى المأمون . (١٩) وكتب طاهر بن الحسين لابنه . (٢٠) من نثر ابن العميد . (٢١) وكتب القاضى الفاضل . (٢٢) وكتب ايضاً الى الطبرى . (٢٣) وكتب ابو الفتح على . (٢٤) وكتب ابن عباد .

١١٩ (٢٥) وكتب البديع الهمذانى . (٢٦) وكتب الى القاسم الكرجى .

١٢٢ (٢٧) وكتب الى ابى عامر الضبي . (٢٨) وكتب ابو بكر الخوارزمى .

١٢٥ (٢٩) وكتب الى تلميذ له . (٣٠) وكتب الى صديق . (٣١) المقامة السادسة المراغية . (٣٢) المقامة الثامنة من اطواق الذهب . (٣٣) المقامة السابعة والعشرون من اطباق الذهب . (٣٤) وكتب صاحب نسيم الصبا في وصف السماء وزينتها . (٣٥) وله ايضاً في وصف الشمس والقمر .

١٣٨ (٣٦) وله ايضاً فى وصف البحر والنهر . (٣٧) وكتب عبد الله باشا فكرى عن الحضرة الخديوية الى ملك دارفور . (٣٨) وكتب ايضاً الى صاحب الدولة رياض باشا . (٣٩) وكتب الشيخ عبد الهادى الابيارى الى الشيخ الحلوانى . (٤٠) وكتب اليه ايضاً . (٤١) جواب الرسالة السابقة .

١٦١ (٤٢) وكتب الابيارى الى الحلوانى ايضاً . (٤٣) وكتب القاضى الفاضل الشيخ محمد عبده وهو في السجن . (٤٤) وجاء في الجريدة الرسمية من انشاء الفاضل الشيخ عبد الكريم وصف ليلة راقصة فى قصر عابدين .

١٧٣ (٤٥) وجاء فى جريدة الاهرام فصل « قعود البنات » . (٤٦) وجاء فى جريدة المقطم فصل (القلم فى الشرق) . (٤٧) وجاء فى جريدة المؤيد وصف ليلة ماطرة . (٤٨) وكتب الفاضل حفنى بك ناصف الى الفاضل السيد توفيق البكرى . (٤٩) وكتب الفاضل الشيخ ابراهيم اليازجى . (٥٠) وكتب الفاضل مصطفى بك نجيب فى « الفونوغراف » . (٥١) وكتب الفاضل حسن افندى توفيق . (٥٢) وكتب الفاضل مصطفى افندى الدمياطى فى « الاناة » .

١٩٠ (٥٣) وكتب الفاضل احمد بك ذكي فى وصف رومية المدائن . (٥٤) وعرّب فصلاً من احدى المجلات الفرنسوية . (٥٥) وكتب القاضل السيد محمد على البلاوى « من خطبه المنبرية » . (٥٦) وكتب الفاضل على افندى حامد يشكو ويستعطف . (٥٧) وكتبتُ المقامة الجلالية . (٥٨) وكتبت الى خليل شطّ مزاره . (٥٩) وكتبت الى صديق سافر الى الاندلس .

صحيفة

٢١٣ (٦٠) وعرّبت من الفرنسوية الى العربيـة «وصف مساء صيف» ·
٢١٤ (٦١) رسالة فى الشوق للفاضل الشيخ حمزة · (٦٢) رسـالة فى التهادى للفاضل الشيخ عبد الكريم · (٦٣) رسـالة فى التهادى للفاضل حفنى بك ناصف · (٦٤) رسالة فى التهادى للفاضل محمودبك ابى النصر · (٦٥) رسالة فى التعارف للفاضل سلطان افندى محمد · (٦٦) رسالة فى التعارف للفاضل احمد افندى سمير · (٦٧) رسالة فى التهادى للفاضل الشيخ احمد مفتاح ·
٢٢٠ (٦٨) رسالة فى التهانى للفاضل الشيخ طه محمود · (٦٩) رسالة فى التعارف للفاضل البيلاوى · (٧٠) رسالة فى التهادى للفاضل عبدالله افندى الانصارى ·
٢٢٣ (٧١) رسالة فى التهانى للفاضل محمد افندى على المنياوى · (٧٢) رسالة في الشوق للفاضل وفا افندى محمد · (٧٣) رسالة فى التهانى للفاضـل مصطفى افندي نصر · (٧٤) رسـالة فى التقاضى للفاضل عبد الخالق بك ثروت · (٧٥) رسالة فى التقاضى للفاضل احمدافندي رأفت · (٧٦) فى التقاضى للفاضل عبد العزيز افندى محمد · (٧٧) رسالة في التقاضي للفاضل حسين افندي توفيق
٢٣٠ في الامثال السائرة
٢٣٥ **الفصل الرابع** فيما اشتهر من كتب الانشاء

خطأ وصواب

المرجو ممن اطلع على هذا الكتاب أن يصحح ما يأتي :

« في الجزء الاول غير ما سبق »

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦٠	٦	نضر بن عاصم	نصر بن عاصم
٩٣	٥	طعنوا	اطّعنوا
١٠٤	١٣	مهدرا	مهددا
١٠٧	٩	فمبكرٍ	فمبكرٌ
١٣٢	٦	البلبل	البلل
١٤٣	٢٢	الجليل	الجيل
١٥٠	١٢	فوارع	فوارغ
١٥٩	٨	الكثير	الكسير
١٦٠	٨	تَعُد	تُعَد
١٦٠	١٦	صبرُه	صبرَه
١٦٧	١١	نطقت قد	قد نطقت
١٨٤	٣	ببنيها	ببينها

« في الجزء الثاني »

٢٠	١٤	بايعاذ	بايعاز
٢٤	١٢	وابوحسن الفارسى	وابو على الحسن الفارسى
٣٦	١٩	اسمآء	اسماء
١١٣	١٠	بمنزلة	بمنزله

تم

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
	25 Je'45		
		FEB 15 2007	

C28 (842) M50

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58957456
893.72 D647 Tarikh adab al-lugha
RECAP